

شخصية يهود

بين القرآن والتلمود

د. بسام حسين كايد

بيروت 2024 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كثرت الكتابات والدراسات في يهود، والتي تناولتهم قديماً وحديثاً من قبل الكثير من الكتاب والدارسين، حتى إنك لا تكاد تجد أمة من الأمم أو شعباً من الشعوب، إلا وُجد فيه من كتب فيهم -تصريحاً أو تلميحاً، تفصيلاً أو إيجازاً- توصيفاً لشخصيتهم وتحذيراً لأمتهم وشعبه من كيدهم ومكرهم وإعلان النفير من أذاهم وفسادهم وإفسادهم. فمن القديم كانت الكتابات والقوانين تُحذّر منهم ومن دسائسهم وأخلاقهم. فقد سنّ الرومان من الشرائع والقوانين ما يتناسب مع حالهم وأخلاقهم وما يكفّ أذاهم عن الناس أو يُخَفِّفُ منه.

حتى في القرون المتأخرة، لا ترى وتسمع عن يهود شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً إلا ضمن حارات وتجمّعات خاصة بهم وقوانين خاصة تسري عليهم، لتحذير الناس من الاختلاط بهم والتعامل معهم.

حتى إنّ الشاعر والأديب الإنكليزي وليام شكسبير في مسرحيته "تاجر البندقية" يشير إلى هذه الشخصية اليهودية ويصفها بأبشع الصفات.

وقبل هذا وذاك، لو رجعت إلى كتبهم المقدسة -عندهم- لوجدت نفسك أمام صورة عجيبة من التناقضات والصفات السيئة والخبيثة، التي وصفهم بها أنبيأؤهم وصوروهم بها من شدة معاناتهم معهم.

وسبب ما تتعرض له أمتنا الإسلامية عامة والعربية بشكل خاص والشعب الفلسطيني بشكل أكثر خصوصية من أذى، جزاء الصراع الدائر بيننا وبين هذه الشرذمة من البشر، التي وصفها الله عزّ وجلّ على لسان أنبيائه الذين أرسلوا إليهم بأسوء ما يوصف به إنسان، أجد لزاماً علينا البحث في شخصية يهود وحصائصهم وطباعهم.

وفي هذا الزمن تجد كثيراً من أبناء جلدتنا يحاولون -لسبب أو لآخر- ويعملون

على تجميل صورة هذا المسخ، ويعطونهم أسماء وصفات ليست لهم بحق، ويحاولون تسويقهم في أوساط أمتنا بل العالم أجمع، تحت مسمى السلام والتطبيع والإبراهيمية. فكان لزاماً علينا التصدي لهذه الظاهرة وكشف صورة هذا المسخ أمام العالم أجمع -إن أمكن ذلك- لمعرفة حقيقتهم والطرق الصحيحة والسوية للتعامل معهم بعد أن أصبح العالم كله قرية صغيرة بل غرفة واحدة جزاء التقدم العلمي الهائل والانفتاح الكبير بين الحضارات والشعوب.

واعتمدت في هذه الدراسة على كتاب الله عز وجل -الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه- ثم على ما ورد في التفسير القديمة والحديثة، والسنة النبوية المطهرة وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم معهم، ورجعت في هذه الدراسة إلى بعض كتب التاريخ والكتب الحديثة التي تناولتهم بالدراسة، ثم أجريت مقارنة مع ما ورد في الكتب المقدسة -عندهم - من العهد القديم والتلمود مع التركيز على التلمود بشكل خاص.

وفي ظلّ الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني في غزة، التي يرتكبها اليهود الصهاينة، ما أوجنا إلى معرفة شخصية هذه المجموعة من الناس، ومن هنا كانت أهمية هذه الرسالة في هذا الوقت بالتحديد لرسم شخصية هؤلاء. لماذا هذا الإجرام؟ لماذا هذا القتل؟ لماذا هذه الأخلاق الدنيئة السافلة؟ لماذا يسكت الناس عنهم -خاصة القادة-؟ لماذا يدافعون عنهم؟ قد نجد إجابات لهذه الأسئلة وغيرها في هذه الرسالة أو في هذا الكتاب، الذي هو في الأصل رسالة ماجستير، وها هي الآن تخرج -إن شاء الله- بشكل كتاب، أرجو به القبول من الله سبحانه وتعالى، وأن يستفيد منه أبناء أمتنا بشكل خاص وكل حرّ شريف يرفض الإجرام والقتل، ويرفض الإبادة الجماعية.

سائلاً المولى عز وجلّ التسديد والثبات والقبول

خطة البحث

"البحث يشتمل على مقدمة وبايين وخاتمة".

i. المقدمة: الأسباب والدوافع من اختيار البحث.

ii. الباب الأول:

وفيه ثلاثة فصول:

• الفصل الأول: (كلمة موجزة عن تاريخ اليهود أصولهم، منشؤهم، نسبهم ومراحل حياتهم.

• الفصل الثاني: (مختلف التسميات).

وفيه أربعة مباحث:

1. العبرانيون.

2. بنو إسرائيل.

3. اليهود.

4. الصهاينة.

• الفصل الثالث: مصادر فكرهم.

وفيه مبحثان:

1. العهد القديم (التوراة).

2. الشريعة الشفوية (التلمود).

iii. الباب الثاني: صفات الشخصية اليهودية.

وفيه أربعة فصول:

• الفصل الأول: في الجانب الاعتقادي.

وفيه عدة مباحث:

1. التطاول على الله عز وجلّ.
2. الشرك وعبادة الأصنام.
3. تحريف الكلم عن مواضعه.
4. الجحود وكفر النعم.
5. كثرة الجدل والتنتطح في الدين.
6. التطاول على الأنبياء وقتلهم..

• الفصل الثاني: الأخلاق والقيم والمثل.

وفيه ستة مباحث:

1. العنصرية والتعالي على الغير.
2. استمراء الذلّ والعبودية.
3. فساد الفطرة والسعي بالفساد في الأرض.
4. الاختلاف والنزاع فيما بينهم.
5. الفسق والفجور.
6. الجبن والخوف والرعب الدائم وحب الدنيا وحرصهم على أية حياة.

• الفصل الثالث: العلاقات مع الآخرين.

وفيه خمسة مباحث:

1. نقض العهود والمواثيق.
2. القتل والإجرام وسفك دماء الناس.
3. الجشع والطمع وأكل الربا والبخل.
4. الحسد والحقد.
5. المكر والخداع.

• الفصل الرابع: الشعب المختار.

iv. الخاتمة:

دور الأمة الإسلامية في إنقاذ البشرية منهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾¹

من خلال هذه الآية القرآنية، لا يتردد المرء في تقرير أن عداة يهود للذين آمنوا كان دائماً أشد وأقسى، وأعماق إصراراً وأطول أمداً من عداة الذين أشركوا.² وعداؤهم ليس للأمة الإسلامية فحسب، إنما للبشر وللإنسانية قاطبة. يقول د. محمد علي الزعبي في مقدمة كتابه دفائن النفسية اليهودية: منذ أربعين عاماً كان شيخنا -الشيخ محمود القياوي- رحمه الله يوجهنا لدراسة عهد اليهود القديم مشيراً إليه قائلاً:

"هذا مدخل لمعرفة ما جرى ويجري في العالم من كوارث".³

وإذا كان هذا الكلام والتحذيرات قبل قيام ما يسمّى بدولة إسرائيل، وقبل أن يكون ليهود كيان سياسي، يعملون من خلاله لتنفيذ مخططاتهم، فماذا نقول بعد حوالي مائة عامٍ من تلك التحذيرات، وبعد هذه الجرائم التي تنصبّ علينا ليلاً ونهاراً بعد وجود دولة لهم؟ وليس آخرها ما يجري في غزة من مجازر ومذابح بحق الأطفال والنساء والشيوخ ومن هدمٍ للبيوت والحارات والمدن والقرى، أو ما وصفته لاهاي الدولية بالإبادة الجماعية.

1. المائة 82.

2. قطب، سيد، معركتنا مع اليهود، الدار السعودية، جدة، 1389هـ-1970م، ص55.

3. الزعبي، محمد بن علي، دفائن النفسية اليهودية من خلال الكتب المقدسة التوراة والإنجيل والقرآن والتاريخ والواقع ط2، بدون دار. بيروت 1973م-1393هـ ص3.

وفي خضمّ الصراع الذي تعيشه أمتنا الإسلامية مع يهود، ما أحوجنا إلى معرفة شخصية عدونا وخصائصه ونمط تفكيره. وإذا كانت القاعدة أنه لا دواء قبل معرفة الداء، فإنّ معرفة الشخصية الإسرائيليّة تكاد تكون فرضاً على النفوس المحبة للإنسانية، وضرورية على العقول الباحثة عن العدل والإخاء والسلام.¹

وعلى هذا الأساس فإنه لا يمكننا أن نتحدث عن يهود أو الشعب اليهودي أو عن إسرائيل أو الشعب الإسرائيلي أو عن صهيون أو الصهيونية ولا يمكننا أن نعرف أطماعهم أو مطامعهم وكيف يصلون إليها أو يسلكون طريقها، ولا نستطيع أن نعرف نواياهم وما تخفي صدورهم - لا نستطيع أن نعرف ذلك أو شيئاً منه - إلا إذا عرفنا العقيدة اليهودية أولاً، والمبادئ والأسس التي قامت عليها تلك العقيدة؟ وما هي القوى الكامنة فيها؟ أشريّة هي أم خيرة؟ أجبارة هي أم رحيمة؟²

وإذا عرفنا أنّ العقيدة اليهودية وشخصية يهود، مفصلة أروع تفصيل ومرسومة أجمل رسم في كتاب الله عزّ وجلّ، وسنة نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، فإنه يكون لزاماً علينا أن نعود إلى قرآننا الذي فيه الخير كل الخير ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾³، وإلى سنة النبي عليه السلام، الذي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

لقد تحدّث الإسلام كثيراً عن يهود وشرح نفسياتهم الشريرة. وليس مصادفة أن يفصل القرآن هذا، فإن تاريخ أمة من الأمم لم يشهد ما شهدته تاريخ يهود من قسوة وجحود وتتكّر للهداة. فقد كفروا أشنع كفر، وعصوا أشنع معصية، وكان لهم في كل ميدان من هذه الميادين أفاعيل ليس مثلها أفاعيل.⁴

ورغم قلة عددهم في الجزيرة العربية حيث بُعث الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، إلا أنّ القرآن الكريم خصّ مجالاً كبيراً للتحدّث عنهم، فقد أخذوا حيناً

1. ظاظا، حسن، الشخصية الإسرائيلية. دار القلم دمشق 1985م ص 10.

2. الخطيب، محمد نمر، حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية. دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 12

3. الأنعام آية 38.

4. معركتنا مع اليهود ص 50.

يقارب ثلثه. ولا تكاد تخلوا سورة من ذكرهم صراحة أو تلميحا. وليس ذلك عبثاً وإنما -والله أعلم- لكشف شخصيتهم وتعريتهم، للتحذير منهم وللفت أنظار الناس إلى أنّ هؤلاء هم مصدر الشرّ والإفساد في الإنسانية كلها. هم شياطين الإنس وأعدى أعداء الإنسانية وأفحش الخلق على الأديان.¹

والشخصية اليهودية في القرآن الكريم لا تفصح عن استعداد للتضحيات أو البذل أو العطاء، كما أنها لا تدلّ على وفاء والتزام. وتظهر ضعف الوازع الديني وعدم تمكنه من قلب الإنسان اليهودي ونفسه، وذلك عبر مراحل التاريخ المختلفة التي مرّ بها الوجود اليهودي. وتراها بصفات القذرة البشعة من نقضهم للعهود والمواثيق، إلى الشراء بآيات الله ثمناً قليلاً، والبأس الحق بالباطل، وتناولهم على الله عزّ وجلّ ثمّ على أنبيائه، إلى كثرة جدلهم والتتبع في الدين، إلى عبادتهم للمال وجمعه بأيّ شكل من الأشكال وتهالكهم على الدنيا، إلى غرورهم وجبنهم وفرارهم من المعارك وغدرهم وإجرامهم وإفسادهم في الأرض، إلى قسوة قلوبهم وغلظ طباعهم وكفرهم بالنعم، إلى أنسهم بالشعائر والعادات الوثنية، وحرصهم على حياة -أيّ حياة- وصولاً إلى استمرارهم الذلّ، ترى هذه الشخصية واضحة تماماً في كتاب الله عزّ وجلّ.

وتزد في كتاب الله تعالى وعلى لسان نبيه الكريم آيات وأحاديث تتعقب يهود وتكشف دخالهم وتنفذ إلى لبّ جوهرهم، وتصفهم بكلمات معجزة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها. وقد حلل القرآن الكريم الخُلُقَ اليهودي ووصف ما انطوى عليه ذلك الخلق من جبن وفسق وطغيان وكفر وكذب وافتراء ومكر وحقد وجشع وذلة وانحطاط وفجور. وأعتقد جازماً أنّ ما ورد في القرآن الكريم عن يهود، يعدّ دليلاً أساسياً على أنّ هذا الكتاب الخالد وحي من الله تعالى وليس من صنع بشر. وذلك لأنه أورد مسائل كثيرة عنهم قبل أربعة عشر قرناً لو اجتمعت الهيئات المختصة بعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الأديان وعلم الأجناس، على أن تضع بعض ما في القرآن

1. طعيمة، صابر، التاريخ اليهودي العام، دار الجيل، بيروت 1983، ط2، ص 130.

من دراسة علمية عنهم، لعجزت أن تأتي بمثل ما ورد على لسان النبي الأمي الذي لم يطلع على التوراة والتلمود، لأنهما ترجما بعده بقرون عديدة.¹

وفيه آيات كثيرة تساعد على رسم صورة وافية لأخلاقهم. ولقد ربطت هذه الآيات على الأكثر بين أخلاق يهود المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم في الحجاز وبين أخلاق آبائهم الأولين بحيث يصح أن يقال، إن هذه الأخلاق ليست خاصة بمن هم في الحجاز منهم حين نزول الآيات، وإنما هي جبلة راسخة متوارثة من الآباء والأجداد. ومن ثم إنها صورة لأخلاق يهود عامّة في الحجاز وغير الحجاز غابرين ومعاصرين.²

وكثرت الكتابات والدراسات فيهم، والتي تناولتهم قديماً وحديثاً من قبل الكثير من الكتاب والدارسين، حتى إنك لا تكاد تجد أمة من الأمم أو شعباً من الشعوب إلا وجد فيه من كتب فيهم -تصريحاً أو تلميحاً، تفصيلاً أو إيجازاً- توصيفاً لشخصيتهم وتحذيراً لأمتهم وشعبه من كيدهم ومكرهم وإعلان النفير من أذاهم وفسادهم وإفسادهم. فمن القديم، كانت الكتابات والقوانين تحذر منهم ومن دسائسهم وأخلاقهم، فقد سنّ الرومان من الشرائع والقوانين ما يتناسب مع حالهم وأخلاقهم وما يكفّ أذاهم عن الناس أو يخفف منه.

وحتى في القرون المتأخرة، لا ترى وتسمع عن يهود شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً، إلا ضمن حارات وتجمّعات خاصة بهم وقوانين خاصة، تسري عليهم لتحذير الناس من الاختلاط بهم والتعامل معهم.

وترى الشاعر والأديب الإنكليزي وليم شكسبير في مسرحيته "تاجر البندقية" يشير إلى هذه الشخصية اليهودية ويصفها بأبشع الصفات. ورئيس الولايات المتحدة الأميركية فرانكلين يطلق صرخة تحذير منهم ومن شرورهم. وقبل هذا وذاك لو رجعت إلى كتبهم، لوجدت نفسك أمام صورة عجيبة من

1. التل، عبد الله، جذور البلاء، ط2، المكتب الإسلامي، 1398هـ- 1978م ص6.
2. دروزة، محمد عزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم. المكتبة العصرية، بيروت. 1969، ص4385.

التناقضات والصفات السيئة والخبیثة التي وصفهم بها أنبياءهم وصوّروهم بها من شدّة معاناتهم معهم. والذي يقرأ تاريخهم ويدرس شخصيتهم يجد هذه الصفات واضحة فيها وضوح الشمس.

وبما أنّ الفهم الصحيح للعدوّ هو العامل الأهمّ في الانتصار عليه، وهذا يتطلب، بالدرجة الأولى، فهم الشخصية اليهودية فهمًا صحيحًا، وتحديد سمات هذه الشخصية كما رسمتها عقائدهم وممارساتهم، والوقوف على وسائلهم وأساليبهم في تحقيق أهدافهم، مستلهمين الوقائع والشواهد التي يقدّمها لنا تاريخهم القديم والحديث.¹

وبما أنّ الديانة اليهودية من المكونات الرئيسة للشخصية الإسرائيلية فلا بدّ من العودة إلى كتبهم لمعرفة حقيقة هذه الشخصية، لنجد فيها حكايات وحكايات تقصّح وجودهم وتراثهم.²

وقد يتساءل البعض، ما ذنب يهود اليوم وهم لم يعيشوا تلك الفترة وقد يكونون برآءً من تلك الصفات السلبية التي تسم أجدادهم؟

فنقول إنّهم أمة واحدة متضامنة الأجيال متحدة الجبلة صفاتهم هي هي، ومواقفهم هي هي في جميع العصور،³ ولكنها ازدادت خبرة واختصاصًا وعمقًا.

واعتمدتُ في دراستي هذه لشخصيتهم عدّة مصادر. المصدر الأول والرئيس هو القرآن الكريم -الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه- ثم ما ورد في التفاسير القديمة والحديثة، والسنة النبوية المطهرة وسيرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكيف تعامل معهم، وسأرجع إلى بعض كتب التاريخ والكتب الحديثة التي تناولتهم بالدراسة، ثم أعرج على دراسة شخصيتهم من كتبهم المقدسة عندهم -الذي أكد القرآن الكريم تحريفها وتزييفها وتزويرها والتغيير فيها- والذي لا نستطيع مهما حاولنا أن نجد سندًا تاريخيًا يؤكد قصصها.⁴

1. فريج، غازي، النشاط السري اليهودي، دار النفائس، بيروت، ص18.
2. خان، ظفر الإسلام، التلمود تاريخه وتعاليمه. ط4 دار النفائس، بيروت 1981، ص 93.
3. قطب، سيد، في ظلال القرآن دار الشروق، بيروت، ط10. 641.
4. ديب، سهيل، التوراة تاريخها وغاياتها، دار النفائس، بيروت، ط4، 1402هـ - 1982م، ص31.

﴿...وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يَحْرَفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾¹

ثم أجريت مقارنة بين ما ورد في القرآن الكريم وما ورد في كتبهم من التوراة والتلمود -الذي هو شرح التوراة- مع التركيز على التلمود بشكل خاص.

وسبب اختياري البحث في هذه الشخصية:

ما تتعرض له أمتنا الإسلامية عامة والعربية بشكل خاص والشعب الفلسطيني بشكل أكثر خصوصية من أذى، جزاء الصراع الدائر بيننا وبين هذه الشريعة من البشر، التي وصفها الله عز وجل ثم الأنبياء وخاصة أنبيائهم بأبشع الصفات. وفي هذا الزمن تجد كثيرًا من أبناء جلدتنا يحاولون -لسبب أو لآخر- ويعملون على تجميل صورة هذا المسخ، ويعطونهم أسماء وصفات ليست لهم بحق، ويحاولون تسويقهم وتطبيع العلاقات معهم في أوساط أمتنا بل العالم أجمع. فكان لزامًا علينا التصدي لهذه الظاهرة وكشف صورة هذا المسخ -إن أمكن ذلك- لمعرفة حقيقتهم والطرق الصحيحة والسوية للتعامل معهم، بعد أن أصبح العالم كله قرية صغيرة جزاء التقدم العلمي الهائل والانفتاح الكبير بين الحضارات والشعوب سائلًا المولى عز وجلّ التسديد والثبات والقبول.

1. البقرة 75.

الباب الأول

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: كلمة موجزة عن تاريخ اليهود.
أصولهم، منشؤهم، نسبهم ومراحل حياتهم.

الفصل الثاني: (مختلف التسميات).

الفصل الثالث: مصادر فكرهم.

الفصل الأول:

كلمة موجزة عن تاريخ اليهود.
أصولهم، منشؤهم، نسيهم ومراحل حياتهم.

أصولهم:

1. في الصحراء.
2. القوم إلى مصر.
3. الاستقرار في مصر.
4. الصراع داخل مصر مع فرعون.
5. التربية في الصحراء وعبادتهم العجل.
6. على أبواب فلسطين.
7. التيه في الصحراء.
8. دخول أجزاء من فلسطين.
9. عهد الملوك: طالوت، داود وسليمان.
10. بعد سليمان: والأسر الأشوري.
11. الأسر البابلي: والتدمير الأول للقدس.
12. العهد الفارسي.
13. العهد الروماني.
14. في الجزيرة العربية قبل الإسلام.
15. في ظل الرسالة المحمّدية.
16. في العصر الحديث.

المرحلة الأولى: في الصحراء.

كانت البداية مع نبيّ الله يعقوب عليه السّلام، الذي سمّاه الله عزّ وجلّ باسم إسرائيل. هذا النبيّ الصالح، موصوف في كتابات يهود وأدبياتهم ومعتقداتهم بأخسّ الصفات وأحقرها. فتراه جنيئاً مأكراً محتالاً، حتى قبل ولادته يزاحم أخاه التّوأم في رحم أمّه للخروج إلى الدنيا قبله، حتى يأخذ البكوريّة منه¹، ويضمن الإرث من والده.

وفي شبابه، تراه نموذجاً وتجسيداً حيّاً للمكر والدهاء وسعة الحيلة، ونسيجاً فريداً في المخادعة والتلّون والنفاق.² حتى إنّه يحتال على أخيه فيشتري منه البكوريّة بصحن طبيخ من العدس.³ ثم يقوم بخديعة مأكرة ويسرق أموال خاله الذي أكرمه وأحسن استقباله وزوّجه من ابنتيه.⁴ ويمضي حياته على هذا الحال حتى إنّه حاز على النبوة باحتيال ومكر على والده بعد أن أسكره. وعندما جاء أخوه عيسو يريد البركة، قال له أبوه قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك.⁵

وتراه في كتبهم في موقف بطوليّ عجيب، صارع فيه شخصاً غامضاً تصوّره كتبهم على أنّه الله، صارعه مصارعة طويلة كاد أن يغلبه، ولم يتركه حتى منحه بركته وسمّاه إسرائيل.⁶

وهذا كله كذب وتناول على نبيّي الله يعقوب وإسحق، وحتى على الله عزّ وجلّ. ويصوّرون بيت هذا النبيّ الكريم -كما سنرى- بيت زنا ومكر وخداع وإجرام.

المرحلة الثانية: القدوم إلى مصر.

رزق يعقوب عليه السّلام باثني عشر ولداً. وكان أحبّهم إلى نفسه يوسف وأخوه لأمه بنيامين. والعشرة الباقون كانوا أصحاب خلق رديء وغيره مذمومة. كادوا

1. الكتاب المقدس. دار الكتاب المقدس في العالم العربي، طبع في كوربا، سفر التكوين 12\25.

2. كنعان، جورجي، أمجاد إسرائيل في فلسطين، دار الطليعة، بيروت، 1978م. ص 18.

3. سفر التكوين 33.

4. المصدر السابق 38.

5. المصدر السابق 35\37.

6. المصدر السابق 24\32.

ليوسف، واحتالوا على أبيهم ولم يرحموه، وتأمروا على أخيهم وأرادوا قتله وألقوه في الجب، ولكن الله عز وجل نجاه... وأخذته قافلة وبيع في مصر، واشتراه عزيز مصر، وترى وعاش هناك في القصور، وراودته امرأة العزيز عن نفسه فاستعصم. وأدخل السجن، وخرج منه سيِّداً مكرِّماً عزيزاً. وأصبح يدير خزائن المال والطعام فيها. ونجى الله البلاد والعباد من مجاعة كبيرة كادت تتعرض لها لولا سياسته الحكيمة.

وعندما أجدبت البادية، التي كان يعيش فيها نبي الله يعقوب عليه السَّلام وعياله، وتعرض سكانها للمجاعة، استضاف يوسف أباه وإخوته ليجدوا في مصر ملجأ يأوون إليه ويطعمون من خيره.

وبدأت مرحلة ثالثة من حياة إسرائيل وبنيه في مصر.

وتأبى كتبهم إلا أن تصوّر هذا النبي الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم بأبشع الصور وأخسّها. فتراه أستاذاً في الاحتيال وسرقة أموال الناس لصالح الفرعون. أما إخوته فترى من صفاتهم وأعمالهم في جميع الكتب ما يندى له الجبين.

المرحلة الثالثة: الاستقرار في مصر.

عاش بنو إسرائيل في مصر حياة كريمة لا ينغصها عليهم شيء، وقد حفظ لهم المصريون أنهم أبناء نبي ومن سلالة أنبياء وإخوة النبي الذي أنقذهم بسياسته الحكيمة وعاملهم أكرم معاملة.

وبعد وفاة يوسف ويعقوب عليهما السَّلام، تغيّرت الأحوال كثيراً وساعت أخلاقهم، وتركوا الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسقطوا في الدنيا وصاروا كسائر الناس لا يمتازون عنهم إلا بالنسب، ووقعت بينهم وبين المصريين جفوة لم تتبين أسبابها بجلاء: هل ترجع أسبابها إلى أنّ أفرادها كرهوا الاندماج في الشعب المصري؟ أو ترجع إلى أنّ أفرادها لم يشتركوا في مقاومة الغزاة الذين هاجموا مصر؟ أم كلا الأمرين؟ أم أمر آخر؟¹

1. الغزالي، محمد، اليهود المعتنون ودولتهم إسرائيل، دار القلم، دمشق، ط1، 1420هـ - 1999م. ص41

ونظروا للمصريين نظرة احتقار، وصاروا يتفتنون في سلب أموالهم، فتغيّر الناس لهم، وكفّهم فرعون بالعمل كسائر المصريين، في صناعة الزراعة وصناعة البناء اللتين كانتا الصناعتين الرئيسيتين في مصر. فاعتبروا هذا التكليف تعذيباً وعبودية، وأضفوا على أمانيتهم ورجباتهم قدسيّة إلهية تستر ما كانوا يخفونه من تأمر على أبناء الشعب المصري، فاعتزلوهم ولم يندمجوا معهم رغم تكريم المصريين لهم.

ويستيقظ المصريون وقد أصبحت السلطة والثروة في أيدي هؤلاء الغرباء. فيضيق الفراغنة عليهم الخناق¹، ويستذلونهم ويعاملونهم بطريقة قاسية ومختلفة عما سبق. فجعلهم الفرعون خدماً وصنّفهم في أعماله، فصنف بينون وصنف يحرثون وصنف يزرعون وصنف يتخدّمون، وكان قومه جنداً وملوكاً. ومن لم يكن منهم في عمل من هذه الأعمال ضربت عليه الجزية.² ولكن هذا كله لم يكن كافياً لردعهم وإرجاعهم إلى جادة الصواب. بل على العكس من ذلك ازدادوا سوءاً ومكرّاً، ممّا جعل الفرعون والمصريون يشدّدون عليهم أكثر فأكثر، فصاروا يستغلونهم في الأعمال الدنيئة، وعملوا على إذلالهم أكثر فأكثر فضربوا وأهينوا غاية الإهانة وأوذوا غاية الأذية³، وأكثر من هذا صار فرعون يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم، حتى يذلهم من جهة وحتى لا يتتاسلوا ويتكاثروا من جهة أخرى. ويُعث موسى وهارون عليهما السّلام في هذه الفترة في وسط هذا الجو: فرعون طاغية مستبدّ يدّعي الربوبية وشعب مُستدَلّ أصبح بينه وبين الكرامة عداً، أرسلوا بطلب معقول هو السماح لبني إسرائيل لمغادرة البلاد. فقالا لفرعون ﴿إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعَذِّبْهُمْ﴾⁴

1. سغان، كامل، اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، القاهرة. ص 172.
2. القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، بيروت ب.ط. 1407هـ - 1978م. 384\1.
3. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية. مكتبة المعارف بيروت، 1401 هـ، ص 263\1.
4. طه 47.

المرحلة الرابعة: الصراع داخل مصر مع فرعون.

بدأ موسى وهاورن عليهما السلام بدعوة فرعون بالحكمة والموعظة الحسنة كما

أمرهما الله عز وجل ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلَا لَيْتَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾¹

وعرضت عليه الآيات ﴿فَكَذَّبَ وَعَصَى﴾² ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ يَسْعَى﴾³ ﴿فَحَشَرَ فَنَادَى﴾⁴ فَقَالَ أَنَا

رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾⁵ وحشر السحرة لمواجهة موسى عليه السلام، وأكرم الله عز وجل

السحرة بالإيمان والشهادة في سبيله.

وآمن العديد من الناس بموسى عليه السلام، منهم رجل بارز سمّي بمؤمن آل

فرعون، وآمنت من النساء آسية زوجة فرعون، سيدة البلاد الأولى، وماشطة آل

فرعون، وجميعهم واجهوا جبروت فرعون وطغيانه وظلمه. واستمر فرعون في طغيانه

وزاد عذابه على بني إسرائيل، فأرسل الله على فرعون وقومه أنواعاً مختلفة من العذاب

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ

يَذَكَّرُونَ﴾³

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ

فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾⁴

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام أن فرعون سيغدر بكم، وأوحى إليه أن

يخرج ببني إسرائيل ليلاً ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا لِّيَلَّا إِنكُم مَّتَّبِعُونَ﴾⁵ فاستجاب موسى

عليه السلام لأمر الله وخرج بقومه باتجاه فلسطين، ولكنهم قبل أن يخرجوا احتالوا

على المصريين وسرقوا زينتهم وذهبهم وهربوا بها، ولحق بهم فرعون وجنوده، وأدركهم

1. طه.44.

2. النازعات 21-24.

3. الأعراف 130.

4. الأعراف 133.

5. الدخان 23.

فرعون وكاد أن يمسك بهم عند شاطئ البحر، وهنا شهد بنو إسرائيل المعجزة الكبرى. شقَّ الله تعالى البحر لموسى عليه السَّلام وأصحابه، فعبروه على أرض يابسة.¹

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ

الْعَظِيمِ ﴿١٣﴾² وغرق فرعون وجنوده وبنو إسرائيل ينظرون وأنجاهم الله عزَّ وجلَّ بهذه المعجزة الباهرة.

قَالَ تَمَّانُ: ﴿وَأَذَّ فِرْقَنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَعْرَفْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ

تَنْظُرُونَ ﴿٥٠﴾³

المرحلة الخامسة: التربية في الصحراء وعبادتهم العجل.

﴿وَجَوْرْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامِهِمْ

قَالُوا يَلْمُوسَىٰ أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾⁴

فردعهم موسى عليه السَّلام، واستمر في محاولاته لنزع الشرك والشر الذي تأصل في نفوسهم جزاء فترة الذل الطويلة التي عاشوها في مصر، وسار بهم وعين الربِّ وحمايته تحفظهم، تؤمّن لهم جميع الاحتياجات وكل ما يطلبون من طعام وشراب حتى الحلوى. ووصلوا إلى جانب الطور، وذهب موسى عليه السَّلام لمناجاة ربه وتلقّي التعاليم الإلهية والشعائر الربانية، واستخلف عليهم أخاه هارون عليه السَّلام لعدم اطمئنانه إلى إمكانية أن يمتثل القوم ويذعنوا وبيقوا على ما تركهم عليه.⁵

1. سويدان، طارق، فلسطين التاريخ. المصور، شركة الإبداع الفكري ط1. 1425هـ - 2004م، ص30.

2. الشعراء 63.

3. الشعراء 63.

4. الأعراف 138.

5. البقرة 50.

﴿ * وَوَعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْرَةٍ مِيقَاتُ رَبِّهِهٗ
 أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۗ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ
 الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٦﴾ ١

وبينما كان موسى عليه السلام في حضرة ربه، كانوا من بعده ينتكسون ويتخذون
 عجلاً جسداً له خوار، لا حياة فيه، يعبدونه من دون الله، فقد قام أحدهم -السامري-
 وصنع لهم عجلاً من الذهب الذي سرقوه من المصريين، ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً
 لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ ٢ ﴿ فلما رأوا العجل الذهبي
 طاروا إليه وتهافتوا عليه.

ونهاهم هارون عليه السلام ونصحهم، ولكنّه لم يملك لهم رداً عن هذا الضلال
 السخيف وكادوا يقتلونه. وكان فيهم بعض عقلائهم ولكنهم لم يملكوا زمام الجماهير
 الضالة المتدافعة على هذا العجل الجسد وبخاصة أنّه من الذهب معبودهم الأصيل. ٣

﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ
 فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩١﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا
 مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ ٤

وأخبر الله عز وجل موسى عليه السلام، بأنّ قومه قد فُتِنُوا وضلّوا وأنهم اتخذوا لهم
 عجلاً جسداً له خوار إلهاً لهم. ﴿ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ
 السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ
 وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ
 فَآخَلَفْتُمْ مَّوْعِدِي ﴿٨٦﴾ ٥

1. الأعراف 142.

2. طه 88.

3. في ظلال القرآن 1373.

4. طه 90-91.

5. طه 85-86.

وهكذا لم يجفّ حبر وصايا الرب حتى بادر بنو إسرائيل إلى نقضها. وكان هذا ديدنهم في جميع تاريخهم.¹ وصُنع موسى عليه السّلام وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه ولحيته يجزّه إليه وحطّم العجل الجسد وحرّقه وذرّاه في البحر، وأمرهم أن يشربوا من الماء -على ما تقول بعض الروايات -.²

وبما أنّه لم تتفّع كل أساليب التربية معهم، فكان لا بدّ من العقوبة الزاجرة علّها تتفّع معهم، فكانت عقوبة السامريّ الانفراد وحده، يعيش وحده كالوحشيّ لا يألف ولا يؤلف، لأنّه كان السبب في نجاسة ألوف من البشر بالشرك، فيجب أن يتقدّره الناس وينبذوه.³ قال تعالى مخاطبًا السامريّ:

﴿ قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ نُخَافَهُ وَأَنْظُرَ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُْحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ۝١٧﴾⁴

وكانت كفارة ما فعلوه أن يقتل بعضهم بعضًا، يقتل الطائع العاصي ليطهره ويطهر نفسه، فكأنّه يقتل نفسه برضاه.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجَلَ فَتُؤْتُوا إِلَى بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝٥٤﴾⁵

وهكذا كانوا يتمردون ويعاندون موسى عليه السّلام. وكان سوط عذاب الله يصبّ عليهم، فرموا بالأمراض والأوبئة وسلطت عليهم الهوام وغيرها حتى أماتت منهم خلقًا كثيرًا.⁶

1. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص 28.

2. الثعلبي، أبي إسحق أحمد بن إبراهيم النيسابوري، قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، مكتبة المشهد الحسيني، القاهرة. الطبعة الأخيرة ص 280.

3. الندوي، أبو الحسن علي الحسيني، قصص النبيين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 16، 1379 هـ - 1977 م ص 272.

4. طه 97.

5. البقرة 54.

6. رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، ط 2، بيروت ص 108/9.

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ

مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴿١﴾

ثم اختار موسى عليه السلام من قومه سبعين رجلاً لميقات الله، انتقاهم الأصلح فالأصلح، أي إنهم كانوا من شيوخهم ومن خيرتهم أو كانوا خلاصتهم التي تمثلهم، فإذا بهم بكل وقاحة وصفاقة يطلبون أن يروا الله جهرة حتى يصدقوا موسى عليه السلام.²

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ

تَنْظُرُونَ ﴿٣٠٠﴾ ﴿٣﴾

المرحلة السادسة: على أبواب فلسطين

وسار موسى عليه السلام بقومه تجاه فلسطين التي كانت عامرة بالسكان، وكان قد شاع بين الناس غدر بني إسرائيل وتآمرهم ضد البلاد التي ينزلونها، فلم تعد فلسطين مفتوحة لهم كما كانت من قبل، بل وقف أهلها في وجههم يردونهم عنها. وهكذا أصبحت محاولة دخولها معناها الحرب بين بني إسرائيل وأصحاب الأرض.⁴ وكان بنو إسرائيل يخافون الحرب، فقد تمكنت منهم الذلة والصغار فصاحوا بموسى عليه السلام:

﴿إِن فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا

دَاخِلُونَ ﴿١١٢﴾ ﴿٥﴾

1. الأعراف 133.

2. في ظلال القرآن 1376/3.

3. البقرة 55.

4. شلبي، أحمد، اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1997م، ص77.

5. المائدة 22.

وَأَصْرُوا عَلَى التَّمَرِّدِ وَالْعَصِيَانِ ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِتَّكُمُ غَلِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾¹

وأكدوا لموسى عليه السّلام بأنهم لا يدخلون تلك الأرض أبداً، لأن دخولها يستلزم القتال والحرب، ولم يكونوا أهلاً لذلك. وردّوا عليه بكل صفاقة ووقاحة، وتطاولوا على الله عزّ وجلّ ثمّ على نبيّهم ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾²

ويصف كتابهم المقدس حالهم: وأرسل موسى عليه السّلام رجالاً ليتجسسوا الأخبار عن الأرض ويعلموا حالها وحال أهلها، فإذا بهم يرجعون مرعوبين وأخذوا يخذلون الناس. وأما الرجال الذين صعّدوا معه فقالوا لا نقدر أن نصعد إلى الشعب لأنهم أشدّ منا. فأشاعوا مذمّة الأرض التي تجسّسوها... وقالوا قد رأينا هنالك الجابرة.³ فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت، وبكى الشعب تلك الليلة وتذمّر على موسى وهارون عليهما السّلام جميع بني إسرائيل، وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا في أرض مصر، أو ليتنا متنا في هذا القفر ولماذا أتى بنا الرب إلى هذه الأرض لنسقط بالسيف وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة، أليس خير لنا أن نرجع إلى مصر.⁴ فسقط موسى وهارون عليهما السّلام على وجهيهما أمام كل جماعة بني إسرائيل⁵.... ولكن قال كل كل الجماعة أن يرموا بالحجارة.⁶

1. المائدة 23.

2. المائدة 24.

3. سفر العدد 31\13-32-33.

4. المصدر السابق 1\14-2-3.

5. المصدر السابق 5\14.

6. المصدر السابق 10\14.

المرحلة السابعة: التيه في الصحراء وموت هارون وموسى عليهما السلام

هنالك اشتد غضب موسى عليه السلام على قومه ويأس منهم، وشكا إلى ربه، وتبرأ من جميع القوم إلا من أخيه هارون عليه السلام، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾¹

وصدر حكم الله عليهم نتيجة نقضهم للعهد وعدم التزامهم بالميثاق: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾²

وسلّط الله عليهم الخوف وألقاهم في التيه، يسكرون ويحلّون ويرتحلون ويذهبون ويجيئون أربعين سنة.³

وأدوا ثمن هذا النكول عن تكاليف العزة أربعين سنة يتيهون في الصحراء تأكل رجالهم، وتذلمهم الغربة، وتشردهم المخاوف. وما كانوا ليؤدوا معشار هذا كله ثمناً للعزة والنصر في عالم الرجال.⁴

وهذا حكم كتابهم المقدس عليهم: "في هذا القفر تسقط جنتكم جميع المعدودين منكم، حسب عددكم من ابن عشرين سنة فصاعداً. الذين تدمروا عليّ. لن تدخلوا الأرض التي رفعت يدي لأسكنكم فيها ما عدا كالب ويشوع."⁵ -قد يكونا هما الرجلان اللذان نصحاهما- "أنا الرب قد تكلمت لأفعلنّ هذا بكل الجماعة الشريرة المتفقة عليّ. في هذا القفر يفنون وفيه يموتون."⁶

1. المائدة 25.

2. المائدة 26.

3. البداية والنهاية، 1/277.

4. قطب، سيد، دراسات إسلامية، دار الشروق، بيروت، 1973م. ص 127.

5. سفر العدد، 14/29-30.

6. المصدر السابق 14/35.

وبعد أن حكم عليهم بالتيه أربعين سنة، هرعوا إلى موسى عليه السّلام وبكوا وقالوا له أهلكتنا وأخرجتنا من العمران والبنيان إلى مفازة لا يوجد فيها ظل¹.. ثم تاب الله عليهم بعد ذلك ورعاهم برعايته أحسن رعاية في الصحراء. وأسبغ عليهم من النعم الكثير الكثير. فدعا موسى عليه السّلام ربه فاستجاب له ﴿وَوَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَمَمَ﴾² أي السحاب الأبيض أو الرقيق يلقي عليهم ظلّه فيقيهم لفتح حرارة الشمس من حيث لا يحرمون من فائدة نورها وحرّها المعتدل. ولولا كثرة السحاب في التيه لأحرقتهم الشمس. إذ لم يكن هنالك شجر يستظلون به. وكان الغمام يسير معهم أينما ساروا ويقف أينما وقفوا.³

"ثمّ تذرّ كلّ جماعة بني إسرائيل على موسى وهارون عليهما السّلام في البريّة، وقال لهما بنو إسرائيل ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر، إذ كنّا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزًا للشبع فإنكما أخرجتانا لتميتنا كل هذه الجموع بالجوع".⁴ فدعا موسى عليه السّلام ربه فأنزل عليهم المنّ يجدونه على أوراق الشجر مثل الحلوى، وأرسل عليهم طائر السمّان يجدونه بوفرة قريب المنال، يأخذونه بلا مشقة. فقد كانت تهاجر من إفريقية ولا سيّما مصر فتصل إلى سيناء تعبئة فتقع على الأرض فتؤخذ باليد.⁵ ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى﴾⁶، ولكنهم ظلموا وجحدوا ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَا كُنَّا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾⁷

وكانوا عند كل ضيق يمتّون عليه أن خرجوا معه من مصر ويجهرن بالندم، وها هم يطلبون الماء بكل صور البشاعة التي تدلّ على جحودهم وعدم شكر النعم، بدل أن يطلبوها من الله بأدب وشكر على نعمه الكثيرة فهو الذي رعاهم في الصحراء

1 قصص النبيين، ص 323.

2. الأعراف آية 160.

3. تفسير المنار 368/9.

4. سفر الخروج 3-2116.

5. تفسير المنار 369/9.

6. الأعراف 160.

7. الأعراف 160.

الجداء حيث يسّر لهم طعامًا شهياً لا يجهدون فيه، ووقاهم هجير الصحراء وحرّ الشمس المحرقة بتدبيره اللطيف.

فخاصم الشعب موسى عليه السّلام، وقالوا أعطونا ماء للشرب فقال لهم موسى عليه السّلام لماذا تخاصمونني؟ لماذا تجربون الرب؟... وتذمّر الشعب على موسى عليه السّلام وقالوا أصعدتنا من مصر لتميتنا وأولادنا بالعطش. فصرخ موسى عليه السّلام إلى الرب قائلاً ماذا أفعل بهذا الشعب؟ بعد قليل يرحموني".¹ وكما يسّر الله لهم الطعام في الصحراء والظلّ في الهاجرة، أفاض عليهم الريّ بخارقة من الخوارق. "فجمع موسى وهارون عليهما السّلام الجمهور أمام الصخرة فقال لهم أيها المردة. أمن هذه الصخرة نخرج لكم ماء، فرفع موسى عليه السّلام يده وضرب الصخرة بعصاه مرتين، فخرج ماء غزير".² قال تعالى:

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُؤُاْ وَاشْرَبُوا مِنْ رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٧﴾﴾³

ولكنّ البنية النفسية المفككة والجبلة الهابطة المتداعية، أبت على القوم أن يرتفعوا إلى مستوى الغاية التي من أجلها أخرجوا من مصر، ومن أجلها ضربوا في الصحراء. لقد أخرجهم الله من الذلّ والهوان ليورثهم الأرض المقدسة وليرفعهم من المهانة والضعفة... ولكنهم لا يريدون أن يؤدوا الثمن وأن ينهضوا بالتكاليف، حتى بأن يتركوا مألوف طعامهم وشرابهم. فما هم يريدون الأظعمة التي ألقوها في مصر في دار الذلّ والهوان.⁴

1. سفر الخروج 17\2-3-4.

2. سفر العدد 20\10-11.

3. البقرة 60.

4. في ظلال القرآن، 1\74.

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصِلَهَا﴾¹

وسجلها كتابهم: "فعاد بنو إسرائيل وبكوا وقالوا من يطعمنا لحمًا. قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجانًا والقثاء والبطيخ والكراث والبصل والثوم".² ويعجب موسى عليه السلام من تلك النفوس وضعف تلك الهمم، لأنهم فضلوا العودة لمصر رغم أنهم رحلوا عنها بخزي وتركوا عازًا. تعجب قائلاً:

﴿أَتَسْتَبِدُّونَ الَّذِينَ هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْبَطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ نَبَّأُوا بِالحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾³

يقول القرطبي: وهذا الخطاب إنما هو تذكير لهم بالذل في مصر وبالنجاة منه. وهذا أمر معناه التعجيز، لأنهم في التيه وهذا عقوبة لهم⁴، فهم لا يستطيعون العودة إلى مصر... فلو صح ما تزعمون من كراهتكم للطعام الواحد فأنتم الذين قضيتم به على أنفسكم بما فرط منكم، فإن أردتم الخلاص مما كرهتم، فأقدموا على محاربة من يليكم من سكان الأرض الموعودة، فإن الله كافل لكم النصر عليهم. وعند ذلك تجدون ما طلبتم فالتمسوا الخير في أنفسكم وفي أفعالكم فإن الله لا يضيع أجر العاملين.⁵ ومن النعم الكثيرة التي أنعمها الله عليهم أنهم قالوا لموسى عليه السلام من أين لنا اللباس؟ فخذ الله تعالى ثيابهم التي عليهم حتى لا تزيد على الأيام ومرور الأعوام إلا جدّة وظرافة ولا تخلق ولا تبلى، وتنمو على صبيانهم كما تنمو أجسادهم. فمكثوا على ذلك زمنًا طويلاً.⁶

1. البقرة 61.
2. سفر العدد 11\4-5.
3. البقرة 61.
4. الجامع لأحكام القرآن، 1\459.
5. تفسير المنار، 1\331.
6. قصص الأنبياء، 326.

وقبض هارون عليه السلام في التيه، واتهم اليهود موسى عليه السلام بذلك، ولكن الله برأه مما قالوا. ومات موسى عليه السلام أيضا في التيه وهو مستمر في عملية تربيتهم ومحاولة الارتفاع بهم، ولقي منهم من الأذى والعنت ما لا يخطر على بال بشر...

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُوذُونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٠﴾﴾¹
 ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٥١﴾﴾²

المرحلة الثامنة: دخول أجزاء من فلسطين (عهد القضاة)

ظلّ بنو إسرائيل في التيه أربعين سنة حتى أخرجهم الله على يد فتى موسى عليه السلام المذكور في قصة الخضر عليه السلام، وهو نبي الله "يوشع بن نون" عليه السلام.³

الذي تولى قيادة بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وكان أحد أصفیاءه، وقد اختاره قبل موته لقيادة بني إسرائيل.⁴

وبدأ يوشع يعد العدة لعبور الأردن، ثمّ قادهم نحو الأرض المقدّسة، فذهبوا إلى فلسطين ولم يذهبوا إلى بيت المقدس في أصح الروايات. ففتح بنو إسرائيل "أريحا" وسكنوها. وأشارت كتب التاريخ والحديث إلى هذه المعركة.⁵ وكذلك القرآن الكريم في قوله تعالى:

1. الصف 5.
 2. الأحزاب 69.
 3. فلسطين التاريخ المصور ص33.
 4. سفر العدد 27\15-20.
 5. فلسطين التاريخ المصور ص34.

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا
 أَبْوَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَزِيدْ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾¹

وارتكبوا مجزرة هائلة مريعة في أهلها - كما تقول كتبهم -: وحرّموا (قتلوا) كلّ ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحدّ السيف.... وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها. إنّما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب...".²

وكانت هزيمة العبرانيين للكنعانيين مثلاً واضحاً لانقراض جموع جياح على جماعة مستقرين آمنين...

ولم يفتح العبرانيون من أرض الميعاد إلا منطقة التلال الداخلية، أما مدن الساحل فقد استطاعت أن تصمد للهجوم. ولم يكن منهم ملوك تلك الأيام، وكانت طاعة القضاة (الذين حكموهم) غير واجبة، لذلك لم تتألف من بني إسرائيل أمة موحدة متماسكة، بل ظلوا زمناً طويلاً يؤلفون اثني عشر سبطاً يستقل كما منها عن الأسباب الأخرى استقلالاً واسعاً أو ضيقاً. وكان نظام الحكم عندهم لا يقوم على أساس الدولة بل على أساس الحكم الأبوي العشائري في الأسرة.

وأعقب موت (يوشع بني نون) عهدٌ عُرف بعهد القضاة، لأنّ الرؤساء والزعماء الذين قادوا بني إسرائيل بعد يوشع سمّوا قضاة، وامتدّ عهدهم إلى أن قامت مملكة بني إسرائيل على يد (طالوت) المعروف في كتبهم باسم (شاول). ويشير كتابهم إلى اثني عشر قاضياً. والذي يقرأ سفر القضاة من أسفارهم يستخلص منه، أن ذلك العهد كان من أسوأ عهود الإسرائيليين، ففيه انتشرت شتى الرذائل والمنكرات، إذ عبدوا الأصنام وفشا فيهم الزنا وقتلوا المصلحين مما عرّضهم لغضب الله، فأغار عليهم أعداؤهم وغزوههم واستعبدوهم.

2. البقرة 58.

2. يشوع ص 21:6 - 24

ويؤكد المحقق محمد عزّة دروزة، أنّ عهدهم لم يَدُم أكثر من قرن واحد، وفي هذا العهد وضع الأساس للحياة اليهودية والفكر اليهودي.¹

المرحلة التاسعة: عهد الملوك طالوت - داود - سليمان عليهما السّلام.

تمكن منهم العماليق (الكنعانيون). وسلطوا عليهم ألواناً من العذاب والذلّ والمسكنة. وأخذوا منهم مقدّساتهم وأموالهم، ومن ضمن هذه المقدّسات أخذوا التابوت، وكان أقدس شيء لديهم. وهو صندوق كالتابوت، كانوا يضعون فيه الألواح الذي كتبها الله تعالى لموسى عليه السّلام.² قال تعالى:

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخَذَهَا يَهُودُ وَآمَرَ قَوْمَكَ بِأَخْذِهَا بِحَسَنِهَا سَاوِرِيكُمْ دَارَ الْفَلْسِيقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾³

انهار عهد القضاة أمام مطالب الحياة الملحة، فقد كان خطر سيطرة الفلسطينيين على اليهود عاملاً هاماً في محاولة جمع الأسباب كلهم في وحدة شاملة، بعد ما نالهم من إخفاق في عهد القضاة، وبعدها شاع من فسق القضاة وأخذهم الرشوة. وانتهى عهدهم بقاض إسرائيلي يدعى صموئيل، كثرت في عهده الفوضى والرشاوى وغيرها من مظاهر الفساد.

ويحكي كتابهم المقدس قصة انتقالهم من عهد القضاة إلى عهد الملوك: "لما شاخ صموئيل جعل ابنه قضاة لبني إسرائيل، ولكنهما لم يسلكا طريقه، ومالا إلى المكسب وأخذوا الرشوة، وعوّجا القضاء، فاجتمع شيوخ بني إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل وقالوا له: أنت قد شخت، وابنك لم يسيرا في طريقك، فالآن اجعل لنا ملكاً كسائر الشعوب.. قال لهم نبيهم: إنّ لكم ماضياً وتاريخاً أسود، فهل عسى إن جعل الله لكم ملكاً أن تطيعوه وتدعوا له ولا تخالفوا أمره؟! فقالوا: ولماذا لا نطيعه؟ ونحن أذلّ الناس اليوم،

1. اليهودية 70-81 بتصرف.

2. فلسطين التاريخ المصور ص37

3. الأعراف 145.

وكيف نخالف أمره وهو يريد إعادة العزّ والمجد لشعبنا؟.. فأخبرهم نبيهم أنّ الله قد اختار لهم طالوت ملكًا.

فصلى صموئيل إلى الرب، فقال له الرب: اسمع لصوتهم، إنهم لم يرفضوك أنت ولكنهم رفضوني أنا، إنهم تركوني وعبدوا آلهة أخرى، فاسمع لصوتهم ولكن اشهد عليهم. قال صموئيل لبني إسرائيل: إنّ الملك الذي سيملك عليكم سيأخذ بنيكم ويجعلهم لنفسه، لمراكبه وفرسانه، فيركضون أمام مراكبه، ويحرثون له ويحصدون، ويأخذ نباتكم عطارات وطباخات وخبازات، ويأخذ حقولكم وكرومكم وزيتونكم ويأخذ جواربكم وشبّانكم الحسان وحميركم... فأبى الشعب أن يسمع لصموئيل وقالو: لا بل يكون علينا ملك، مثل سائر الشعوب يخرج أماننا ويحارب حروبنا.¹

اختار صموئيل لهم شاول (طالوت) ليكون أول ملك عليهم، وقادهم شاول في المعارك بشجاعة، ولكنهم كفروا وعاندوا من جديد. ولم يخرج معه للقتال سوى فئة قليلة ممن آمنوا وصدقوا، فخرج بهم وفي الطريق مروا بنهر، فأمرهم الملك أن لا يشربوا منه، وأخبرهم أنّ من يشرب من هذا النهر فليس منّي، ومن لم يطعمه فإنّه منّي، ليختبر صبرهم وقدرتهم على التحمّل والقتال. فشربوا منه إلا قليلاً منهم.²

وكان داود صبيّاً في هذه المعارك، ويحكي كتابهم بروز "جليات" قائد الفلسطينيين (جالوت) ودعوته بني إسرائيل للمبارزة، وكيف استطاع داود أن يتغلب عليه، لسخرية جليات به وعدم تأهّبّه لمنازلته، ومنذ ذلك الحين أخذ داود يملأ أعين الناس وأذهانهم وقلوبهم، فأثار ذلك حقد شاول عليه، حتى عزم على قتله لئلا يزاخمه على الملك، ومن ثم أخذ يطارده مطاردة شديدة، وينصب له شباك القتل أمداً طويلاً، ولجأ داود إلى الفلسطينيين مرتين، هارباً من شاول³، وانتهر الفلسطينيون فرصة هذا الخلاف فهاجموا بني إسرائيل، وأوقعوا بهم الهزائم العظيمة، وسقط شاول بإحدى هذه المعارك

1. سفر صموئيل الأول الإصحاح الثامن.

2. فلسطين التاريخ المصور ص 39.

3. صموئيل الإصحاح السادس عشر والإصحاحات التالية له.

بوادي بزريعيل، وأخذت دروعه إلى معبد فينوس الفلسطيني، ودقّ جسمه بالمسامير على أسوار بيت شان. WELLS: HISTORY OF THE WORLD P.40. وبعد موت شاول قام صراع بين داود وإشبوشث بن شاول يؤيده أبنير قائد جيوش أبيه.

استقر الملك لداود على مملكة يهودا وما حولها. وكانت عاصمته الخليل. وأما ابن شاول "طالوت" فقد كانت عاصمته القدس وما حولها، وفي عام 1000 ق.م حدثت معركة بين داود عليه السّلام وخصمه ابن "طالوت" وأبنير، انتصر فيها داود عليه السّلام وتغلب عليهما، وذبهما، فاستقر له الملك بذلك، فأصبح الملك الثاني لبني إسرائيل ودخل القدس وجعلها عاصمة لبني إسرائيل. وتوسعت هذه المملكة لتشمل بعضاً من أرجاء فلسطين. ولكن لم تشملها بالكامل حيث بقي حكم الساحل للكنعانيين¹، وبقي الملك وراثياً في عقبه. وجاء من بعد داود ابنه سليمان². واستمر حكمهما حوالي ثمانين عاماً. وكانت تلك الفترة الذهبية لبني إسرائيل، فقد عاشوا - هذه المرة فقط - بكرامة واحترام وعزّة في ظلّ رعاية الله عزّ وجلّ وبقيادة نبيّين كريمين.

ورغم أنّ داود وسليمان كانا نبيّين كريمين، إلا أنّ كتب يهود تصوّرهما مجرمين سفاحين زانين يميلان إلى سفك الدماء وارتكاب المجازر وغيرها من الموبقات. ولمّا توفي سليمان عليه السّلام تمزّقت دولته بين أولاده³. تفرّق اليهود بعدها وتقطعوا في أرجاء الأرض.

المرحلة العاشرة: بعد سليمان عليه السّلام والسبي الآشوري.

بعد وفاة سليمان عليه السّلام سنة 923 ق.م انقسمت الدولة إلى دولتين متعاديّتين، يهوذا وعاصمتها أورشليم، وإسرائيل وعاصمتها شكيم.

1. فلسطين التاريخ المصور ص41.

2. اليهودية ص 83.

3. فلسطين التاريخ المصور ص42.

وكانت دولة إسرائيل هي الأكبر ولكنها كثيرة الاضطرابات والانقلابات. وبلغ عدد الملوك فيها تسعة عشر ملكاً، وتغيّرت عاصمتها أكثر من مرة. وكانت الحروب بين هاتين الدولتين كبيرة، وكثيراً ما استعانت كلّ منهما على الأخرى بقوى ودول مجاورة.

كان ملوك الدولتين العبرانيتين يتزوّجون، كنوع من التحالفات السياسيّة، من أميرات أجنبيات كَنّ يحضرن آلهتهنّ معهنّ ويقمن المعابد لهم وينشرن العبادات الخاصة بهم بين الأثرياء وفي البلاط.

ويمكن القول أنّ عهد الانقسام عهد دماء تسيل وأرواح تزهق وأنين ينبعث. أما نهاية الدولتين والطريق إلى النهاية فيصفه ويلز WELLS أبلغ وصف في قوله: لم يتمتع الشعب العبراني بخفض العيش إلا أمدًا وجيزًا، فمات حيرام، وانقطع عون صور الذي كانت تقوى به أورشليم، ثم قويت شوكة مصر ثانية، وأصبح تاريخ ملوك إسرائيل وملوك يهوذا تاريخ ولايتين صغيرتين بين شقي الرّحى، تعركهما على التوالي سوريا ثم بابل من الشمال ومصر من الجنوب، وهي قصة نكبات، وقصة تحرّرات لا تعود عليهم إلا بإرجاء نزول النكبة القاضية، هي قصة ملوك همج يحكمون شعبًا من الهمج.¹

جاء "الآشوريون" من العراق فاحتلوا فلسطين، وأخذ اليهود يدفعون الجزية "للآشوريين". وأقاموا فيها مملكة خضع فيها اليهود لحكم هؤلاء، ولكن مملكة "الآشوريين" لم تدم سوى ثماني سنوات.²

وفي سنة 727 ق.م تولى (شلمناصر الثالث) عرش آشور، فتمردت عليه دولة إسرائيل فزحف عليها، فقدم له هوشع بن أيله آخر ملوكها هدايا كثيرة، قبلها ملك آشور وكرّ راجعًا إلى بلاده، لكنه لم يكد يصل إلى مدينة نينوى، حتى عاد

1. المصدر السابق ص91

2. المصدر السابق ص46

الإسرائيليون إلى عصيانهم فزحف عليهم مرة ثانية، وحاصر عاصمتهم شكيم، ولكنه مات قبل أن يفتحها.

فقام خليفته (سرجون الثاني) سنة 721 ق.م بغزو دولة إسرائيل فحاصرها وأزالها من الوجود، وسبى أسباطها وأجلاهم عن أوطانهم إلى ما وراء نهر الفرات، وأقام على بلادهم والياً آشورياً من قبله.

وبالقضاء على دولة إسرائيل منذ ذلك الزمان لم تقم لليهود بعدها قائمة. أما مملكة يهوذا فقد خضعت له وقدم له ملكها (منسى بن حزقيا) الولاء والخضوع.

المرحلة الحادية عشرة: الأسر البابلي.

غزا "الكلدانيون" فلسطين. وافتتحوا القدس بأنفسهم، وأسروا ملك المملكة اليهودية. وساقوا عشرة آلاف من اليهود سبايا، ثم عيّنوا على من تبقى منهم في أرض فلسطين حاكماً يهودياً، أخذ "الكلدانيون" منه الموائيق والعهود على أن يكون ولاؤه لهم.¹ وظلّ يحكم اليهود في فلسطين حتى عام 586 ق.م حين حاول أن يقود انقلاباً ضد "البابليين" لصالح اليهود، وعندها تدخل حاكم "بابل" واسمه في التاريخ العربي "نبوخذ نصر" واشتهر في التاريخ باسم "بختنصر". أغار على دولة يهوذا وعلى مدينة أورشليم (القدس)، فدكّ أسوارها ثم دمرها وأحرقها بالنار، بعد أن نهب ما في خزائنها، واستاق كثيراً من شعبها إلى بابل، حيث بقوا في أسره حوالي خمسين عاماً، وإن كان هناك رأي يذهب إلى أنها حوالي سبعين عاماً على وجه الدقة. ويقال إنّ عددهم كان عشرة آلاف أو عشرين ألفاً، أو أربعين ألفاً في تقدير آخر. وكان مركزهم الأساسي تل أبيب (في العراق). وكان ضمن المنفيين، النبيان إرميا وحزقيال.

وهناك إشارات واضحة في التلمود إلى تدمير هذا الهيكل، وكذلك النصوص التي تبين أنّ تدمير الهيكل لم يكن ليحدث لولا كثرة ذنوب بني إسرائيل وتفاقمها. حتى فاقت ذنوبهم حدود ما يطيقه الإله الأعظم، وهذا نصّ التلمود: فكان أن غضب الله

1. فلسطين التاريخ المصور ص47.

عليهم غضبًا شديدًا، حتى سلط عليهم هذا الرجل الذي دمّرهم... وفي بابل عاشوا عبيدًا وخدمًا عقودًا من الزمن، فكانوا في ذلّ ووضع لا يحسدون عليه.¹ ويجدر هنا إبراز عدة أمور:

• أولها: أن التهجير قد شمل عناصر بشرية أخرى كثيرة من أرض كنعان وأرام من غير العبرانيين.

• ثانيها: أنه لا التهجير الآشوري ولا التهجير البابلي ترك أراضي فلسطين خرابًا، فقد بقي سكان يحدّون بمئات الألوف من السكان الأصليين (العبرانيين أو غيرهم)، وخصوصًا أن الريف بشكل عام لم يكدمس.

• ثالثها: هذا التهجير أو السبي لم يكن رهيبًا على نحو ما تصوّره بعض الكتابات اليهودية حتى بالقياس إلى ظروف تلك الأيام.

ويذكر إرميا نفسه (53: 31-34) أن نبوخذنصر أفرج عن يهوياقين ملك المملكة الجنوبية السابق وقربه إليه، وأن قادة العبرانيين احتفظوا بقدر من السلطان. وقد استمر الأنبياء، مثل إرميا وحزقيال في نشاطهم، كما ظهر بينهم حجابي وزكريا وأشعياى الثاني. وتمّ توطين المهجّرين في مزارع جديدة بالقرب من بابل، مثل تل أبيب وتل ملاح (وتشير كلمة "تل" إلى أماكن كانت مزروعة في الماضي، ولكنها خربت وينتظر تعميمها مرة أخرى). وكانت الأراضي التي خصّصت لهؤلاء المهجّرين أكثر خصوبة من أراضي فلسطين، وسمح لهم بالاحتفاظ بعاداتهم وتقاليدهم. وقد ازدهر حال المهجّرين في بابل، فاتخذوا منها وطنًا ثانيًا هاجر إليه طوعًا كثير من بني جلدتهم. وكانوا يشكلون جماعة شبه قبلية تتحدث العبرية، كما كان لهم نسقهم الديني المقصور عليهم. وكانت هذه الجماعة مندمجة إلى حدّ كبير في المحيط الثقافي والسياسي الذي تواجدت فيه.

1. المصدر السابق ص48.

المرحلة الثانية عشرة: العهد الفارسي.

ثم احتلّ قورش ملك الفرس، بلاد بابل وأطلق الفرس على بني إسرائيل اسم اليهود، وأطلقوا على عقيدتهم اسم اليهوديّة. وسمح قورش لليهود بالعودة إلى فلسطين من المنفى ولكنها كانت عودة أشخاص وليس عودة دولة، وكثير جداً من اليهود لم يعودوا لأنهم ألقوا الحياة مع الجوار.

وقد رفض كثير من اليهود، وخصوصاً الأثرياء، العودة إلى فلسطين بعد مرسوم قورش، واكتفوا بدفع مساعدات مالية للعائدين. ويقال إنّ قسماً كبيراً من اليهود العائدين كانوا من أحفاد الأسر الأرستقراطية والكهنوتية ذات المواقع الطبقية والمكانة المتميزة المرتبطة بالهيكل والعبادة القربانية، وهؤلاء استرجعوا بعودتهم بعضاً مما فقدوه من مواقع ومزايا طبقية واجتماعية، وكانوا يعرفون أنهم سيكونون نخبة حاكمة جديدة أو جماعة وظيفية موالية للفرس، تدير شئون فلسطين وأهلها لصالح الدولة الحاكمة.

ولم يعد من بابل سوى أقلية قليلة، بسبب معدلات الاندماج العالية. وانفصل المهجّرون إلى بابل بالتدرّج عن فلسطين، فلقد وجدوا في بابل الرعاية من الفرس بصفة عامة، وكانت بابل وجهة اليهود الذين يلاقون الاضطهاد في أماكن أخرى من العالم، حتى أن تعدادهم بها زاد نحو المليون عند سقوط القدس في أيدي الرومان وتخريب الهيكل عام 70 م.

وأدرك الفقهاء اليهود أنّ العهد السياسي لليهود قد ولّى، لذلك حاولوا التعويض بجمع شملهم في وحدة دينية والحفاظ على تراثهم الروحي فأقاموا المدارس الدينية في أماكن تواجدهم وكان أهمّها مدارس بغداد وعرفت هذه المدارس بالمدراش¹، على نوعيه الهالاخا والهاعاداه².

كان لهذا التجمّع اليهودي، علماءه ومدارسه الدينيّة وتوجّهه الثقافي، الذي أخذ يزداد قوة واستقلالاً، حتى أصبح في مرحلة من المراحل مركز اليهودية الأساسي في العالم.

1. مدرسة للدراسات التوراتية.

2. الخطيب، حنيفة، العبريون لغة وتاريخ، ط1، 1415هـ - 1995م المكتبة العصرية، صيدا، ص 49.

وغدت بابل قلعة لليهودية، وأنشئت بها الحلقتان التلموديتان سورا وبومباديتا اللتان استمرتتا قرونًا، حيث جرى فيهما تأليف أو وضع التلمود البابلي. وفي القرن السابع الميلادي، أصبحت العراق مركز الحياة اليهودية والعلم اليهودي، كما أصبحت ترسل من علمائها رؤساء للحلقات التلمودية في طبرية بفلسطين، التي كانت قد غدت (منذ القرن الرابع الميلادي) مدينة مقدسة. ولم تنته زعامة بابل لليهودية إلا في القرن العاشر الميلادي، وإن استمر اليهود يعيشون فيها قرونًا بعد ذلك.

طوّر فقهاء اليهود في بابل البنية الدينية لليهودية، وحرّروها من الارتباط بأرض ومقام معيّنين.

بلغ الفكر الديني اليهودي في بابل أقصى ازدهار له، وتراكم منه الجزء الأكبر والأهم في التراث اليهودي، الذي سيطر على الحياة والفكر اليهوديين حتى اليوم. ويكفي أنّ التلمود البابلي هو مرجع الحياة اليهودية الذي يحتوي التوراة نفسها ويتجاوزها.

من كل هذا، نخلص إلى أنّ التهجير (أو السبي) البابلي لم يكن سببًا في تدهور اليهودية وانحلالها وإنما كان مصدرًا للعديد من الأفكار اليهودية الدينية والثقافية. ولذا، فإنّ كثيرًا من المفكرين اليهود يرون أنّ اليهودية بدأت كدين، بالمعنى الكامل للكلمة، في المهجر البابلي.

رجع بعض اليهود المحافظين الذين كانت تشدّهم إلى القدس أيام عهدهم القديم، وزمن سليمان عليه السلام، وعمل هؤلاء فورًا على مسألة مهمة جدًا بالنسبة لهم، وهي بناء الهيكل الذي دمره نبوخذنصر.

وفي ظلّ تسامح الفرس مع اليهود، سمحوا لهم ببناء الهيكل مرة أخرى، فجعلوا بناء المعبد بناءً كبيرًا ووسّعوه توسعة عظيمة.

وكان من تسامح الفرس الشديد مع اليهود، أن سمحوا لهم بحكم ذاتي في داخل القدس، ولكنهم أفردوا لهم مكاناً محدوداً جداً، فانحصر حكمهم لمساحة 30 كيلومتر مربع فقط من القدس.¹

المرحلة الثالثة عشرة: العهد الروماني.

تجمّع اليهود مرّة أخرى في هذا العام بقيادة "باركوخبا"، واسمه مشهور في تاريخ اليهود، فجمع هذا الرجل اليهود وثار على الامبراطورية الرومانية، واستطاع أن يسيطر على إحدى القلاع وتحصن بها. لكن الامبراطور الروماني "هادفيان" استطاع بعد ثلاث سنين أن يقضي على هذه الثورة مرة أخرى. ودمر بل إنه مسح كلّ أثر يهودي من الأرض مسحاً. بعد أن سيطر الرومان هذه السيطرة الكاملة على القدس أو "إيلياء"، أصدر الامبراطور قراراً خطيراً يقضي بمنع دخول أي يهودي إلى القدس، بعد أن كان يسمح لهم بالعبادة فيها فقط. وبقي هذا المنع لليهود ساريًا 200 سنة.

بعد ذلك بفترة وجيزة قام الإمبراطور الإغريقي بإصدار قرار بإيقاف اضطهاد اليهود وسمح لهم بالعبادة، بالإضافة إلى اليهود المتأخرين. بدأ اليهود يتجمعون من جديد، ثم سمح لهم أيضًا في 164/1/25 ق.م بدخول القدس. فدخلوها وهم يشعلون أنوار الشموع. فسمي ذلك اليوم "عيد الأنوار". واشتهر في التاريخ اليهودي باسم "هانوكا"، وأصبح هذا العيد من أقدس أعيادهم. ومنه جاء الشمعدان اليهودي المتعدّد الشموع المعروف الآن، وأصبح شعارًا من شعاراتهم الرئيسية بالإضافة إلى النجمة السداسية.² قرّر الرومان وهم من أصل إيطالي التوسّع. فبدؤوا يأخذون ممالك الإغريق مملكة مملكة.. حتى وصلوا إلى بلاد الشام فاحتلوها، ومن ثم وصلوا إلى القدس فاحتلوها أيضًا. وعينوا عليها كاهنًا، ثم أصبح هذا الكاهن كبيرًا لليهود.³

1. فلسطين التاريخ المصور ص52.

2. المصدر السابق ص56.

3. المصدر السابق ص57.

عين الرومان ملكًا لليهود، اسمه "هيرودس"، فكان موالياً لهم، وطاغية شديداً على اليهود، ولكي يثبت مكانته بين اليهود، وليجعلهم ممن يتبعونه، أعاد تجديد الهيكل، وضاعف مساحته.¹

في عام 4 ق.م مات "هيرود" ملك اليهود، وتمزقت دولة اليهود -أو دويلة اليهود- التابعة للرومان بين أولاده الثلاثة، والتي لم يكن لها حكم مستقل. بعد ذلك بأربع سنين كان ميلاد المسيح عليه السلام وقبل مولده بثلاثة شهور ولد النبي يحيى عليه السلام الذي اشتهر بينهم أكثر من المسيح عليه السلام لأنه كان ابن نبيهم زكريا عليه السلام. واشتهر باسم "يوحنا المعمدان".²

ثار اليهود على الرومان في القدس، فأمر الامبراطور بحصار القدس، فحوصرت أربع سنين، لم يستطع خلالها الرومان أن يفتحوها، وعين الامبراطور أحد أولاده وقادته الرئيسيين واسمه "قاصبيان" قائداً في فلسطين للقضاء على ثورة اليهود، وذلك في عام 66 م. ولكنه أيضاً لم يستطع فتح القدس وإسقاط الثورة. وظلّ الصراع بين اليهود والرومان قائماً، وطال الحصار على اليهود. بعد أربع سنين تمكن ابن القائد "قاصبيان" ويدعى "تيتوس"، من أن يدخل القدس بعد عناء طويل وأسر اليهود، وأخذوا من فلسطين مرة أخرى، وبيعوا عبيداً في روما. وكان هذا بداية منشأ اليهود في أوربا. وظل بقية اليهود مختفين في داخل فلسطين.³

وتشرّد في هذه الفترة بنو إسرائيل في الأرض تشرّداً عظيماً، ولم يبق لهم وجود في فلسطين، ونعمت هذه المنطقة بالهدوء والاستقرار فترة طويلة من الزمن.⁴

وضاع اليهود في الزمان والمكان، وكانوا يتعرضون بشكل دائم للمهانة والاحتقار، من كل من عاشوا معهم بسبب ما كانوا يرتكبونه من أعمال لا تليق بالبشر. بل لفظتهم الشعوب وداستهم بأرجلها ومزقتهم شرّ ممزق من أقدم العصور إلى يومنا هذا،

1. المصدر السابق ص58.

2. المصدر السابق ص59.

3. المصدر السابق ص66.

4. المصدر السابق ص67.

ونعتهم كل أمة ووصفهم كل شعب بأنهم مصاصو الدماء صانعو الحروب والمكايد والانقلابات.¹

المرحلة الرابعة عشرة: اليهود في الجزيرة العربية قبل الإسلام

جاءت جماعات من بني إسرائيل إلى الأنحاء الحجازية من أمد بعيد، واستقر أكثرهم في يثرب وقرى أخرى في ناحيتها على طريق الشام، وكان بعض أفرادهم يترددون على مكة أو يقيمون فيها. وقد تعلموا اللغة العربية، واشتركوا في حياة العرب وتقاليدهم، وصار لهم فيهم أنصار وحلفاء ومحبون ومركز قوي. ونشروا عن أنفسهم علمًا واسعًا في الأديان والشرائع وأخبار الأمم وسنن الكون والدين السماوي الذي يدينون به والكتاب المنسوب إلى الله ورسله الذي يتداولونه. وكانوا يزهدون بذلك على العرب ويفخرون، ويستفتحون عليهم، بل ويُدلسون في كل ذلك. ويظهرون غرورًا وخيلاء وتبجحًا بما عندهم من العلم، وما يصدر عنهم من معارف، ولو كانت زيفًا وتدليسًا. ويزعمون أنهم أولياء الله وأحباؤه وأصحاب الحظوة لديه. وقد أثر ذلك على العرب تأثيرًا غير يسير، فكان لهم بسببه مكانة ممتازة، صاروا بها مرجعًا لهم في كثير من مشاكلهم ومسائلهم ومعارفهم، بل وصاروا لهم مرشدين وقضاة. وصار لهم كيان طائفي ديني، ولهم معابدهم ومدارسهم وأخبارهم وربانيوهم، وأصبح لهؤلاء تأثير كبير على أبناء الطائفة كما كانوا قضاتهم. وكان منهم من يتخذ منصبه ونفوذه وسيلة إلى ابتزاز المال بالباطل. وتعاطوا السحر والشعوذة أيضًا. وكانوا جاليات كثيرة العدد، منهم بل أكثرهم استقروا في أحياء خاصة بهم في يثرب (المدينة) وحصنوها بالقلاع والحصون والأسوار. ومنهم من سكن في مزارع وقرى خارج المدينة منها القريب ومنها البعيد. وحصنوها كذلك بالقلاع والحصون والأسوار. وكانوا يفتنون مختلف أنواع السلاح وبكميات كبيرة من سيوف ورماح وقسيّ ونبال وحراب ودروع. ولم يكونوا

1. حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية، ص 14.

متحدين في كيان سياسي وعسكري وديني، بل كانوا فرقًا وأحزابًا، وكانوا على خلاف ونزاع وعداء.¹

ومن هذه التجمّعات كان لهم تجمّع مهمّ في خيبر، التي كانت مدينة كبيرة ذات حصون ومزارع على بعد سنتين أو ثمانين ميلاً في جهة الشمال. وخبير هذه وكر للدسّ والتآمر ومركز الاستفزازات العسكرية ومعدن التحرشات وإثارة الحروب.²

وكان في المدينة قبيلتان عربيتان هما الأوس والخزرج، وبينهما نزاع وعداء وحروب. فكان فريق من اليهود متحالفاً مع إحداهما، وفريق آخر مع الأخرى. وكان كلّ فريق يقاتل مع حليفه، الفريق الآخر مع حليفه من اليهود. ولقد كان طابع الذلة والمسكنة والجبن والغربة والفرع يطبعهم جميعاً، فكانت تحالفاتهم مع العرب، بالإضافة إلى حصونهم وقلاعهم وسلاحهم وسيلتهم إلى الاستمساك والبقاء. وكانوا لأجل ذلك يحرصون على أن يبقى النزاع والعداء قائماً بين القبيلتين العربيتين. وكانت لهم حقول ومزارع وبساتين وأموال وأملاك. وكانوا يشتغلون بالتجارة والصناعة والربا، فكان كثير منهم نتيجة لذلك أغنياء وأصحاب ثروات، وكان ذلك يساعدهم على النفوذ والتأثير بالعرب أيضاً.³

وكان اليهود يعلنون بين الحين والحين، عن قرب ظهور النبي الأخير، ويتباهون بذلك ويهددون بالانتماء إليه ويتوعدون مخالفيهم، من أجل مزيد من السيطرة والاذلال، واحتكار المقدرات المادية والمعنوية لمئات الآلاف من العرب المحيطين بهم كجزيرة منقطعة. ولم يكن الكثيرون من أحبار اليهود يتوقعون أنّ النبي الجديد سيجيء هذه المرة من سلالة أخرى غير السلالة اليهودية المعروفة، وأنه بانتمائه العربي سيشكل خطراً ماحقاً على وجودهم المستغلّ، وبدعوته العالمية المفتوحة سيكتسح تجمعاتهم

1. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص436.

2. المباركفوري، صفي الرحمن. الرحيق المختوم. ط2 دار احياء التراث العربي بيروت 1976 ص 269.

3. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص 437.

القومية المغلقة، وبمبادئه العادلة الواضحة سيفضح طقوسهم وأسرارهم التي يرتزقون منها، ويضمنون بقاءهم في المراكز العليا لبني قومهم.¹

المرحلة الخامسة عشرة: اليهود في ظل الرسالة المحمدية.

لم يولد رسول الله صلى الله عليه وسلم يهودياً كما كان يتنبأ اليهود، بل كان من العرب، فناصره اليهود العداء من اللحظة الأولى، وبدأوا بحربه بطرق وأساليب مختلفة، فترصّصوا به منذ طفولته ولاحقوه وحاولوا اغتياله أكثر من مرة. ومن هنا نفهم تحذير الراهب النصراني بحيرى لعمه أبي طالب، عندما كان مرافقاً له في تجارة إلى الشام وهو طفل صغير، وقال له "ارجع بابن أخيك إلى بلده واحذر عليه يهود. فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه سراً، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم".²

وعندما بعث النبي عليه السلام، بدؤوا حربهم معه، بأن وقفوا طيلة الصراع المكّي الذي دام ثلاثة عشر عاماً وراء قريش، يتبادلون معها الوفود، ويتصلون بها سراً من أجل أن يشددوا قبضتهم على النبي العربي وأن يشلّوا حركته قبل أن يشتد ساعدها، وتغدو قادرة على اكتساح كل من يقف في طريقها ليصدها عن هدفها المحتوم، وثنياً كان أم يهودياً...³

إلا أنّ محاولات الوثنية وحليفاتها اليهودية، أخفقت وأعقب كفاح الرسول صلى الله عليه وسلم الدائب وثبات أصحابه وصمودهم، انتصاراً عظيماً تمخّض عن الهجرة إلى يثرب، وإنشاء دولة الإسلام فيها.

ولم يكن يهود يثرب قادرين -أول الأمر- على إعلان مجابتهم المكشوفة للدولة الناشئة، وأتباعها من عرب المدينة يزدادون كثرة يوماً بعد يوم. ولم يكن من مصلحتهم

1. خليل، عماد الدين. دراسة في السيرة، دار النفائس، بيروت، ط1412، 13هـ-1991م، ص321.

2. ابن هشام. السيرة النبوية دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، 1991م.

3. خليل، عماد الدين. دراسة في السيرة، دار النفائس، بيروت، ط1412، 13هـ-1991م، ص322.

أيضا أن يتولوا بأنفسهم مقاومة المسلمين، وقريش لا تزال على قوتها وقدرتها فأرادوا إلقاء تبعه الصراع على قریش، وظلّ اليهود في المواقع الخلفية يشاهدون الصراع ويخططون على ضوء نتائجه المتوقعة، حتى إذا ما وجدوا ثغرة تسللوا منها لتسديد طعنة للمسلمين، أو لمسوا ضعفاً وإنهاكاً انقضوا يضربون ويطعنون..

ووافقت معظم القبائل اليهودية على الدستور الذي طرحه الرسول صلى الله عليه وسلم لتنظيم الأمور السياسية والمدنية في يثرب -صحيفة المدينة- ودخلوا أطرافاً فيه، كي يتيحوا لأنفسهم فترة من الوقت يستردّون فيها أنفاسهم إزاء السرعة التي كانت الأحداث تتحرك بها. ورغم أنّ هذا الميثاق كان ينصّ -فيما ينصّ عليه- على إسهام اليهود والمسلمين في صدّ أيّ عدوان يقع على المدينة، وتغطية النفقات المالية للقتال، فإنّ اليهود لم ينفذوا هذا البند مالياً ولا عسكرياً...

وبدأ يتضح لليهود، يوماً بعد يوم، المصدر الأساسي للخطر الذي تشكله الدعوة الجديدة بمواجهة اليهودية.. فالنبيّ يدعو إلى (توحيد) غير الذي يؤمن به اليهود على أساس قومي استعلائي مغلق، ومن أنّ الله الواحد هو إله إسرائيل الذي اختارهم لنفسه من دون الناس. وبذلك كانوا يرون لأنفسهم ميزة على الناس وكانت أمنيتهم دوماً أن يجدوا من يأتي بما يهوون من سيطرة ونفوذ، لا بما تتطلبه الدعوة من إصلاح وخير يعمّ الناس جميعاً. ومن أجل ذلك كذبوا أنبياءهم وقتلوا الكثير منهم وحاربوا المسيح عليه السلام وسعوا إلى قتله. فإذا ما جاء محمد صلى الله عليه وسلم، ودعا إلى هذا الإله الواحد للناس جميعاً، بغضّ النظر عن أجناسهم، فإنه بذلك يزيل عن بني إسرائيل هذه الميزة التي يستفتحون بها على الآخرين، وإذن فلا تهدان بينهم وبين محمد صلى الله عليه وسلم الذي يسعى إلى تحطيم تلك القواعد المقررة التي سار عليها اليهود. فقامت بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم محاجات ومجادلات ما لبثت أن اتخذت من جانبهم موقف التحدي والمعاندة، بل إنهم اندفعوا في عدائهم فتورّطوا في تفضيل الأصنام على التوحيد:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ
وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾¹

ويبلغ الجدل بين النبي محمد صلى الله عليه وسلم واليهود مبلغاً من الشدة يشهد به ما نزل من القرآن فيه، فقد نزل إحدى وثمانون آية من سورة البقرة، وقسم كبير من سورة النساء وكله يذكر هؤلاء اليهود وإنكارهم ما في كتابهم ويلعنهم، لكفرهم وإنكارهم، أشد اللعنة.

ولم يكتف اليهود بالوقية بين المهاجرين والأنصار، وبين الأوس والخزرج، ولم يكفهم فتنة الناس عن دينهم، ومحاولة ردّهم إلى الشرك، دون تهويدهم وصدّهم من يريد الإسلام من المشركين، بل حاولوا فتنة محمد صلى الله عليه وسلم بإلقاء أسئلة محرّجة عليه -مستعنيين بما عندهم من علم الكتاب- وكان القرآن يتصدّى لدحضها أو الإجابة عليها، أو فضح نواياها.

ثم خاضت القوى اليهودية معارك دامية وقاسية مع المسلمين أسفرت جميعها عن هزيمة كبرى لليهود، وإخراج معظمهم من الجزيرة العربية. وظلوا بعدئذ كمواطنين وليسوا كتلاً سياسية أو عسكرية، يمارسون حقوقهم في إطار الدولة الإسلامية لا يمستهم أحد بسوء وعاد بعضهم إلى المدينة. وكان الرسول عليه السلام ومن معه من المسلمين يعاملون اليهود بروح التسامح. وعلى هذا النحو عومل يهود البحرين، إذ لم يكلفوا إلا بدفع الجزية وبقوا متمسكين بدين آبائهم. وأهم من كلّ ذلك تلك الحقوق والامتيازات التي منحها الرسول لأسر غير قليلة من أهل خيبر... عدا الإقرار على الأراضي، وإبقاء لهم نصف الثمار.

ومضت السنوات الأخيرة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والإسلام يزداد قوّة ومنعة وانتشاراً، لكنّه ما أن توفي صلى الله عليه وسلم حتى وجد اليهود المبعثرون في الجزيرة العربية وبلاد العراق والشام بغيتهم المنشودة، والتقوا بيومهم الموعود، فراحوا

1 النساء 51.

يتكالبون، كما تكالب غيرهم من أعداء الإسلام، ضد الدولة التي مات قائدها ومؤسسها، فليس من طبع المنهزمين عامة، واليهود على وجه الخصوص، أن يسكتوا على هزائمهم، وهم لا بدّ أن يسعوا معتمدين أيّ أسلوب، لاسترداد مواقعهم ومصالحهم التي جرّدوا منها. وليس أدلّ في هذا المجال من حديث عائشة رضي الله عنها حيث تقول: "لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب، واشربّت اليهودية والنصرانية ونجم النفاق، وصار المسلمون كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم حتى جمعهم الله على أبي بكر".¹

ومن ثمّ فإنّ لنا أن نتصوّر -رغم قلة الروايات وانعدامها أحياناً- حجم الدور اليهودي في حركات الردّة والتنبؤ في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

"لَمَّا فَدَعَ (الذبح بالحجر) أهل خيبر عبد الله بن عمر، قام عمر خطيباً، فقال: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان عامل يهود خيبر على أموالهم، وقال: نقرّم ما أقرّم الله، وإنّ عبد الله بن عمر خرج إلى ماله هناك، فعُدّي عليه من اللّيل، ففدعت يده ورجلاه، وليس لنا هناك عدوٌ غيرهم، هم عدونا وتهمتنا، وقد رأيت إجلاءهم، فلما أجمع عمر على ذلك أتاه أحد بني أبي الحقيق، فقال: يا أمير المؤمنين، أخرجنا وقد أقرّنا محمّداً -صلى الله عليه وسلم- وعاملنا على الأموال وشرط ذلك لنا؟ فقال عمر: أظننت أنّي نسيت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوبك² ليلة بعد ليلة؟** فقال: كانت هذه هزيلةً من أبي القاسم، قال: كذبت يا عدو الله، فأجلاهم عمر، وأعطاهم قيمة ما كان لهم من النّمر؛ مالاً وإبلاً، وعروضاً من أقتابٍ وحبالٍ وغير ذلك".³

وكان لهم دورٌ عظيمٌ فيما بعد في "الفتنة" التي زعزعت أركان الخلافة الراشدة، والتي لعب فيها ابن سبأ -وآخرون غيره لم تتكشف أسماؤهم بعد- دوراً خطيراً.⁴

1. ابن هشام، السيرة النبوية. دار إحياء التراث العربي، بيروت ص 4: 316.

2. قلوب: جمعها قلائص وقلاص من الإبل: طويلة القوائم.

3. أخرجه البخاري في صحيحه، الرواي عبد الله بن عمر، (ح2730).

4. دراسة في السيرة. ص 359.

المرحلة السادسة عشرة: في العصر الحديث

وضاع يهود في التاريخ ولم يعد لهم ذكر في الزمان والمكان إلا في فتنة أو مؤامرة أو دسّ حديث أو رواية.

ولم يظهر لهم كيان إلا في العصر الحديث في فلسطين، بسبب غفلة المسلمين وتآمر العالم عليهم، وللتخلص من يهود بإنشاء وطن خاص بهم ليتخلصوا من آثامهم وشرورهم ولكن...

مختلف التسميات

وفيه أربعة مباحث:

1. العبرانيون.
2. بنو إسرائيل.
3. اليهود.
4. الصهاينة.

اليهودية معتقد يختلف عن معظم المعتقدات والأديان، فهي دين مغلق، فلا يحق لأي إنسان أن يعتنق اليهودية، أي إن اليهود لا يقبلون بين صفوفهم إنساناً جديداً يعتنق دينهم....

"وارتبطت كلمة يهودي في أذهان الناس بتصور خاص وصفات معينة عبر عصور التاريخ".¹

ولقد أطلقت عليهم عدة تسميات: العبرانيين، الإسرائيليين، اليهود، الصهاينة، فما هي حقيقة كل تسمية؟ وما هي مدلولاتها؟

1. التوراة، ص 5.

1. العبرانيون:

"إنّ العلماء لم يتفقوا على معنى هذه الكلمة، وإن اتفقوا جميعاً على مدلولها. فالعبري، هو المنحدر من ذرية إبراهيم عليه السّلام الذي عبّر بقومه الفرات أو نهر الأردن".¹

وقد سمّاهم الكنعانيون، سكان وشعب فلسطين، بالعبريين لعبورهم النهر. وتسلسلت هذه التسمية في ذريّاتهم خصوصاً بني إسرائيل الذين هم أحفاد إسحق. وكانت لغتهم التي يتكلمون بها عبارة عن لهجة آرامية، أقرب ما تكون إلى العربية لكنهم كانوا ينطقون هذه اللهجة متأثرين بقواعدهم ونحوهم ومفرداتهم اللغوية، وقد اصطلح على تسمية هذه اللهجة باللغة العبرية.

ويقدم الدكتور إسرائيل ولفنسون في كتابه: تاريخ اللغات السامية ص 77 - 78، رواية أخرى حول احتمال أصل التسمية، وهي أن يكون إبراهيم منسوباً إلى جد من أجداده الأقدمين يعرف باسم عبر... أما هو -أي الدكتور- فيستبعد صحة كلا الرأيين السابقين ويورد احتمالاً آخر:

يرى فيه، أنّ أصل كلمة عبري ترجع إلى الموطن الأصلي لبني إسرائيل، وذلك أنهم كانوا في الأصل من الأُمم البدوية الصحراوية التي لا تستقر في مكان، بل ترحل من بقعة إلى أخرى للبحث عن الماء والمرعى.

وكلمة عبري مشتقة من الفعل عبّر، بمعنى قطع مرحلة من الطريق أو الوادي أو النهر، أو عبّر السبيل: شقها. وهي في مجملها تدلّ على التحوّل والتنقل، الذي هو أخصّ ما يتصف به سكان الصّحراء وأهل البادية...

وقال البعض إنّ العبريين ينحدرون من العرق السامي الذي ينتسب إليه الآشوريون والعرب..... والساميون الذين مرّوا من موطن الحضارة في الفرات الأدنى، ثم انتشروا في جميع آسيا وفلسطين هم الآشوريون والإسرائيليون.²

1. المصدر السابق ص 15.

2. اليهودية ص 54 - 55، نقلاً عن غوستاف لوبون اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص 24 - 25.

وأول ما ظهرت كلمة عبري في سفر التكوين -أول كتب العهد القديم- من الكتاب المقدس للدلالة على إبراهيم عليه السلام، ثم وردت كلمة عبرانيين للدلالة على بني إسرائيل أثناء وجودهم في مصر وبعد دخولهم أرض كنعان.¹

ومما ورد في الموسوعة اليهودية أنّ مصطلح عبراني أو عبري يدلّ على معان كثيرة وأحياناً متناقضة، فهو ذو دلالات عرقية وطبقية وحضارية.

والعبرانيون، كتلة بشرية ضخمة يعود أصلها إلى الجزيرة العربية استقرت في منطقة الهلال الخصيب وفلسطين في أوقات متفرقة. والكلمة في معناها تضمّ كلّ القبائل السامية التي تناسلت من صفوفها الشعوب المختلفة التي انتشرت في كنعان وسوريا وبلاد الرافدين، ومن بينها تلك القبيلة التي جاء منها إبراهيم ونسله. وقد سميت هذه القبيلة الأخيرة باسم العبرانيين وذلك من قبيل إطلاق العام على الخاص. وقد شاع هذا الاستخدام حتى بين المؤرخين.

وثمة رأي يذهب إلى أنّ العبرانيين كانوا إما قبائل ليست لها هويّة محددة، واكتسبت هويتها من خلال اتحادها وعبادتها ليهوه، أو كانوا قومًا من الأقوام الكنعانية انسلخوا عن العقيدة السائدة وعبدوا يهوه...

ولم يكن العبرانيين جماعة عرقية متجانسة منذ البداية، ولذا يقرنهم بعض المؤرخين بالخابيرو.² فقد ذكرت إحدى رسائل تل العمارنة³ اسم قبائل بدو الخيابيرو، وخبر عيئها فسادًا وتخريبًا في فلسطين، في عهد أخناتون أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة (حوالي 1400 - 1380 ق. م)⁴

ولقد ورد في الكتاب المقدس العبارة (كلم ملك مصر قابلتي العبرانيات وقال لهما إذا استولدتما العبرانيات فانظرا عند الكرسي فإن كان ذكرًا فاقتلاه وإن كان أنثى

1. تاريخ اليهود ص 11.

2. المسيري، عبد الوهاب. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط1،

دار الشروق بيروت 1999م، 112/1.

3. وهي رسائل آجرية بالية الخط واللغة عثر عليها في تل العمارنة في مصر. والذي هو مكان مدينة قديمة اسمها آتون.

4. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص 32.

فاستبقياها)¹، حيث يمكن أن يقال أن بني إسرائيل كانوا يتداولون فيما بينهم أن جدّهم الأكبر كان يوصف بوصف العبراني، وأنهم احتفظوا بهذا الوصف لأنفسهم ولغتهم. وورد إسم (عبريو) في ورقتين من أوراق البردى كتبتا في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، في عهد ملك مصر رمسيس الثاني الذي حكم من سنة 1292-1225 ق.م وموجودتين في متحف لايد في هولندا وقد ترجمهما من المصرية القديمة عالم اسمه ساباش. وهما رسالتان:

إحدهما من كاتب اسمه كويسر جواباً لرئيس له اسمه بكنفتاح يقول فيها: استرضاء لسيدي أتممت أمره الذي أنفذه إليّ قائلاً أعط الجنود قوتهم وأعط أيضاً (العبريو) الذين ينقلون الحجارة لبناء الملك رمسيس...

والثانية من كاتب اسمه كينا إلى رئيس له اسمه كيجانا يقول فيها: أطعت ما أمرني به سيدي قائلاً أعط الجنود أرزاقهم و(العبريو) أيضاً الذين ينقلون الحجارة...² ولقد ذكر المؤرخ المصري الأثري سليم حسن أن جماعات مهمّة من الخابيرو، كانوا من جملة الذين تسلّوا إلى مصر، في ظروف حركة التسلل العربي الجنس، التي سميت بحركة الهكسوس في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، وأنهم ساميون، أي عرب الجنس حسب اصطلاحنا. وقد ربط بين تعبير خابيرو وتعبير عابيرو ربطاً فيه شيء من المنطق والصواب. بحيث يسوّغ القول، إن صحّ ذلك، أن إبراهيم وذريته بني إسرائيل، هم من الخابيرو أو العابيرو، وأنّ هذا هو سبب تسميتهم بالعبرانيين.³

ومهما يكن من أمر فإنّ طروء إبراهيم وأسرته أو عشيرته على فلسطين وسكناهم وموتهم فيها ونموّهم وانتشارهم فيها وفي شرق الأردن، ونزوح بعضهم إلى مصر وخروجهم بعد ذلك منها إلى شرق الأردن وفلسطين، والتسمية العبرانية التي احتفظ بنو إسرائيل بها، ممّا ورد خبره في سفر التكوين والأسفار الأخرى من الحقائق التي لا يصح الممارة فيها، إذ لا يعقل أن يكون كل ذلك اختراعاً وهو متصل بأحداث ووقائع

1. سفر الخروج الإصحاح الأول 15 و16.

2. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص 31.

3. المصدر السابق ص 32

متسلسلة متوالية ووثائق أثرية. وكل ما يمكن أن يكون هو أن الأخبار الواردة في تفصيل ذلك قد شبيبت بالغلو والخيال بسبب تداولها سماعاً عبر الأجيال.¹ من هذه الكلمات نلاحظ أن العبرانية تستند إلى تعريف عرقي، ديني و قومي.

2. بنو إسرائيل:

وتنسب إلى نبي الله يعقوب عليه السلام. هذا النبي الكريم الذي سمّاه الله عزّ وجلّ إسرائيل. وهي تعني في المعاجم: اسم قبل هو مضاف إلى إيل²، وإيل اسم من أسماء الله تعالى عبراني أو سرياني³. وهذا النبي الكريم موصوف في كتب اليهود بأنه إنسان ماكر محتال حتى قبل ولادته. فنراه جنيناً في بطن أمّه يزاحم أخاه للخروج إلى هذه الدنيا حتى يأخذ البكورية منه⁴، ويضمن الإرث من والده. وعندما شبّ وبلغ، صوّروه تجسيداً حياً للمكر والدهاء وسعة الحيلة ونسجاً فريداً في المخادعة والتلون والنفاق.⁵ حتى إنّه يتمكن من شراء البكورية من أخيه بصحن من طبيخ العدس.⁶ ثم يقوم بخديعة ماكرة ويسرق أموال خاله الذي أكرمه أحسن إكرام واستقبله أحسن استقبال وزوّجه من ابنتيه.⁷

وتمضي حياته على هذا المنوال حتى أنّه حاز على النبوة -التي هي فضلٌ من الله عزّ وجلّ ومنةٌ واختيار- يأخذها بالاحتتيال والمكر، وقد كانت حقاً لأخيه الذي زاحمه وهو في بطن أمه.

يقول العهد القديم: فتقدم يعقوب إلى إسحق أبيه فجسّه، وقال الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو (أخوه) - وكان إسحق قد كبر وقد بصره - وقال هل

1. المصدر السابق ص 35

2. مختار الصحاح ص 125

3. المصدر السابق ص 14

4. سفر التكوين 12/25.

5. أمجاد إسرائيل، ص 48.

6. سفر التكوين ص 33.

7. المصدر السابق ص 38.

أنت ابني عيسو فقال أنا هو. فقال قدّم لي لآكل من صيد ابني حتى تباركك نفسي. فقدم له فأكل وأحضر له خمراً فشرّب... وباركه.¹

وعندما جاء عيسو يريد البركة قال له أبوه: قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك.² وهذا الفصل من سيرة نبي الله يعقوب عليه السّلام -وهو كله كذب وتطاول عليه- غنيّ في الدلالة على الأخلاق غير السامية التي تمثّل نموذجهم الذي يحتذى به، والتي كانت للجّد الذي ينتسبون إليه والأعمال غير الفاضلة التي قام بها³ (بزعمهم). وقد حاز على اسم إسرائيل وانفرد به -في توراتهم- بموقف بطوليّ واحد يصارع فيه ويتغلب على نِدّه رجل الليل الغامض أو الملاك بل الله - تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً - يقول كتابهم المقدس: فبقي يعقوب وحده، وصارعه إنسان حتى طلوع الشمس. ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حُقّ فخذه. فانخلع حُقّ فخذ يعقوب في مصارعة معه. وقال أطلقني لأنه طلع الفجر فقال لا أطلقك إن لم تباركني. فقال ما اسمك فقال يعقوب. فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل، لأنك جاهدت مع الله والإنسان وقدرت. وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك: فقال لماذا تسأل عن اسمي وباركه هناك.⁴

ومهما يكن من شيء، فإنّ هذه المفخرة الماثورة عند الأحفاد، تجعله في نهاية تلك المصارعة عند طلوع الفجر، يستحق لقب إسرائيل، أي قوّة الله، من لفظتين ساميتين هما (إسر) بمعنى الغلبة و(آل) بمعنى الإله، الله⁵، ثم وعد الله يعقوب بأن تكون له أمة وجماعة يخرجون من صلبه يعطيهم الأرض التي سبق أن وعد بها إبراهيم وإسحق عليهما السّلام.

نلاحظ أنّ تسمية الإسرائيليّة تستند إلى تعريف ديني و تستمدّ منه.

1. المصدر السابق ص 22/37 - 26.

2. المصدر السابق 35/37.

3. أمجاد إسرائيل، ص 49.

4. سفر التكوين، 24/32.

5. الشخصية الإسرائيليّة، ص 16.

3. اليهود:

في المعاجم نجد أصل الكلمة هود، الهود: التوبة. هاد، يهود هودًا وتهود: تاب ورجع إلى الحق فهو هائد وقوم هود... وفي التنزيل ﴿إِنَّا هَدْنَا إِيَّاكَ﴾¹، أي تبنا إليك، وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وإبراهيم. قال ابن سيده، عداه بالي لأن فيه معنى رجعنا. وقيل معناه تبنا إليك ورجعنا وقرئنا من المغفرة... وقالوا، اليهود، فأدخلوا الألف واللام فيها، على إرادة النسب، يريدون اليهوديين. وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ﴾²، معناه دخلوا في اليهودية، وقال الفراء في قوله تعالى ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِي﴾³ قال يريد يهودًا فحذف الياء الزائدة ورجع إلى الفعل من اليهودية... وجمع اليهودي يهود، وسميت اليهود، اشتقاقًا من هادوا أي تابوا.⁴

واليهودية، هي ديانة العبرانيين المنحدرين من إبراهيم والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيدًا بالتوراة، ليكون لهم نبيًا. واليهودية يبدو أنها منسوبة إلى اليهود الشعب.⁵

وقيل إن يهود أطلق على قبيلة يهودا وهو الابن الرابع ليعقوب، والتي قطنت منطقة يهودا نسبة إلى نفس الاسم.⁶

وبعد سقوط دولتي اليهود: إسرائيل ويهودا، وبعد حدوث السبي البابلي خلت فلسطين تقريبًا من اليهود. ثم احتل قورش ملك الفرس بلاد بابل ومن ثم أصبح له السلطان على أرض فلسطين، وأطلق الفرس على بني إسرائيل اسم اليهود وأطلقوا على عقيدتهم اسم اليهودية.⁷

1. الأعراف 156.

2. الأنعام 146.

3. البقرة 111.

4. لسان العرب 3: 439.

5. الموسوعة الميسرة من الأديان والمذاهب المعاصرة ص 500.

6. التوراة تاريخها وغاياتها ص 15.

7. اليهودية 92/1، سليمان مظهر قصة العقائد ص 318.

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت كلمة اليهود تعني من اعتنق اليهودية ولو لم يكن من بني إسرائيل.¹

من هو اليهودي؟

يتحدث بعض العلماء عن الشخصية القومية، وهي شخصية تنتج من عملية تفاعل تمتدّ ردحاً من الزمن بين جماعة من الجماعات البشرية من جهة، وتشكيل اجتماعي وتاريخي وبيئة طبيعية من جهة أخرى. ومن خلال الامتداد الزمني، تكتسب هذه الجماعة سمات معينة وهوية محدّدة تصبح ثابتة أو شبه ثابتة يفترض أنها تميزها عن غيرها من الجماعات البشرية الأخرى.²

ولا يوجد لكلمة يهودي أو يهودية أي مدلول سياسي أو ديني حتى عام 922 ق.م وأطلقت لأول مرة عندما قامت في جزءٍ صغيرٍ من فلسطين الدولة الهزيلة التي أطلقت على نفسها اسم دولة يهودا. وخلال ما يزيد عن خمسمائة سنة منذ خروج بني إسرائيل من مصر إلى سقوط دولة داود وسليمان عليهما السلام كان استخدام هذه الكلمة منحصراً في الدلالة على سبط يهودا وهو السبط الرابع من أسباط بني إسرائيل وهي دلالة قبلية صرفة.³

4. الصهاينة:

تنسب إلى صهيون، وهو اسم عبري معناه الحصن، أطلق على إحدى روابي القدس التي عليها حصن يبوسي. وقد جاء في العهد القديم، أنّ داود احتل الحصن وسماه مدينة داود، ونقل إليها التابوت المقدس. فمنذ ذلك الحين صارت تلك الرابية مقدّسةً وصار اسم صهيون رمزاً لمدينة داود، ثم إنّ سليمان نقل التابوت بعد ذلك إلى

1. جواد، علي تاريخ العرب قبل الإسلام 95/6 واليهودية ص93.
2. عبد الوهاب المسيري، من هو اليهودي، ط2، 2001م، دار الشروق القاهرة ص9-34.
3. العماري، فضل بن عمار، اليهود دراسة تاريخية، مكتبة التوبة الرياض السعودية، ط1، 1419 هـ - 1987م. ص 166.

الهيكل الذي أقامه على رابيةٍ أخرى من روابي القدس تسمّى مورية، وبعد بناء الهيكل اتسع نطاق صهيون، حتى شمل الهيكل أي الرابية الأخرى، بل شمل القدس بكاملها فأطلق صهيون عليها. فصار عند اليهود رمزاً للقدس بكاملها بما تمثله وما تحتويه من مدينة داود وهيكل سليمان.¹ وأصبح صهيون مكاناً مقدساً لاعتقاد اليهود بأنّ الربّ يسكن فيه. فقد ورد في المزامير "رثّموا للربّ الساكن في صهيون".² وورد أيضاً لأنّ الرب قد اختار صهيون اشتهاها مسكناً له، هذه هي راحتي إلى الأبد، ها هنا أسكن لأنني أشتيهاها، طعامها أباركه بركة، فساكنها أشبعه خبزاً، كهنتها ألبسهم خلاصاً.³ ومنهم من يردّ نسبها إلى العربية، فيعتبرها مأخوذةً من الحفظ والصون، ذلك لعدم وجود أصل لها في العبرية ولا في الحبشية.⁴ ويشار له في اللغة العربية بجبل المكبر أو جبل الزيتون. وأصل الاسم غير معروف. ويقال إنّ داود دفن فيه.

"وتأخذ دلالة الكلمة في الاتساع إلى أن تشمل أي زمانٍ ومكانٍ لهما علاقةً بالشعب المقدس". فكلمة صهيون لا تشير إلى الجبل وحده بل أنها أيضاً تشير إلى المدينة المقدسة، ولكنها ليست مدينة فحسب بل هي أيضاً "أم إسرائيل" التي سيولد الشعب اليهودي من رحمها، ولذا يطلق على الشعب اسم بنت صهيون، ويزداد نطاق دلالة الكلمة اتساعاً، فنجد أنّ صهيون ليست الأم فحسب بل هي الزوجة المهجورة أي أنها "الشعب اليهودي" نفسه الذي يقاسي آلام النفي.

ثم تتسع الدلالة أكثر، فنجد أنّ كلمة صهيون تشير إلى كلّ من الشعب والأرض، فالأرض المقدسة كلها تسمى صهيون. وتعني كلمة صهيون "السماء".

-
1. كنعان، محمد أحمد، بنو إسرائيل واليهود وتاريخ مصر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1415هـ 1994 م. ص 56.
 2. مزامير 9:11.
 3. التلمود ص 447.
 4. الحسن، محمد، المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، دار البشير للثقافة والعلوم الإنسانية طنطا مصر، ط3، 1410هـ -1990 م، ص351.

ومع هذا تظل الدلالة تتسع حتى نكتشف أنّ صهيون "الجبل أو المدينة أو الأرض" ستصبح عاصمة العالم كله عند مقدم الماشيخ، وتصبح ذات دلالة أخروية عميقة. وهكذا تتمركز صهيون في وسط الجغرافيا والتاريخ وعلى قمّتها.¹

فصهيون ممكلة الله التي اختارها مقرّاً ومعبدًا، والتطلع إلى قيامها من جديد عند هؤلاء الفلاسفة التلموديين، هو تطلع إلى تحقيق مشيئة الله!!

وليس الله في الصهيونية إلا إلهًا قد استعبده اليهود لأهدافهم السياسية!! لا يعمل إلا لخير اليهود وحدهم، وإن كان هذا الخير لا يتحقق إلا بالحاق الضرر والأذى بالشعوب الأخرى، حتى وإن كانت شعوبًا تؤمن بالله الواحد الأحد، والصهيونية من ثم هي حركة هذا الإله اليهودي في التاريخ العالمي...²

والصهيونية في المدلول الحديث: حركة يهودية سياسية عنصرية تهدف إلى إعادة مجد إسرائيل بإقامة الدولة اليهودية وقاعدتها فلسطين. وإعادة بناء هيكل سليمان بالقدس -الذي هو رمز جنسيتهم - . ويزعمون أنّ الملك داود رأى في منامه شكل الهيكل الذي أمر ببنائه، فأخبر ولده سليمان بشكل الهيكل وهندسته. وبعد مماته شيّده الملك سليمان وأقامه على جبل مورية المعروف في التوراة. أما حائط المبكى (البراق) فهو الحائط الباقي من هيكل سليمان، وهو أحد جدران سور المسجد الأقصى الغربي، واليهود يلثمونه باكين بكاء يستدرّ عطف المتفرجين عليهم.³

وبقيت فكرة الصهيونية مدة قرون من الزمن وجهًا من وجوه الفكر اليهودي والمسيحي. فقد نشأت في الفكر اليهودي نتيجة اتحاد اليهودية بمملكة العبريين في فلسطين، ونشأت في الفكر المسيحي منذ عهد كرومويل، حين كان الاعتقاد بأن حكم المسيح على الأرض لألف سنة سيصاحبه استعادة اليهود لفلسطين.

بيد أنّ الصهيونية كحركة سياسية ابثدعت في القرن التاسع عشر حين اعترف بسمارك بتحريهم عام 1871م.

1. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية ص 80/2.

2. التلمود ص 449.

3. حسن، عفيفي إبراهيم، الماسونية بين الشيوعية والصهيونية، دار الفتح، 1389هـ - 1969م ب.ط ص 5-6

وكان اغتيال قيصر روسيا ألكسندر الثاني سنة 1881م، هو الحدث الذي أشعل شرارة الانفصالية عند اليهود، واللاسامية عند الشعوب الأخرى، فقد جعلت السلطات الروسية من اليهود ضحية هذا الاغتيال، وشجعت التسرع في المذابح المخجلة.... وخرج اليهود بشكل جماعي من روسيا، وحظر عليهم التوطن في بولندا... وهاجر حوالي ثلاثة آلاف منهم إلى فلسطين. وفي سنة 1882م أسس هؤلاء المهاجرون مستعمرة قرب يافا، وشهدت نفس السنة إنشاء حركة حبّ صهيون أو حبّات صهيون في روسيا¹، التي عملت على تذكير اليهود بأنهم غرباء مشردون في الأرض، ويجب عليهم العودة إلى وطنهم الأصلي فلسطين.

وانتشرت مبادئ حبّ صهيون بسرعة وسط الشباب اليهودي، وتكونت العديد من جمعيات الشباب اليهودي المحبين لصهيون في روسيا وبولندا ورومانيا. وانهقد المؤتمر الأول لجمعيات حبّات صهيون في السادس من تشرين الثاني 1884م، واستطاعت هذه الحركة: حبّات صهيون تشكيل مائة جمعية فرعية لها في روسيا.... وعقد الاجتماع الثاني لحبّات صهيون في روسيا في حزيران 1877م، وألفت في بعض بلاد أوروبا جمعيات مماثلة لجمعية حبّات صهيون. ثم جاء هرتزل الصحفي النمساوي في فيينا... الذي يعدّ أباً للصهيونية الحديثة وتنسب له خطوتان مهمتان:

الخطوة الأولى: كتابه الدولة اليهودية، الذي نشره عام 1895م يدعو فيه إلى تجميع اليهود في مكان ما في العالم. فقال: "يكفي أن يعطونا أية قطعة أرض تتناسب وحاجات شعبنا، وتكون لنا السيادة عليها فإنّ هدفنا ليس هو الأرض المقدسة بل أية قطعة من الأرض تخصّص لنا".²

الخطوة الثانية: هي الدعوة لمؤتمر يهودي عام، يعقد لبحث نظرية الدولة الجديدة، حيث تبنى أن تكون في فلسطين، ومن هنا سميت هذه الحركة التي تعمل

1. تايلر، ألن، تاريخ الحركة الصهيونية، ترجمة بسام أبو غزالة، ط1، 1966م، دار الطليعة بيروت. ص10-11
2. اليهودية ص 40.

على جمع اليهود في فلسطين حول جبل صهيون بالحركة الصهيونية. فأصبحت تجديداً للفكر الصهيوني القديم. واتخذت الحركة الصهيونية مفاهيم محددة من أهمها:

1- إحياء اللغة العبرية وجعلها اللغة الرسمية للجماعة الصهيونية. ويقول شختر في بيان ضرورة اللغة العبرية لليهود: "اللغة العبرية هي الخزانة التي أودعنا فيها كل نفيس من حياة بني إسرائيل الروحية... ليس هناك أي مستقبل لليهود الذين يقاومون اللغة العبرية".¹

2- اتخاذ مختلف الحيل والسبل للتقليل من استعمال كلمة فلسطين ليسدل عليها النسيان وذلك باستعمال تعبيرات أخرى بعضها له علاقة بصهيون وبعضها له علاقة بماضي اليهود بهذه البلاد. ومن أبرز التعبيرات التي استعملت تعبيران: أرض صهيون وإسرائيل. وقد رجّح التعبير الثاني عند قيام الدولة اليهودية لأنّ الصهيونية عرفت بالعنف والقسوة والتدمير، فاقتضت السياسة اليهودية أن تتحاشى استمرار استعمال هذا التعبير خداعاً للناس.

3- خطوة ثالثة برزت بعد قيام دولة إسرائيل، وكان بن غوريون رائدها، إذ أعلن أنه لا يعدّ صهيونياً إلا اليهودي الذي يسارع إلى جبل صهيون مضحياً بكل شيء، مؤثراً الحياة في فلسطين على كل حياة.

وتتخذ جولدا مائير (رئيسة حكومة سابقة) نفس الاتجاه فهي تقول في محاضرة مطبوعة: بعد قيام صهيون، لا يمكن أن يعدّ صهيونياً إلا الذي يحمل حقائبه ويأتي على الفور.²

وبدأت الحركة تزداد شعبية عندما أصبح تيودور هرتزل الذي كان لا يؤمن بالأديان رئيساً للحركة الصهيونية الوليدة 1897م.³

1. المصدر السابق / 1 / 138.

2. اليهودية ص 139/1 - 140.

3. تاريخ اليهود / 3 / 122 - 123.

ويرى الصهاينة والمعادون لليهود، أنّ الحركة الصهيونية بدأت مع التاريخ اليهودي نفسه، وأنها لازمت اليهود عبر تاريخهم بعد تحطيم الهيكل لسببين:

واحد سلبي والآخر إيجابي. أما السلبي فهو ظاهرة العداء لليهود والمذابح والاضطهاد اللذين تعرض لهما اليهود في كل مكان وكل زمان، وهي ظاهرة حتمية أزلية من المنظور الصهيوني. أما السبب الإيجابي فهو الرغبة العارمة لدى اليهودي في العودة إلى فلسطين (أرض الوطن، أرض الأجداد والأسلاف، الوطن القومي، أرض الميعاد) حيث أنه يشعر بالاغتراب العميق في أرض المنفى، الأمر الذي أدى إلى إفساد الشخصية اليهودية. وتعود هذه الرغبة إلى أنّ اليهود من منظور صهيوني يشكلون قومية، رغم أنهم لا يوجدون في مكان واحد، ولا يتحدثون لغة واحدة، ولا يتسمون بسمات عرقية أو نفسية واحدة، ولا يخضعون لظروف اقتصادية واحدة، وقد بدأت المسألة اليهودية يوم أن ترك اليهود وطنهم قسراً. والصهيونية هي التي ستضع نهاية لهذا الوضع وهي ستفعل ذلك عن طريقة آلية جديدة، فهي ترفض سلبية اليهودية الحاخامية وخنوع الشخصية اليهودية، ولذلك سوف تحرض اليهود على العودة بأنفسهم إلى فلسطين ليحققوا تطلعاتهم القومي، وستقوم بتنظيمهم لتحقيق هذا الهدف. ولكلّ هذا تنظر الصهيونية إلى نفسها باعتبارها التعبير الحقيقي والوحيد عن مسار التاريخ اليهودي.¹

وأعلنت الصهيونية أنّ الشعب اليهودي شعبٌ واحد استطاع المحافظة على سماته عبر أكثر من عشرين قرناً من الشتات، وأنها تسعى لخلق ملجأ من أجل اليهود، كلّ اليهود. وأنها تصنع الوطن لتجمع به كلّ يهود العالم، وتحميهم من الاضطهاد والمذابح التي يتعرضون لها بين الحين والحين، وهي إذاً حركة تحرّر وطني يهودي وحركة انبعاث قومي يهودي شعارها "الشوق إلى صهيون وهدفها أرض الميعاد".

1. موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية 89/2

وليس صحيحًا ما يزعمه البعض أنّ الصهيونية لم تكن مطروحة ولا موجودة قبل تأسيس الحركة الصهيونية عام 1897م.¹

ورغم أنّ ثمة عناصر صهيونية في التلمود، فالصهيونية حركة سياسية تهدف إلى استعمار فلسطين عن طريق توطين عنصر سكاني غريب فيها، وتعود جذورها أساسًا إلى الفكر الاسترجاعي البروتستانتي وإلى وضع اليهود داخل الحاضرة الغربية كجماعة وظيفية وإلى الإمبريالية الغربية.²

ولكن بعض مفكرينا يرفضون هذه الفكرة ويقولون:

إن هذا الافتراض يجزّنا إلى اعتبار أنّ جميع اليهود صهاينة وأنهم في اعتقادهم للصهيونية إنما يتبعون أحكام دينهم وتعاليم توراتهم، ولكنّ الحقيقة تتنافى مع هذا التعميم. ونحن في هذا نظّم ملايين اليهود الذين لا يؤمنون بالصهيونية كعقيدة وسياسة وأسلوب.³

ويشدد الدكتور أسعد رزوق في كتابه التلمود والصهيونية (الذي أصدره مركز الأبحاث لمنظمة التحرير الفلسطينية عام 1970م) على تبرئة اليهود من التمسك بعهدهم وتلمودهم، وأكد على أنهم علمانيون ديمقراطيون، لينفذ من هذه إلى المقصد البعيد لكتابه حيث يقول: "إنّ الذين يدفعون المدّ الصهيوني بيد دينية رجعيون سائرون في طريق مسدودة".⁴

ولكنّ الحقيقة أنّ لكلمة صهيون إحاءات شعرية دينية في الوجدان الديني اليهودي، فقد جاء في المزمور 1/137 على لسان جماعة إسرائيل بعد تهجيرهم إلى بابل: جلسنا على ضفاف أنهار بابل وذرفنا الدمع حينما تذكرنا صهيون.⁵

1. كنعان، محمد أحمد، بنو إسرائيل واليهود وتاريخ مصر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1،

1415هـ - 1994م، بنو إسرائيل واليهود وتاريخ مصر ص57.

2. التلمود ص39.

3. أبو مازن، الصهيونية بداية ونهاية. منشورات فلسطين الثورة. أيار 1976 ص 11 - 12.

4. الزعبي، محمد علي، حقيقة الماسونية، مطابع معتوق إخوان، بيروت، 1974م. ب.ط. ص153.

5. موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية ص 14/1.

ونصل إلى نتيجة هامة وهي أنّ كل هذه التسميات هي لنفس المسمّى، وإن اختلفت الظروف المحيطة بهذه الكتلة البشرية. وأهمّ ما يجب الإشارة إليه والوقوف عنده أنّ الصهاينة يحاولون بشتى الوسائل والسبل أن يضيفوا على أنفسهم وتسمياتهم هالة من القداسة والارتباط بالدين، ولكنّ كثيرًا منهم يرفض الفكرة الصهيونيّة ولا يتقبّلها، وقد وجدت الحركة الصهيونية أتباعًا وأنصارًا لها في بعض الأوساط النصرانية في العصر الحديث.

مصادر فكرهم

وفيه مبحثان:

1. العهد القديم (التوراة).
2. الشريعة الشفوية (التلمود).

مرّت اليهودية نسفاً دينياً بمراحل تطوّر تاريخية طويلة متعددة ومتناقضة¹، لذلك تتسم بتعدد كتبها المقدّسة. ويعود هذا إلى عدة أسباب، من أهمّها فكرة العقيدة الشفويّة الحلويّة، التي تضفي القداسة على كتابات الحاخامات الدينيّة واجتهاداتهم، بل تعادل بين الوحي الإلهي (التوراة) والاجتهاد البشري (التلمود).

الشريعة المكتوبة أو التوراة المكتوبة: (الوحي الإلهي)

وهي إشارة إلى الشرائع التي تلقاها موسى عليه السّلام مكتوبة. وتشير الكلمة بالدرجة الأولى إلى أسفار موسى عليه السّلام الخمسة. ولكنها تشير كذلك إلى كتب الأنبياء وكتب الحكمة والأمثال باعتبار أنّها هي الأخرى كتب مدوّنة.

1 موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية. ج 5\ 83

الشريعة الشفوية أو التوراة الشفوية (التلمود): الاجتهاد البشري

وهي مجموعة فتاوى وأحكام وأساطير وحكايات وخرافات، وضعت لشرح وتأويل أسفار العهد القديم، وتناقلها حاخامات اليهود شفويًا على مدى قرون طويلة، ثم جمعت ودوّنت في القرن الثاني الميلادي في التلمود...

وبعض الحاخامات جعل التفسير الحاخامي مرجعًا أقوى من العهد القديم (الوحي الإلهي)، لأنّه صورة معادلة للشريعة جاءت متأخرة عنها. وكانت بعض قرارات الحاخامات تتعارض تعارضًا صريحًا مع شريعة موسى عليه السّلام أو تفسّرها تفسيرًا يبيح مخالفتها.¹

وكشف النقاد أنّ أجزاء التراث اليهودي قد نمت وتطورت خلال أكثر من 1600 سنة، وأنّ أيّ سفر لم يأت دفعة واحدة، وأنّ كهنة اليهود لم يكتبوا أيّ سفر من أسفارهم المقدّسة، إلّا في عصر متأخر كثيرًا عن العصر الذي ادّعوا أنّ السفر كتب فيه، وأنّ بعض هذه الأسفار قد نُسب إلى غير صاحبه أو شاركه فيه غيره. وأنّ كثيرًا ممّا كتبه قد ضاع أو اختفى، ومن ذلك أسفارًا كاملة. وأنّ معظم تعاليم شريعتهم بقي يُتداول شفهيًا مدى أجيال، فتعرّض لما يتعرّض له كلّ ماثور شفوي من تحوير تلقائي أو متعمّد، ثمّ سجّل متفرّقًا قبل تسجيله منظمًا في سفر أو أسفار. فتعرّض خلال تسجيله متفرّقًا ثمّ مجتمعًا لما لا بدّ أن يتعرّض من أخطاء الناسخ وأهوائه، وأنهم لم يدوّنوا هذا التراث إلّا اضطرارًا وعلى مراحل، ولم يكن ذلك في أيّ مرحلة إلّا تحت ضغط الأحوال السياسية والاجتماعية القاسية التي خضعت لها جماعتهم في علاقاتها الداخلية والخارجية خلال تلك المرحلة.²

ويتبين للنقاد أنّ محتويات هذه الأسفار ليست وليدة الفكر اليهودي وحده، بل إنّ معظمها مستعارة من مآثورات الأمم التي خالطوها خلال عهود تجولهم -وعهود استقرارهم- وأهمّها مآثورات البابليين والآشوريين حتى الهنود والفرس والمصريين.³

1. المصدر السابق ج27\1 و28.

2. التونسي، محمد خليفة، كنوز التلمود، مكتبة دار البيان، الكويت، ط1، 1409هـ - 1989م، ص14.

3. كنوز التلمود ص15.

والكتاب المقدس عند اليهود هو عبارة عن مجموعة أسفار جمعها رجال المجمع الأكبر بعد الرجوع من سبي بابل.

التوراة، العهد القديم:

كلمة توراة مشتقة من الفعل أورى وعلم، ومنها المعلم وتعليم، ثم استعملت لتعبر عن شريعة موسى عليه السلام.¹

العهد القديم: هو التسمية العلمية لأسفار اليهود. وليست التوراة إلا جزءاً من العهد القديم. وقد تطلق التوراة على الجميع من باب إطلاق الجزء على الكل، أو لأهمية التوراة ونسبتها إلى موسى عليه السلام، لأنه أبرز زعماء بني إسرائيل وعنده يبدأ تاريخهم الحقيقي. وكلمة التوراة تعني الشريعة أو التعاليم الدينية.

والعهد القديم مقدس لدى اليهود ولدى المسيحيين، ولكن أسفاره غير متفق عليها. ويقسم إلى ثلاثة أقسام: التوراة، أسفار الأنبياء والكتب أو الصحف.

القسم الأول: التوراة:

وتشمل أسفاراً خمسة هي، التكوين والخروج واللاويين (الأخبار) والعدد والتثنية. وتلك هي التي يطلق عليها أسفار موسى عليه السلام، وهي تحتوي على الشرائع والقوانين والشعائر والوصايا العشر التي أوصى الإله بها موسى عليه السلام، كما تضم أخباراً تاريخية عن جماعة يسرائيل.

القسم الثاني: "أسفار الأنبياء":

ويتضمن ما وقع للعبرانيين من أحداث بعد موت موسى عليه السلام حتى هدم الهيكل المقدس وينقسم إلى قسمين.²

1 جذور البلاء ص 9.

2 موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية ج8\5.

- 1- أسفار الأنبياء المتقدمين وتشمل الأسفار الآتية:
يشوع، قضاة، صموئيل الأول، صموئيل الثاني، الملوك الأول والملوك الثاني.
2. أسفار الأنبياء المتأخرين وتشمل الأسفار الآتية:
أشعيا، أرميا، حزقيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عويديا، يونان، متى، ناحوم، حبقوق، صنفنيا، حجي، زكريا وملاخي.

القسم الثالث: كتب الحكمة والأناشيد:

- وهي مجموعة من الأسفار التي تضم موادًا تاريخية وقصصية وغنائية وعددها أحد عشر. وهذا القسم ينشعب إلى أنواع ثلاثة:
1. الكتب العظيمة وتشمل الأسفار الآتية: المزامير، الأمثال وأيوب.
 2. المجلات الخمس وتشمل الأسفار الآتية: نشيد الإنشاد، راعوث، المراثي، الجامعة وإستير.
 3. الكتب وتشمل الأسفار الآتية: دانيال، عزرا، نحميا وأخبار الأيام (الأول والثاني).

ومجموع هذه الأسفار تسع وثلاثون سفرًا، وهي الأسفار التي تعتمد عليها الكنيسة البروتستانتية. أما الكنيسة الكاثوليكية فإنها تضيف سبعة أسفار أخرى هي: طوبيا، يهودية، الحكمة، يسوع بن سيراخ، ياروخ، المكابيين الأول والمكابيين الثاني. وقد أضاف المسيحيون إلى كل ذلك الكتب الخارجية أو الخفية (أبوكريفا)، ثم أضافوا العهد الجديد وقد اتخذ كل هذا اسم "الكتاب المقدس".¹

والعهد القديم سجلّ فيه شعر ونثر وحكم وأمثال وقصص وأساطير وفلسفة وتشريع وغزل ورتاء، مع بلاغة أسلوب وفصاحة عبارات في كثير من الحالات.² ويشار إلى كتب العهد القديم بكلمة أسفار. ويقسم السفر إلى إصحاحات ويقسم كل إصحاح إلى

1. موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية ج85\5.
2. اليهودية ص238-239-240 مختصرًا.

فقرات وكل فقرة إلى مقاطع.

والواقع أنّ تدوين العهد القديم بدأ في فترة زمنية تبعد عن موسى عليه السّلام مئات السنين، وكذلك عن كثير من الأحداث التي تم التأريخ لها. كما أنّ عمليّة التدوين لم تتم دفعة واحدة وإنما تمت خلال مدّة زمنيّة طويلة. وتمّ اختيار بعض النصوص المقدّسة من بين نصوص أخرى مقدّسة...

أمّا كتب الأنبياء، فمن المرجّح أنها دوّنت أثناء المرحلة الفارسية فيما قبل عام 333ق.م... وقد جمعت أسفار الأنبياء ونظمت خلال الفترة الممتدة من القرن السادس حتى القرن الثالث قبل الميلاد، ويبدو أنها ألّفت في فترة كانت فيها أسفار موسى عليه السّلام مجهولة منسيّة إذ ينذر أن تجد فيها ذكرًا لاسمه، ويبدو أنّ بعض الأنبياء أيضًا (عاموس مثلاً) لم يكن لهم به علم...

أمّا القسم الثالث، وهو كتب الحكمة والأناشيد، فقد ألّف بعضه أثناء عصر الأنبياء، ولكنها لم تضم إلى كتب الأنبياء باعتبار أنها لم تكن ثمرة الوحي الإلهي. أمّا الكتب ذات الطابع النبوي مثل دانيال وعزرا والأخبار، فلا بدّ أنها كتبت في مرحلة متأخرة، بحيث لم يمكن ضمّها إلى كتب الأنبياء. ولقد ضمت أسفار الحكمة والأناشيد، ولكنها لم تعتبر جزءًا من العهد القديم إلا في القرن الثاني قبل الميلاد.¹

وقد ترجمت هذه الأسفار إلى اليونانية زمن بطليموس فيلادلفوس (285-247ق.م) بالإسكندرية على يد سبعين عالمًا من اليهود. ثم ترجمت إلى اليونانية الحديثة وإلى اللاتينية، وإلى العربية لأول مرة حوالي العام 942 ميلادية، بواسطة العالم سعدي الفيومي. وتكوّن هذه الأسفار الأساس الأوّل للدين اليهودي بما فيه من شريعة وتقاليد وطقوس كما يكوّن التلمود الأساس الثاني.²

ونحن المسلمون نعتقد أن الكتاب النازل على موسى عليه السّلام بريء من هذا اللغو، والتوراة الحالية تأليف بشري سيطرت عليه أمور ثلاثة:

1. موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية ج85\5.

2. جذور البلاء ص 10.

الأول: وصف الله بما لا ينبغي أن يوصف به. وإسقاط صورة ذهنية معتلة على ذاته ﴿سُبْحٰنَهُ وَتَعٰلٰى عَمَّا يَقُوْنُوْنَ عُلُوًّا كَبِيْرًا﴾¹

الثاني: إبراز بني إسرائيل وكأنهم محور العالم وإكسير الحياة وغاية الوجود، فهم الشعب المختار للسيادة والقيادة ولا يجوز أن ينازعوا في ذلك.

الثالث: تحقير الأمم الأخرى وإرخاص حقوقها وإلحاق أشنع الأوصاف بها وبأندبيائها وقادتها.²

بدأ اليهود بتدوين التوراة والكتب المقدسة، وكانت لم تكتب أو تدون خلال الفترة الماضية، والتي تقدّر ب700 سنة منذ عهد موسى عليه السلام، ولم يكن تدوينها على دفعة واحدة. ولكنها كتبت على أجزاء متفرقة، وبدون نظام معيّن، بل كان اليهود يكتبون كلّاً على حدة أجزاءً متفرقة منها، مما أفسح المجال لكثير منهم بالتلاعب والتحريف في ما يكتبه. أو إضافة ما يريده إليها من أقاويل وخرافات أو تفسيرات أو تأويلات.. كل ذلك بدون رقيب أو حسيب. واستغرقت كتابة التوراة عقوداً طويلاً من الزمن قدرها المؤرخون بأربعمائة سنة ظلت التوراة بها تكتب، أضيف لها في هذه المدة الطويلة أشياء كثيرة من الأوهام والخرافات وكلام الكهنة والأخبار، فليست كلها كلام الله عزّ وجلّ، بل داخّلها التحريف والخط الشديد.³

وقد ذكر السيوطي في الدرّ المنثور روايات أخرى إسرائيلية خرافية في جمع التوراة، منها ما رواه ابن أبي شيبة وابن المنذر عن ابن عباس وملخصه: أنّ الله سلط بختصر على بني إسرائيل فمزق التوراة وخرّب بيت المقدس، وعزير يومئذٍ غلام فلحق بالجبال يتعبّد فيها، وأنّ الدنيا تمثّلت له في صورة امرأة فأخبرته بأنّه سينبع في مصلاه عين ماء، وتنبّت فيه شجرة، فإذا شرب من العين وأكل من الثمرة جاءه ملكان. ومعهما قارورة فيها نور، فأوجراه ما فيها فألهمه الله التوراة.⁴

1. الإسراء 43.

2. الغزالي، محمد، قذائف الحق، دار القلم، دمشق، ط1، 1411هـ - 1911م، ص23.

3. فلسطين التاريخ المصور ص49.

4. تفسير المنار 328\10.

الشريعة الشفوية: (التلمود)

يعتقد اليهود أنّ التوراة ليست هي كلّ الكتب المقدسة، وإنما هناك بجانبها روايات شفوية تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل، وتلك الروايات هي التي تعرف بالتلمود. والتلمود، كلمة مشتقة من الجذر العبري "الأمد" الذي يعني الدراسة والتعلم كما في عبارة "تلمود توراة" أي "دراسة الشريعة". ويعود كلّ من كلمة "تلمود" العبرية وكلمة "تلميذ" العربية إلى أصل سامي واحد.

والتلمود صورة صادقة التعبير عن الشخصية اليهودية التي أفرزته... فهو يحابي دفائن النفسية اليهودية، ويبرز مكنوناتها الغائرة، ابتدعه شيوخ إسرائيل تحت وطأة معاناة الشتات والاعتراب والتقطيع في الأرض، وتحت أثقال الأسر والقهر والتشرد، الذي ملأ نفوسهم هواناً ومذلة، وفجّر فيها كل مخزونها من طاقات الحقد والحسد والكراهية والبغض، والرغبة المحمومة في الانتقام والتجبر، الانتقام من الأمم كلها، والتجبر على الأمميين (غير اليهود) أجمعين.

وهو من أهم الكتب الدينية عند اليهود. فهو الثمرة الأساسية للشريعة الشفوية أي تفسير الحاخامات للشريعة المكتوبة (التوراة)، ويخلع التلمود القداسة على نفسه باعتبار أنّ كلمات علماء التلمود كان يوحى بها الروح القدس نفسه، باعتبار أنّ الشريعة الشفوية مساوية في المنزلة للشريعة المكتوبة.

ومنذ وضع حاخامات اليهود كتاب (التلمود) حرصوا على أن يكون تداوله بينهم محاطاً بالسرية الشديدة، لأنّ محتوياته لا تخرج عن أمرين لا ثالث لهما: أولهما: التفكير الخرافي الذي لا يصدّقه عقل، ولم تجر به عادة، ولم يطابقه واقع، وبخاصة في الأوصاف التي يصفون بها الله عزّ وجلّ، ويصفون بها رسله الكرام والملائكة المقربين... أو يفسّرون بها بعض الظواهر الكونية كالزلازل، فسببها

-عندهم- دموع بكاء (الله) سبحانه، التي يذرفها حزناً على تعاسة أولاده اليهود
فترجف منها الأرض فتحدث الزلازل.¹

ثانيهما: الحقد والاحتقار اللذان يخصّون بهما الشعوب غير اليهود، وفي مقدمتهم
المسيحيين، الذين يصفهم (التلمود) بـ (الحيوانات) النجسة، ويستحلون دماءهم
وأعراضهم، ويرون قتلهم قرية إلى الله.²

وهو مُصنّف للأحكام الشرعية أو مجموعة القوانين الفقهيّة اليهوديّة، وسجّل
للمناقشات التي دارت في الحلقات التلمودية حول المواضيع القانونية (هالاخاه)
والوعظية (أجاداه)... ويضم داخله وجهات نظر شتى متناقضة تماماً. فهو عبارة عن
موسوعة تتضمن الدين والشريعة والتأمّلات الميتافيزيقية والتاريخ والآداب والعلوم
الطبيعية. كما يتضمن علاوة على ذلك فصلاً في الزراعة وفلاحة البساتين والصناعة
والمهن والتجارة والربا والضرائب وقوانين الملكية والرقّ والميراث وأسرار الأعداد والفلك
والتنجيم والقصص الشعبي، بل ويغطي مختلف جوانب حياة اليهودي الخاصة.

ويعتبر بمثابة سجّل حافل يبيّن خلال المناقشات والشروحات والأمثلة والردود
والروايات كيف كان اليهود يحاولون تطبيق الوصايا والفرائض التوراتية في حياتهم
اليومية وحين يصطدم التطبيق العملي بالنصوص المقدسة تبدأ المشكلة بالظهور
وتكثر الاجتهادات بينما يتصاعد البحث عن الحلول والمخارج.³

وصار مساوياً لتوراة موسى عليه السّلام في المرتبة، ولم يعد في وسع أي يهودي
مخالفته. وأخذت درجة قداسته في الازدياد حتى أصبح أكثر قداسة من التوراة نفسها.
وقد قال أحد الحاخامات: يا بني كن حريصاً على مراعاة أقوال الكتبة -أي
الحاخامات واضعي التلمود- أكثر من حرصك على أوامر التوراة، لأنّ أحكام التوراة
تحوي الأوامر والنواهي. أما شرائع الكتبة، فإنّ من ينتهك واحدة منها يجلب على نفسه
عقوبة الإله. وقد جاء أيضاً أنه لا خلاص لمن ترك التلمود واشتغل بالتوراة، لأنّ

1. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص161

2. التلمود ص11-12.

3. المصدر السابق ص23.

أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى عليه السّلام، وهي أفضل من أقوال الأنبياء.¹

وهو كتاب تفسير وضعته قياده الدينية لأقليات متناثرة، كانت تعيش في قلق وخوف وإحساس بالخطر المحقق بها (الحقيقي والوهمي)، في عصور لم يكن يعترف فيها بحقوق أعضاء المجتمع، ناهيك عن حقوق أعضاء الأقليات التي كانت تلعب دور الجماعة الوظيفية المرتبطة بالطبقة الحاكمة، ولكنها كانت غير محبوبة منها، كما كانت قريبة من الطبقات الشعبية لكنها مكروهة منها. فقد كانت هذه الجماعة تعيش في عزلة عن الجميع، وكان التلمود من أهم عوامل هذا العزل..

وتحوّل إلى صياغات لفظية يمارسون من خلالها الانتقام من أعدائهم، عن طريق الحطّ من شأنهم وإظهار التفوق اليهودي، خصوصًا في آخر الأيام بعد عودة الماشيح حيث يبیطشون ويبطش ربّهم بكل أعدائهم.²

وأصبح كتابًا جامعيًا مانعًا بشكل لا يكاد يدع للفرد اليهودي حرية الاختيار في أي وجه من وجوه النشاط في حياته العامة أو الخاصة، إن هو أراد تطبيق ما جاء فيه.³

أصل التلمود:

بعد دمار القدس ومعبدها عام 70م اختفت طبقة الكهنة الصدوقيين بأجمعها، إذ قتلهم الرومان وأصبح اليهود من دون هيكل ومن دون عبادة، إذ لم تكن كتب التوراة مباحة حتى يقرأها عامة الناس.. وكادت الديانة اليهودية تختفي لولا بعض الفقهاء الفريسيين الذين لم يشاركوا في التمرد ضد السلطة الرومانية، وهرب زعيمهم جوناثان بن زكاي من القدس أثناء الحصار، وسلم نفسه إلى الجنود الرومان فسمح له الحاكم الروماني بأن يقيم "بيت مدرّاش" أي مدرسة للدراسات التوراتية بالقرب من يافا، صارت بعد ذلك مركز اللقاء بالنسبة إلى الباحثين اليهود.

1. التلمود ص33.

2. المصدر السابق ص44.

3. المصدر السابق ص49.

وهناك اجتمع بعض الفريسيين عند نهاية القرن الميلادي الأول، لاختيار الكتب التي يمكن لليهود قراءتها كجزء من عبادتهم.

وهؤلاء الفقهاء عرفوا بعد ذلك باسم الأخبار في العربية، ولم يكن الأخبار يلتزمون في تفسيراتهم بحرفية النصّ، إذا أرادوا تطبيق القواعد الشرعية الموسوية على الحالات التي استجدت في حياتهم ومجتمعاتهم، ولذلك قالوا إنّ موسى عليه السّلام تلقى إلى جانب الشرائع الموجودة في التوراة، شرائع أخرى شفوية، وتعليمات بطريقة تفسير النصوص تناقلتها الأجيال شفاهة حتى وصلت إليهم. وبهذه الطريقة أعطوا شرعية لتفسيراتهم الجديدة خصوصاً تلك التي تتعارض صراحةً مع بعض النصوص المكتوبة.

وعمل الأخبار تدريجياً على تدعيم سلطتهم على طوائف اليهود وساعدهم الرومان في ذلك حتى أصبحوا يحتلون المكانة الاجتماعية نفسها التي احتلها الكهنة قبل ذلك.¹ وتذهب اليهودية الحاخامية إلى أنّه عندما ذهب موسى عليه السّلام إلى جبل سيناء ليتلقى الوحي، لم يعطه الإله توراة أو شريعة واحدة، وإنما أعطاه توراتين أو شريعتين: إحداهما مكتوبة والأخرى شفوية. وجاء في المشناه "تلقى موسى عليه السّلام التوراة من الله في سيناء وسلمها إلى يوشع، ويوشع قام بتسليمها إلى الشيوخ، والشيوخ إلى الأنبياء، والأنبياء سلموها بدورهم إلى رجال المجمع الأكبر الذين قاموا بتسليمها إلى فقهاء اليهود الحاخامات) وهؤلاء يضمّن معلمي المشناه² والشراح والمفسرين والفقهاء". وهي عملية استمرت بعدهم فظهر الشراح واضعو الإضافات وشخصيات أساسية مثل راشي والحاخام إياهو.³

وكل التفسيرات التي يأتي بها الحاخامات اليهود والمحاضرات التي كانت تلقى في حلقات ومدارس التلمود، بل الإجماع الشعبي، كل هذه الأشياء ترقى إلى مستوى

1. تاريخ اليهود ص93-99.

2. الكتابات التي تحتوي على تفسيرات الأخبار جمعها الحاخام يوضاخ من التعامل الشفهية والروايات المتناقلة بينهم.

3. موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية 281.

الوحي الإلهي، أو على الأقل تصطبغ بصبغة القداسة...

وفكرة الشريعة الشفوية تخدم ولا شك مصلحة الحاخامات لأنها ترفعهم إلى مصاف الإله أو الأنبياء، وتجعلهم على اتصال دائم بالإله، كما تعطيهم حقّ تغيير وتبديل كلماته.

ثم جاءت بعد ذلك الكتابات الريانية التي تتضمن تفاصيل أكبر الروايات، بعضها على شكل أسطوري يسمى مدراش وبعضها على شكل قانوني يسمى التلمود.¹ وأقدم الكتابات التي تحتوي على تفسيرات الأخبار تسمى "مشناه" التي جمعها أحد الحاخامات من التعالم الشفهية والروايات المتناقلة بينهم²، وهو الحاخام يوضاص، جمعها بعد المسيح بمئة وخمسين سنة.³

وسميت كذلك لأنها تنثي أو تعيد الشريعة المكتوبة (التوراة) وتؤاخيها حين تفسرها. كما أن كلمة المشناه تعني الشفوية وهي بذلك تقابل كلمة المقرأة أي المقرؤة والمكتوبة أيضًا وهي التوراة، إذ لا يُقرأ من الكلام إلا ما هو مكتوب.⁴ ولأنّ شرازم اليهود عاشوا هنا وهناك، تبعًا لتقلبات الأوضاع السياسيّة والمعاشيّة، وعلى هذا امتلكت كل شردمة مشناه خاصة بها. وظهر إلى الوجود أكثر من مشناه بروايات مختلفة. وغالبية اليهود آمنوا بعصمة الحاخامات، وبتصالهم بالوحي، ولذلك عدّ كل ما يصدر عن الحاخام له صفة القدسية والإلزام الشرعي.

وكثر الكتاب والمجتهدين بطريقة مذهلة، إلى حدّ أنها وصلت في كثير منها إلى تناقضات وأساطير لا يتقبلها عقل بشري سليم.

أدرك الحكماء اليهود أنّ العهد السياسي لليهود قد ولى لذلك حاولوا التعويض بجمع وحدتهم في وحدة دينية والحفاظ على تراثهم الروحي، فأقاموا المدارس الدينية في

1. تاريخ اليهود ص99.

2. اليهودية ص270.

3. الخطيب، عبد الكريم، اليهود في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط2، 1400هـ - 1980م، ص14.

4. كنوز التلمود ص13.

أماكن تواجدهم، وكان أهمها مدارس بغداد، وانكبوا على دراسة نصوص العهد القديم، وأخذ الفقهاء يدرسون شروح العهد القديم لتلاميذهم.¹

في السنين التالية أدخل حاخامات فلسطين وبابل كثيرًا من الزيادات على ما دَوَّن يوضااص. وحاول بعض الحاخامات توحيد مواد المشناه، ودمجها وتبويبها. وفي عام 200م قام الحاخام يهودا هاناسي، المعروف بالأمير، والذي يدعى رابي، بجمع المشناعوت (جمع مشناه) كلها، فدمجها وهذبها وأخرج منها مشناه واحدة جديدة، بنصّها ولغتها ومحتواها، في مجموعة متكاملة متناسقة، وحين عمل عملية الدمج هذه، لم يعترف بمؤلفي أو برواة نصوص المشناه التي دمجها، ولم يذكر اسم واحد منهم.

ومن هذا اختار ستة أقسام، دعاها بحسب المادة التي تعالجها، وأعلن أنّ هذه المشناعوت مقدسة بالنسبة لعموم اليهود. إنما لم يكن موقف رابي موحدًا حيال كل المشناعوت. فقد ترك بعضها كما هو، وقدمه في حالته الأصلية. وأضاف إلى بعضها الآخر تعليقات قصيرة اعتراضية من عنده. في حين غير قسمًا منها بالكامل، لتغيّر بعض العادات زمن رابي عن زمن وضع المشناه.²

وتبلغ هذه التعاليم (613) فيها 248 أمرًا و365 نهيًا في أمور التطهر وتناول الطعام والصلاة والعبادة ومراعاة السبت

وأتم الرّي يهودا سنة 216م تدوين هذه الزيادات والروايات الشفوية، وأصبحت كلمة المشناه تضم كل ما كتب من عهد يوضااص إلى عهد الرّي يهودا، أما الغرض من المشناه فهو إيضاح وتفسير ما التبس في شريعة موسى عليه السّلام.³

وفي القرن الأول الميلادي، قدم عدد من المعلمين نسخًا مشنائية مختلفة، عكست كل منها رأي صاحبها الخاص. ويذكر ربحي كمال أنه لما كثر عدد الكتاب

1. العبريون لغة وتاريخ ص49.

2. فياض، نبيل، رسائل تلمودية-1 رسالة التلمود البابلي، رسالة عبدة الأوثان، دار الغدير، ط1، 1991م. ص5.

3. طبارة، عفيف عبد الفتاح، اليهود في القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط10. ص14.

والمجتهدين الناظرين في الشريعة وكثرت الأحكام الصادرة عن المجامع المختلفة قام شمعون بن جاملئيل أحد فقهاءهم في طبريا سنة 166م مع مجموعة من زملائه وتلامذته بتنسيق تلك الأحكام والنظر فيها فجمعوا ما تيسر لهم جمعه منها وعكفوا على غربلته وتبويبه إلى أن أتمّه يهودا هاناسي وتلامذته حوالي 216م.¹

وأصبحت التعاليم الواردة في التوراة والمشناه والتلمود (وهي التي اعتبرها الأحبار كتباً مقدّسة مصدرها الوحي) واجبة الاتباع من دون مناقشة إلا في حال عرضت حياة الإنسان للخطر بسبب اتباعها. ولم تكتمل نسخ روايات التلمود الا عند انتهاء يهودية الأحبار مع ظهور الإسلام، في بداية القرن السابع إذ أدى ظهور الإسلام إلى تغيير أساسي في الفكر اليهودي.²

ويتكون التلمود من نص وشرح وتعليق، وتعليق على التعليق، وإضافات شتى. واستمرت عملية وضعه مئات الأعوام في أزمنة وأمكنة مختلفة... أي أنّ كتابته استمرت عبر التاريخ، واشترك فيها ما يزيد عن ألف حاخام، فهو يتكون من تراكم مستويات على مستويات أخرى دون أن تتفاعل معها... ولذا يمكننا أن نقول أنّ التلمود ليس الثمرة النهائية للتفكير بقدر ما هي عملية التفكير نفسها، ولكنه على أية حال ليس تفكيراً يتسم بحدّ أدنى من الوحدة، بل ينبع من حركات اجتماعية وثقافية واقتصادية مختلفة ويتأثر بها.³

وتنقسم المشناه إلى ستة أقسام (سداريم) وأبوابها 63 وفصولها 525.⁴

1. **سدر زراعيم:** أي البذر أو الإنتاج الزراعي، ويعنى بالقوانين الدينية الخاصة بالزراعة والحاصلات الزراعية وبنصيب الحاخام من الثمار والمحصول، مسبوقا بقوانين عبادة الله وفيها 11 باباً وفصولها 75.

2. **سدر موعيد:** أي الأعياد ويعنى بالأعياد والفصول والمواسم (والسبت) والأحكام

1. العبريون لغة وتاريخ ص 50.

2 تاريخ اليهودية ص93-96 بتصرف.

3 التلمود ص45

4 كنوز التلمود ص 21

الخاصة بها والاحتفالات والطقوس التي يجب القيام بها في كل موسم وفيها 12 بابًا وفصولها 88.

3. **سدر ناشيم:** أي النساء وفيه النظم والأحكام الخاصة بالزواج وفيها واجبات الرجل والمرأة وأحكام الخطبة والطلاق والخيانة الزوجية والإرث والوصية والنذور والإيمان وفيها 7 أبواب وفصولها 71.

4. **سدر نزيقين:** أي الأضرار والعقوبات (الجزاءات) ويتناول الأحكام المتعلقة بالأشياء المفقودة والبيع والمبادلة والربا والغش والاحتيال، كما يعنى بالحديث عن عصر المسيح ومحاكمته وصلبه. وهذا الكتاب موضع اهتمام الذين حاولوا إرجاع ما يسمى بالأخلاق اليهودية إلى تعاليم التلمود. وفيها 10 أبواب وفصولها 74. وهو يوضح تشكيل السنهدين أي المحكمة العليا ونظامها وسلطاتها.

5. **كتاب قداشيم:** أي الأمور المقدسة ويحوي الشرائع الخاصة بالذبح الشرعي والطقس القرباني وخدمة الهيكل والتضحية. ويقال أنّ واضعي المشناه قد أدركوا أنّه لم يعد هناك في المستقبل القريب احتمال لإعادة بناء الهيكل، ولذا فقد وضعوا فيه وصف الهيكل والقوانين الخاصة به، وأصبحت دراسة قوانين الهيكل بديلاً دينياً للطقوس المقدسة التي يقوم بها الكهنة في المعبد. وفيها 11 بابًا وفصولها 91.

6. **كتاب طهاروت:** أو الطهارة ويعالج أحكام الطهارة والنجاسة للأجسام والملابس والأوعية والأمتعة والفرق بينهما، وفيها 11 بابًا وفصولها 126.

وهذه الكتب الستة أو السداريم (جمع سدر)، تنقسم بدورها إلى أحكام فرعية أو مباحث... ويقال لها الأسفار أو المقالات. ويتناول كل كتاب موضوعًا بعينه في عدة فصول ويتألف كل فصل بدوره من فقرات عديدة...¹

وعلى هذا فالمشناه والجمراه نواة اتسعت بعهود مختلفة وأفلام متعددة وباب فتحه يوضّاح فولجّه كثررون، ولا سيما اللاويون. وهؤلاء اللاويون طالما رأيناهم يفسرون النصوص بما يريدون. وكانوا يزعمون أنّ موسى عليه السلام أودعهم شيئاً ليس

1 موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية ج144\5.

مكتوبًا، أو وحيًا مكتوبًا ومنحهم حقّ تفسيره، كما منحهم حقّ تفسير ما أودعهم إياه مكتوبًا...

وقد ظلت المشناه أهم كتب اليهود المقدسة والمصدر الحقيقي للتشريع والأحكام والفناوى، رغم كل الأبهة الشعائرية التي تحيط بالعهد القديم.¹ واستعصت المشناه على بعض القراء، فأخذ علماء اليهود يكتبون عليها حواشي كثيرة وشرحوها وسميت هذه الحواشي وتلك الشروح باسم جماراه. وجماراه كلمة آرامية تعني التتمة أو التكملة أو الدراسة. وهي عبارة عن التعليقات والشروح والتفسيرات التي وضعها على المشناه الفقهاء اليهود الذين يسمون بالشرح في الفترة 220-500م، وهي تأخذ عادة شكل أسئلة وأجوبة.

وتعد الجماراه جزءًا من الشريعة الشفوية. لكن تسميتها بالجماراه أي المكملة هي من قبيل المجاز. فالشرح لم يكتفوا بالتفسير والتوضيح فحسب بل قاموا بالتعديل حتى تطابق المشناه ظروف الزمان والمكان. أي أنهم فعلوا بالمشناه ما فعله رواة المشناه بالعهد القديم. وقد يكون الشرح في عشرين إلى ثلاثين صفحة أو أكثر أو أقل، لحكم واحد هو في عبارة المشناه في أسطر. ومن هنا تضخمت مجلدات التلمود مع الزمن.² وكما أنّ المشناه أطول من العهد القديم فإنّ الجماراه أطول من المشناه. وهناك جماراتان أحدهما فلسطينية والأخرى بابلية. ويبلغ عدد كلمات الأولى نحو ثلث عدد كلمات الثانية.

ولغة الجماراتين هي الآرامية الشرقية في حالة التلمود البابلي والغربية في حالة التلمود الفلسطيني. وقد كتبنا بأسلوب إيضاحي بسيط. وإذا كان معظم المشناه تشريعيًا قانونيًا فإنّ الجماراه تجمع بين القانون والمواظ والقصاص.³ ومن المشناه والجماراه يتكون التلمود. فالتلمود هو تعاليم ديانة اليهود وآدابهم.

1 المصدر السابق ج145\5.

2. التلمود ص 284.

3. موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية ج145\5.

وقد استغرقت أعمال الشروح وتدوينها مع تدوين نصّ موحدّ للمشناه أكثر من خمسة قرون، ونتيجة لذلك بات لدى اليهود نصان للتلمود: الأول بابلي، وهو عمل موسوعي كبير في ثلاثين مجلد، وفيه - حسب بعض التقديرات - مليونان ونصف المليون كلمة، والثاني أورشليمي (الفلسطيني)، ويبلغ حجمه حوالي ثلث البابلي، وهو طبعًا لا يحتوي المادة نفسها ولا الاهتمامات، ولا حتى الطروحات.

ومن المؤكد أنه لا تلمود قبل المسيح، لأنّ الإنجيل حمل حملة قاسية على الرؤساء الروحيين، لا سيما الصدوقيين والفريسيين ونادى بأنّ كثيرًا من تفاسيرهم تستند للوهم والارتجال والأناية....

جرى هذا ولم نسمع أحدًا منهم قال هذا في التلمود، أو أحدًا من تلاميذ المسيح قال لقد سمّمكم التلمود... ولقد فارقهم المسيح وهم يمعنون في الضلال...

وسعار الحقد والمكابرة والتحدّي الذي تأجج في قلوب الفريسيين دفعهم للاستئثار بكلمة "إنّ موسى عليه السّلام كان يسلم لللاويين التوراة مخطوطة وشروحها شفوية تشتمل على أسرار تقتضي حياة إسرائيل ونشرها وكشفها تدريجيًا ليتقي ما سوف ينتابه بين الشعوب"... هذه الأسرار أو التفاسير الموسوية الشفهية هي برأيهم إلهامات روحية لا بدّ لإسرائيل في المستقبل من الاهتداء بها... ومن هذه النقطة العجيبة انطلق كهنة التلمود يسيطرون ما يريدون بأيّد مختلفة وعصور وديار متغايرة. وقد طوّروا تلك المدوّنات بما يلائم خصائص العصور والأمكنة، فشكّلت بمرور الزمن مجلدات رأيناها عشرين منذ عام 1909م ولا يزال باب الإضافة والتعديل مفتوحًا.¹ ولما نظر المتأخرون منهم إلى هذا التّأليف، وإنه كلما مرّ جيل عليه زادوا فيه، وأنّ هذه الزيادات المتأخّرة تناقض أوائل هذا التّأليف علموا أنهم إن لم يقطعوا ذلك، ويمنعوا من الزيادة فيه، أدّى إلى الخلل الظاهر والتناقض الفاحش. فأوقفوا الزيادة فيه، ومنعوا ذلك وحظروا على الفقهاء الزيادة فيه. وحزّموا أن يضاف إليه شيء آخر، فوقف على ذلك المقدار. وخلاصة القول أنه اجتمع لليهود الكتابان اللذان اجتمعت فقهاؤهم على تأليفهما.

1. حقيقة الماسونية ص122-124 بتصرف.

وهما (المشناه والتلمود).

أما المشناه: فهو الكتاب الأصغر. ومبلغ حجمه 800 ورقة.
وأما التلمود: فهو الكتاب الأكبر. ومبلغه نحو نصف حمل بغل لكثرتة. ولم يكن
الفقهاء الذين ألفوه في عصر واحد، وإنما ألفوه في جيل بعد جيل.¹

التلمود الأورشليمي

وهو الذي تمّ إنجازه في طبريا، وفيه تسعة وثلاثون مبحثاً من المشناه، وأسلوبه
أوضح وأجلى من أسلوب التلمود البابلي، ويمتاز عنه بإيجاز مباحثه، وكان الفراغ من
تهذيبه في أواخر القرن الرابع. ويعتبر العلامة "موسى بن ميمون" أفضل من وضع
شروحاً له، فقد اختصره في جميع أجزائه وسمى كتابه "مشني تورا"، ولا يزال هذا
السفر حافظاً للشريعة الإسرائيلية حتى اليوم. وقد تمّ تأليفه بالعبرية والعربية آنئذ في
مصر.

التلمود البابلي

تمّ في بغداد، وكان الفراغ منه في أواخر القرن الخامس بعد الميلاد ويتضمن
الأقسام الأربعة الأولى من الجماراه. وفيه 36 مبحثاً في 2947 صفحة وقد وضع
أحسن شروحه راشي.² وبلغت مجلدات التلمود البابلي أكثر من عشرين مجلداً
ضخماً.³

جاء في كتاب الأدب العبري ص 12 للدكتور جوزيف باركلي:
"يختلف تلمود فلسطين كثيراً عن مثيله البابلي كمّاً وكيفاً: فمادة تلمود فلسطين ثلث
ما يحتويه تلمود بابل".

كما أنّ تلمود فلسطين ينقصه العمق المنطقي والشمول الجامع الذي يمتاز بهما

1. بذل المجهود في إفتح اليهود ص187.

2. العبريون لغة وتاريخ ص52.

3. جذور البلاء ص 73.

تلمود بابل. ويرجع هذا إلى أنّ تلمود بابل أُلّف في فترة استغرقت قرناً من الزمان في سلام وأمن، ومن ثم اضطهد علماء يهود زمن البيزنطيين، فرحل قسم كبير منهم إلى فارس، وأقبلوا هناك على زيادة التوسّع في التفسير والشرح. ووضعوا تلموداً جديداً هو البابلي. وشرحوا المشناه التي وضعت في طبريا. أما تلمود فلسطين فجمع على عجل وفي ظروف غير مساعدة بسبب اضطهاد الرومان.

وتلمود فلسطين يختلف كذلك في لغته، فلغته عبرية تتخللها عبارات بالآرامية الغربية. أما تلمود بابل فأكثره بالآرامية الشرقية، نسخت فيه عبارات عبرية ويتضمن كلمات عبرية وسريانية ويونانية ولاتينية وكلدانية... ورغم هذا فهناك أوجه تشابه كثيرة بين التلمودين، لأنّ مصدرهما واحد كما أنّ بابل ليست بعيدة عن فلسطين. فكان علماء البلدين يتبادلون الزيارات ويستفيدون من آراء الآخرين.¹

وهو ليس كتاباً دينياً وحسب، وإنما هو أيضاً كتاب فلكلور الجماعات اليهودية. والواقع أنّ تناقضاته الداخلية لا تنصرف إلى موضوعاته ومنطقاته الدينية والفلسفية وحسب، وإنما تنصرف أيضاً إلى نوعه أو جنسه الأدبي، فهو كتاب فقه وقصص وحكم وأمثال. وعلى قارئ التلمود أن يفرق بين ما هو ديني وما هو شعبي.²

ويتمتع التلمود، كعمل تراثي، بخاصتين: فهو يقدم لنا، من ناحية، معلومات كثيرة جداً عن أعراف وعادات تاريخية قديمة، بدءاً بالطب الشعبي، حتى أسماء الأطعمة والمأكولات والأوثان، ومن ناحية أخرى، يعطينا التلمود "المفاتيح" التي تساعدنا في فهم الأسس التحتية للعقل اليهودي.³

إنّ فالتلمود عمل موسوعي ضخم، يتضمن آراء الحاخامين القدامى في مسائل لا حصر لها من الشريعة إلى الأدب، حتى الطب. وهو أهم عمل تشريعي يهودي بعد التوراة. فهو يمثل الشريعة الشفوية. مقابل الشريعة المكتوبة، أي التوراة. فالتقليد اليهودي يرى أنّه من أصل إلهي، نقل عبر موسى عليه السلام، فما إلى فَم - شفويّاً

1 التلمود تاريخه وتعاليمه ص 38-39.

2 التلمود ص 47

3 عبدة الأوثان ص 3

- إلى شيوخ إسرائيل، الذين تناقلوه بالطريقة ذاتها، حتى رأوا ضرورة تقتضي تدوينه.¹

ومرّ التلمود بالمراحل الآتية:

• المرحلة الشفهية (1250ق.م - 450ق.م): يتوارثونه شفاهًا في عصور الأمية والجهالة والوثنية والفساد الاجتماعي والجنسي والسياسي.

• مرحلة الكتابة (450ق.م - 500م): حوالي ألف سنة، في عصور الإبادة الجماعية لليهود على يد الدول الكبرى المجاورة له.² واستمرّ التحريف المتواصل فيه حتى طباعته (500م - 1523م): حوالي ألف سنة في العصور الوسطى، وما لقي اليهود فيه من اضطهادات وإبادة لهم بسبب التلمود.

وتواصل التحريف والحذف والزيادة فيه (1523م - 2000م) حوالي خمسمائة سنة، وبعد أن فضح التلمود وحوكم، وقاسى اليهود الأمرين، أخذ الحاخامات يضمّون إليه مجلدًا شفهيًا غير مكتوب.

وإذا جمعنا مدد هذه المراحل، يكون عمر التلمود حتى استقر بوضعه اليوم هو 3250 سنة.

وأحاطوه بهالة عظيمة من القداسة، فزعموا أنه أكثر أهمية وأعظم منزلة من التوراة فقالوا: التلمود وجد قبل الخليفة، ولولاه لزال الكون ومن يخالف حرفًا منه يمت³، وإذا خالف أحد اليهود أقوال الحاخامات يعاقب أشدّ العقاب لأنّ الذي يخالف شريعة موسى عليه السلام خطيئة قد تغفر، أما من يخالف التلمود فيعاقب بالقتل.⁴

وأصبح التلمود كتاب إسرائيل الأول، وهو بتعاليمه وعقائده، كتاب إسرائيل الأسود، وليس أدل على ذلك من قراءة نصوصه ومطابقتها على ما يجري في واقع الحياة من حوادث وتطبيقات. فالتلمود كتاب في غاية الخطورة، بل هو أخطر كتاب على الإطلاق. ولا تقتصر خطورته على أمة دون أمة، ولا تختص بملة دون ملة، لأنّ

1 المصدر السابق ص 4

2 إظهار الحق ج105/2-106.

3. جذور البلاء ص 83.

4. الكنز المرصود في قواعد التلمود 78.

ما يبثه في اليهود من غلّ وعداوة وبغض ورغبة محمومة في التجبّر والاستعلاء والتآمر والسيطرة، تشمل الشعوب كلها والأمم جميعها دونما استثناء!¹ وجاء فيه: من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت دون من احتقر أقوال الله. ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط لأنّ أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى عليه السّلام.²

ولم يكتف اليهود بتقديس التلمود الذي هو كلام أحبارهم وعلمائهم، ولم يكتفوا بأن يساوا التلمود بشريعة موسى عليه السّلام أو بالتوراة بل فضلوها على التوراة، حتى قال أحدهم: جمع إسرائيل أمام القدوس المبارك: يا رب الكون، حلوة هي كلمات أصدقائك (الحكماء الذين يفسّرون الشريعة) أكثر من جوهر التوراة.³

وجاء فيه: "أنّ الإله وافق على أنه يجب أن يفسّر الحاخامات ما قاله هو".⁴ ولم يكتفوا بذلك، بل جعلوا كلام أحبارهم أعظم من كلام الله.⁵ وأنّ الله يحتاج إليهم ليحلّ مشكلاته ومعضلاته في الأرض والسماء. وفي هذا يقول الربّي مناحم "إنّ الله يستشير الحاخامات على الأرض، عندما توجد مسألة مفصّلة لا يمكن حلها في السماء".⁶

ومما ورد فيه: "إنّ تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله وقد وقع يوماً الاختلاف بين البارّي وعلماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدل تقرّر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربيين واضطرّ الله أن يعترف بغلظه بعد حكم الحاخام المذكور.⁷

ويقول التلمود أنّ التوراة كالماء والمشناه كالخمر والجماراه كالخمر والعطر. والعالم لا يمكنه الحياة بدون مياه وخمر وعطر... ولهذا السبب فإنّ العالم لا يمكنه الثبات

1. التلمود ص13.
2. الكنز المرصود في قواعد التلمود 44 والخطيب.
3. عبدة الأوثان ص 108
4. المصدر السابق 97/2
5. اليهود في القرآن ص15.
6. المصدر السابق ص 16.
7. الكنز المرصود في قواعد التلمود 47، اليهود في القرآن 16.

بدون التوراة والمشناه والجماراه. فالشريعة هي كالمح والمشناه كالبحار والجماراه كالتوابل. والعاله لا يستطيع أن يعيش بدون ملح و بهار وتوابل. وقال الحاخام روسكي إن أقوال الحاخامات أهم من شريعة موسى عليه السلام.¹

وجاء فيه أن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس المشناه فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها ومن درس الجماراه فعل أعظم فضيلة.² وقد أعطى الله الشريعة على طور سيناء، وهي التوراة، والمشناه والجماراه، ولكنه أرسل على يد موسى عليه السلام الكليم التلمود شفهيًا، حتى إذا حصل فيما بعد تسلط أمة أخرى على اليهود يوجد فرق بينهم وبين باقي الوثنيين، وجاءت شريعة التلمود شفاهية لأنها لو كتبت لضاقت عنها الأرض.

وجاء في كتاب يهودي اسمه كرافت مطبوع سنة 1509م، اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء. وزيادة على ذلك يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة، لأن أقوالهم هي قول الله الحيّ فإذا قال لك الحاخام إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدق قوله ولا تجادله فما بالك إذا قال لك إن اليمنى هي اليسرى واليسرى هي اليسرى.... من يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ، وكأنه جادل العزة الألهية.³

وهذه العصمة لا تختص فقط بالحاخامات، بل لكل ما يتعلق بهم أيضًا فقيل (إن حمار الحاخام لا يمكن أن يأكل شيئًا محرّمًا)!!

ومن هنا نلاحظ أن التلمود كتاب إرهابي وضعه بعض الزعماء من بني إسرائيل القدامى، وضمّنوه تعليمات وأوامر بهدف السيطرة على عقول اليهود وغير اليهود، ومن ثمّ فهم أحرار في أن يكتبوا فيه ما يريدون...⁴

ويعتبر أخطر وثيقة ضد الإنسان والإنسانية:

إذ إنه يدعو إلى تحطيم كل العقائد والقيم والحضارات، لإقامة مجتمع عالمي

1. جذور البلاء ص 73-74.

2. الكنز المرصود في قواعد التلمود 44.

3. التلمود ص 84.

4. المصدر السابق ص 435.

صهيوني يسيطر على كل دول العالم وبكل الوسائل الممكنة، ومنها الغش والقوة والسلب والنهب والخداع والكذب، كما يستبيح دماء وأموال الأجناس الأخرى ويعتبرهم بمنزلة الحيوانات، ويكفي في شريعة التلمود، أن يظهر الإنسان اليهودي بشكل الحمل الوديع ثم ليعتقد ما شاء وليفعل ما شاء. وقد جاء هذا في التلمود بأوضح عبارة حيث يقول: إن الإنسان مهما كان شريراً في الباطن وأصلح ظواهره يخلص.¹ ولذلك شنت عليه الحرب بلا هوادة.

الحرب على التلمود:

في سنة 1353م أمر البابا يوليوس الثالث بإحراق نسخ التلمود، فأحرقها الناس في مدن جلّ أهلها مسيحيون، مثل برشلونه والبندقية وروما وجنوى وغيرها... وكان البابا إسنوسنته عام 1244م قد أصدر أمراً حرم فيه على المسيحيين العمل عند اليهود، وأوعز بإحراق التلمود برسالة موجهة هذا جزء منها: "إنّ ما يسمّيه اليهود تلموداً هو عندهم كتاب عظيم الأهمية، وهو يتضمن صراحة شتائم لله، ويحتوي على خليط وقصص سوء، تحريف وحماقات لم يسمع بمثلها، وقد فحص علماء كلية باريس هذا الكتاب فوجدوا فيه خرافات وتزهات وافتراء لليهود، فأحرقوها أمام الشعب جميعاً، وأمام أرباب الكهنوت".²

وهوجم بشدة في العصور الوسطى باعتباره أهم مصدر للتعاليم اليهودية التي أدت إلى مقاومة اليهود للسلطة والدين المسيحي سرّاً وعلانية. وقد حمل الملوك والبابوات حملات شديدة ضد التلمود منذ القرن الثالث عشر، وصدرت الأوامر بإتلاف نسخه في فرنسا في عهد لدوين 1226-1270م كما حدث في إنكلترا سنة 1290م حيث أمر الملك بطرد اليهود من البلاد بعد أن اكتشف حيلهم ومكرهم ومقتهم للشعب الإنكليزي المسيحي. وكان مجلس الدومينيكان أول من فرض الرقابة على التلمود سنة 1264م بعد أن

1. اليهود في القرآن ص16.

2. التلمود ص 192.

كشفت بايلو كريستيانى عن حقيقة ما تحتويه من تعاليم هدامة وحقد ضدّ غير اليهود. وقد أصدر البابا مارتين الخامس مرسومًا يمنع اليهود من قراءة التلمود، وأمر بإحراق كل نسخه الموجودة، ولكن هذا المرسوم، كما تقول دائرة المعارف اليهودية المجلد الثاني عشر مادة تلمود، لم يمكن تنفيذه.

وقد حصل اليهود سنة 1520م ترخيصًا من البابا فطبعوا تلمود بابل كاملاً في البندقية وبعد ثلاثة أعوام طبع تلمود فلسطين لأول مرة.

وبعد ثلاثين سنة من طبع التلمود عاد الفاتيكان فأمر بإحراق كل نسخه بسبب ما تكشف من عقائد اليهود والنشاط الذي ظهر بينهم بسبب الحرية التي نالوها.

وفي 9 أيلول سنة 1553م أحرقت كل النسخ التي أمكن الاستيلاء عليها في روما وكان ذلك بمقتضى مرسوم خاص أصدره الفاتيكان.

وقد فرضت الرقابة على طبع التلمود وكتب عبرية أخرى لليهود سنة 1554م. وبعد خمسة أعوام صدر قرار بابوي بوضع التلمود في القائمة الأولى للكتب التي يجب تطهيرها.

في سنة 1565م أصدر البابا بيوس الرابع أمرًا أنه يجب حرمان التلمود حتى من مجرد اسمه، وقد قام البابا جريجوري الثالث عشر 1575-1585م بحملات جديدة ضد التلمود. وأصدر البابا كليمنت السابع مرسومًا جديدًا يحرم حيازة أو قراءة التلمود. وفي سنة 1569م حرق الأهالي مكتبة اليهود بسريمونا التي وجدت فيها 12000 نسخة للتلمود وكتب عبرية أخرى. وقد جرت عمليات حرق مماثلة للتلمود في مدن إيطالية أخرى.

وفي سنة 1757م تعرض التلمود لهجوم عنيف في بولندا حين أمر الأسقف ديمبوسكي بمصادرة كل نسخه وإحراقها.

واتهم الأميرال فيرهويل اليهود سنة 1830م بعد أن لقي عدد منهم أثناء جولته حول العالم بأنهم يعادون المسيحيين، وهاجم عقائدهم وتلمودهم بصفة خاصة.

وهاجم مجلس مدينة بولندا عام 1840م التلمود لأنه مصدر احتقار اليهودية للدين

المسيحي.

ونكب اليهود على أيدي النصارى بسبب دينهم الحاقده ولا سيما تلمودهم: فحين استولى الصليبيون عام 1099م على القدس جمعوا اليهود وأحرقوهم. أما يهود أوروبا، فقد آثروا التقوقع على أنفسهم حماية لهم من بطش الناس بهم، كما أنهم أبعدها فيها انقاء خطرهم الأخلاقي والاقتصادي، فعاشوا في الجيتو، وهو أشبه بالمنفى الملىء بالقاذورات والأمراض، كما طردوا من أغلب دول أوروبا.

وبسبب الحملات المتواصلة على التلمود فإنه على ما هو اليوم يختلف تمامًا عن الأصل. يقول باركلي في الأدب العبري ص 4.

وتلمود أورشلين كما هو مطبوع الآن لا يحتوي إلا على أربع رسائل من رسائله الست. وعلى الفصل نيداه Niddah من الرسالة السادسة.¹ واعترف محرر دائرة المعارف اليهودية العامة أنّ الطبعات الجديدة لتلمود أورشلين تخلو من كثير من العبارات والفصول. وعزا ذلك إلى عاملين:

1. حذف هذه الفصول نتيجة لإهمال النساخ.

2. تزيف متعمد.

ولولا تسلط التيار العنصري لكان التلمود من أعظم مفاخر اليهود مهما يكن مقدار ما استعاره من مآثورات الأمم الأخرى، لأنهم قد اختاروا هذه الثقافة ودونوها فحفظوا لها الحياة.²

وخلصا التلمود كما وردت في الأدب العبري ص 29-30 Hebrew literature للدكتور باركلي، التلمود مركب عجيب.³

1. التلمود تاريخه وتعاليمه ص 96.

2. كنوز التلمود ص 25.

3. التلمود تاريخه وتعاليمه ص 90-91.

ذكر التلمود في المصادر الإسلامية:

لم يقرأ العلماء المسلمون في الأندلس، التلمود بالعبرية التي تترجم إليها زمن الحكم الثاني، بسبب عدم معرفتها. ولقد تعلم العلامة ابن حزم العبرية، ليفهم بها التلمود، وكانت له مواقف المتميزة في مجادلاته معهم، ولا سيما مع ابن النعزيلة ثم تترجم التلمود إلى العربية، وليس لترجمته وجود اليوم، كذلك فإن هجرة العلماء المسلمين بعد نكبة الأندلس، كان لها الأثر في فضيحة التلمود.¹

قال ابن حزم الأندلسي المتوفى 456هـ:

"والتلمود هو معولهم وعمدتهم في فقههم وأحكام دينهم وشريعتهم، وهو من أقوال أبحارهم بلا خلاف من أحد منهم، ثم يفرد الريانيين (حكماء طائفة الفريسيين) تحديداً، فيقول اليهود كلهم -يعني الريانيين منهم- مجمعون على الغضب على الله، وعلى تلعيبه، وتهوين أمره عز وجل".²

يقول الدكتور حسن ظاظا أستاذ العبرية بجامعة الإسكندرية في حديث لغة العدو ماذا تقول، لجريدة أخبار اليوم 1970/7/18م ما يلي: حتى الحكم التي ضمها التلمود... أكثر من 75% منها مسروق من الحكم الهندية واليونانية والبابلية وتجارب الأمم الأخرى. وهم لم يتركوا للإنسانية أي تراث. حتى الدين كما يقول المفكر اليهودي جوستاف في أواخر القرن 19م في كتابه موسى والتلمود، أن التلمود انحرف بالتوراة انحرفاً شديداً، وجاء لتلويث دعوة التحرير ووضع ديناً جديداً غير دين موسى عليه السلام.³

يقول شوقي عبد الناصر في بروتوكولات حكماء صهيون:

والتلمود من أندر الكتب الموجودة في عالمنا على الإطلاق. وأستطيع أن أؤكد أنه لا يوجد منه في العالم أجمع أكثر من خمس نسخ. إحداها موجودة في الجمهورية العربية المتحدة، محفوظة حفظ الوثائق الشديدة الأهمية. وقد استلزم وصولها من

1. التلمود ص71

2. المصدر السابق ص197.

3. التلمود تاريخه وتعاليمه 86.

مكانها الأصلي إلى الجمهورية العربية المتحدة وضع خطة أشبه بخطط الجاسوسية التي نقرأ عنها في الكتب البوليسية استغرق تنفيذها بصبر وحرص وتكتم شديد ثلاث سنوات كاملة.¹

1. المصدر السابق ص 49.

الباب الثاني

صفات الشخصية اليهودية

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: في الجانب الاعتقادي.

الفصل الثاني: في الأخلاق والقيم والمثل.

الفصل الثالث: في العلاقات مع الآخرين.

في الجانب الاعتقادي

وفيه عدة مباحث:

1. التناول على الله عزّ وجلّ.
2. الشرك وعبادة الأصنام.
3. تحريف الكلم عن مواضعه.
4. الجحود وكفر النعم.
5. كثرة الجدل والتنطع في الدين.
6. تناولهم على الأنبياء وقتلهم.

1. التناول على الله عزّ وجلّ:

إنّ سيرة بني إسرائيل لم تكن سوى سلسلة من القبائح والجرائم. وأقبح هذه الجرائم وأبشعها تناولهم على الله عزّ وجلّ. والقرآن الكريم يفصّل هذا الأمر، ويجعله رأس المفاتيح في فهم الشخصية اليهودية، وتفسير عقدة الضلالة العارمة التي لازمت أجيالهم جميعاً.¹

1. سعيد، عبد الستار فتح الله، معركة الوجود بين القرآن والتلمود، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط4، 1411 هـ. ص116.

﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاهُ سَنَكُتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ ﴿١٨١﴾ ¹ ﴿ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عِهْدٌ إِلَيْنَا إِلَّا نُوْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ ﴾ ²

﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَالْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسَعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾ ³

﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾ ⁴

قال الأستاذ الإمام محمد عبده: إن طائفة منهم قالوا لماذا اختص موسى وهارون عليهما السلام بكلام الله تعالى من دوننا. وانتشر هذا القول في بني إسرائيل وتجرأ جماعة منهم بعد موت هارون عليه السلام، وهاجوا على موسى عليه السلام وبني هارون عليه السلام، وقالوا لهم إن نعمة الله على شعب إسرائيل هي لأجل إبراهيم وإسحق فتشمل جميع الشعب، وقالوا لموسى عليه السلام لست أفضل منا فلا يحق لك أن تترفع وتسود علينا بلا مزية، وأننا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة... واختار موسى عليه السلام من قومه أفضل سبعين رجلاً لميقات الله عز وجل، في جبل طور ليعتذروا إلى ربهم عما بدر منهم من معاص، وقد رأوا بأم أعينهم معجزة تنق الجبل،

1. آل عمران 181.

2. آل عمران 183.

3. المائدة 64

4. البقرة 55.

فلما سمعوه يكلم الله عز وجل قالوا: ﴿يَمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾

فأخذهم إلى خيمة العهد فانشقت الأرض وابتلعت طائفة منهم، وجاءت نار من الجانب الآخر فأخذت الباقيين، وهذه النار هي المعبر عنها بالصاعقة. وقد أخذ العذاب تلك الطائفة، والآخرون ينظرون.¹

فناجى موسى عليه السلام ربه إن هؤلاء أفضل قومي، فأحياهم الله من جديد إكراماً له: ﴿فَأَخَذَتْكُمْ الصَّبَإَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾².

والله سبحانه رب العالمين، لا رب فئة من البشر، ولا رب البشر وحدهم بل هو رب الأرض وما أقلت، ورب السماء وما أظلت، هو ربنا ورب كل شيء. ومحال أن يكون إلا عادلاً، يضع الموازين بالقسط لا يحابي ولا ينحاز ولا يظلم أحداً، لا يمكن أن يكون إلا رحماً رحيماً، لا يأمر بالسوء ولا يحض على الفحشاء ولا يرضى لعباده الكفر والبغضاء والشرك والمنكر. وهو حلیم كريم متصف بكل فضيلة منزه عن كل رذيلة، يتمتع بكل كمال ويجنب عن كل نقصان لا يشبه المخلوقات ولا تشبهه المخلوقات، غني عن كل شيء ويحتاج إليه كل شيء.

أما رب اليهود فهو ليس رب العالمين بل هو رب اليهود وحدهم، وليس هو الإله العادل بين الناس على حد سواء، بل ميّزهم على غيرهم من البشر.³

﴿وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁴

المس: يعني اللمس الخفيف.

1. تفسير المنار 1/321

2. البقرة 55.

3. اليهود في القرآن ص 13.

4. البقرة 80.

﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرِيًّا تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ

هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣١﴾ ¹

والله يأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم، لستم أنتم الذين تحكمون وتقرّون ماذا سيفعل الله سبحانه وتعالى بكم، بل هو جلّ جلاله الذي يحكم.² وله عندهم، من الصفات العجيبة الغريبة ما لا يمكن أن يتصف به إنسان عاقل، فكيف بالإله العظيم المتصف بكل كمال والمنزه عن كل نقصان.

فهو يكذب ويجهل ويندم وينصح فيقبل النصح، وينهره الأنبياء والرسل فيتمنى ويخضع، وشواهد هذا كثيرة لا يخلو منها فصل من فصول التوراة التي حرفوها.³ وفي التوراة تراهم يتعاملون معه سبحانه كما يتعاملون مع فرد من البشر، لا بل أقلّ من ذلك. فتارة يسمونه إله إسرائيل، وتارة أخرى ربّ الجنود، ويضفون على يهوه الصفات الحسية التي تنطبق على الإنسان تارة، وعلى الشيء المرعب العجيب تارة أخرى.

فهو إله جاهل حيناً وعالم حيناً آخر، إله ضعيف تارة وجبار تارة أخرى، إله يفضل سكن البيوت على سكن السحاب... إله متعطش لسفك الدماء وحرقت شحومها، لأنّ رائحة الشحوم المحروقة تبعث في نفسه السرور والبهجة، إله جشع محبّ للذهب إلى حدّ بعيد، إله أرسنقراطي يحبّ أن يخدمه الألوّف من الكهنة يسخرّون أنفسهم لتنظيم عبادات وطقوس عجيبة ليس لها مثيل في أي دين من أديان البشر.⁴

وهذا الإله لا يحبّ إلا هذا الشعب، ولا ينزل رحمته إلا عليه، ولا يكتب نصره وتوفيقيه إلا له، ومن أجلهم خلق الكون، ومن أجلهم خلق الأرض، ولخدمتهم خلق الناس الآخرين.⁵

1. البقرة 111.

2. الشعراوي، التفسير، أخبار اليوم قطاع الثقافة ج1، ص223-224.

3. اليهود في القرآن ص 11.

4. جذور البلاء ص 16

5. خالد، صلاح عبد الفتاح، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، دار القلم، دمشق، ط1، 1407هـ -

1987م، ص133.

فلننظر إلى بعض ما ورد في كتبهم:

فالإله في التوراة يكذب ويجهل ويندم وينتصح فيقبل النصح وينهره الأنبياء والرسل فيمتنع ويخضع. ولا يخلو فصل من فصول التوراة التي حرفوها ونضحوا عليها من مشاعرهم الخبيثة وطبيعتهم النكدة، ما غير وجهها وقلب حقائقها وأفسد مفاهيمها.¹ فتراه يتعب بعد خلق السموات والأرض. جاء في الكتاب المقدس لأنه في ستة أيام صنع الربّ السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس.²

وفي مكان آخر، فرغ الله في اليوم السادس من عمله، استراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل وبارك الله اليوم السابع وقَدّسه، لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل³، لذلك تراهم يحزّمون العمل في يوم السبت ويقَدّسونه.

ويجهل هذا الإله ولا يعلم مكان آدم وزوجته حواء بعد ما أكلا من الشجرة وقرأ - بزعمهم - وسمعا صوت الرب ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار فاخْتَبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة. فنادى الرب الإله آدم وقال له أين أنت؟ فقال سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان فاخْتَبأت، فقال من أعلمك أنك عريان، هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها.⁴ وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصاً من الجلد وألبسهما.⁵

ما هذا الإله يتمشى في الجنة خالي البال مما حدث، ثم تتكشف له الأمور شيئاً فشيئاً، فيعرف أن آدم خالف عهده وأكل من الشجرة المحرمة. ثم يخشى هذا الإله من تمرّد آدم بأن يأكل من شجرة الخلد ويظفر بالخلود وأن ينازعه أمور أخرى، فيطرده من الجنة قبل استفحال أمره.⁶

1. اليهود في القرآن 16.

2. سفر الخروج 17\31.

3. سفر التكوين 2:2

4. سفر التكوين 8/3

5. سفر التكوين 20\3.

6. الغزالي، محمد، اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل، دار القلم، دمشق، ط1، 1420 هـ - 1999 م. ص309.

وقال الرب الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفاً للخير والشر، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة ويأكل ويحيا إلى الأبد، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها، وطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف منقلب لحراسة طريق شجرة الحياة.¹

وسيرة آدم وأبنائه على ظهر الأرض لم تكن مرضية لله، إنَّ منهجه في الحياة مليء بالآثام والمتاعب، ولم يكن الله حين خلقه يعرف أنه سيكون شريراً إلى هذا الحد. لقد فوجيء بما وقع. من أجل ذلك حزن الرب وتأسف من قلبه أنه خلق آدم وأبناء آدم.² فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه. فقال الرب، امحوا عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته... الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأنني حزنت أني عملتهم.³

وينزل إلى الأرض لينظر فعال بني آدم: فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنيونهما.⁴

وها هو يندم مرة أخرى عندما أغرق الأرض بالطوفان: وكلم الله نوحاً وبنيه معه قائلاً... أقيم ميثاقي معكم فلا ينقرض كل ذي جسد أيضاً بمياه الطوفان، ولا يكون أيضاً طوفان ليخرب الأرض ويضع علامة تذكره إذا نسي. وقال الله: هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحيّة التي معكم إلى أجيال الدهر وضعت قوسي في السحاب. فتكون علامة ميثاق بيني وبين الأرض، فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض فتظهر القوس في السحاب فمتى كان القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حيّة في كل جسد على الأرض.⁵

1. سفر التكوين، 3/ 22 و23 و24.

2. اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل ص 310.

3. سفر التكوين 6:6 و7.

4. المصدر السابق 5:11.

5. سفر التكوين 9 - 12.

وما يفعله هذا الإله بنبي من أنبيائه أعجب وأغرب، ممّا يدفعه للصراخ والشنينة والتطاول على هذا الإله: قال أيوب إن الله قد عوجني ولفّ عليّ أحبولته. ها إنني أصرخ ظلمًا فلا يستجاب لي. أدعو وليس حكم. قد حوّط طريقي فلا أعبّر وعلى سبيلي جعل ظلامًا.¹ وهذا ما يفعله بالشعوب والأمم وهو غافٍ مثل السكران يلقي هوانًا على الشرفاء ويرخي منطقة الأشداء... يكثر الأمم ثم يببدها... ثم ينزع عقول رؤساء شعب الأرض ويضلهم في تيه بلا طريق. ويتلمسون في الظلام وليس نور ويوبخهم مثل السكران.²

ويظهر لإبراهيم عليه السلام على الأرض زائرًا له: ولما كان أبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لأبرام وقال له أنا الرب القدير.³ ومرة أخرى يظهر له ويأكل عنده ويبشر سارة زوجته بابن: وظهر له الرب عند بلوطات حمراء، وهو جالس في باب الخيمة وقت حرّ النهار فرفع يمينه، ونظر فإذا ثلاثة رجال واقفون لديه فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض.⁴ وقال يا سيد "يقصد الله" إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك. فأسرع إبراهيم إلى الخيمة إلى سارة. وقال: "اعجني واصنعي خبز ملة، ثم ركض إبراهيم إلى البقر وأخذ عجلًا رخصًا وجيدًا وأعطاه للغلام، فأسرع ليعمله ثم أخذ زبدًا ولبنًا والعجل الذي عمله، ووضعها قدامهم، وإذ كان هو واقفًا لديهم تحت الشجرة أكلوا. وقالوا له... ويكون لسارة امرأتك ابن.⁵

وفي تعاملهم معه لهم شأن آخر وخاص جدًّا. فترى جدّهم الأكبر يتغلب عليه في مصارعة ليلية طويلة لولا حيلة لجأ إليها هذا الإله هزم بعدها: فبقي يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر، ولما رأى أنّه لا يقدر عليه ضرب حقّ فخده. فانخلع حقّ فخد يعقوب في مصارعة معه وقال: أطلقني لأنه قد طلع الفجر، فقال لا

1. سفر أيوب 6:19.

2. سفر أيوب 12-21-24.

3. سفر التكوين 17:1.

4. المصدر السابق 16,118.

5. المصدر السابق 1 - 9

أطلقك إن لم تباركني. فقال له ما اسمك؟ قال يعقوب، فقال لا يدعى اسمك في ما بعد اليوم يعقوب بل إسرائيل. لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت وباركه هناك¹.

وبعد أن ذاق بنو إسرائيل الأمرين من المصريين الذين استعبدهم تنهّدوا من العبودية وصرخوا. فصعد صراخهم إلى الله فسمع الله أنينهم فتذكر ميثاقه مع إبراهيم وإسحق ويعقوب²، ويندم على الشرّ الذي فعله بهم. فندم الرب على الشر الذي قال أنه يفعله بشعبه³.

وفي سفر آخر "فعل بنو إسرائيل الشر في عيني الرب وعبدوا البعل وتركوا الرب إله آبائهم... وساروا وراء آلهة أخرى... وسجدوا لها وأغاظوا الرب. تركوا الرب وعبدوا البعل وعشّرتوت فحمني غضب الرب على إسرائيل، فدفعهم بأيدي ناهيين نهيوهم، وباعهم بيد أعدائهم حولهم، ولم يقدرُوا بعد على الوقوف أمام أعدائهم، حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر كما تكلم الرب، وكما أقسم الرب، فضاق بهم الأمر جدا. وأقام الرب قضاة فخلصوهم من يد ناهيبيهم. ولقضائهم أيضاً لم يسمعوا، بل زنوا وراء إلهة أخرى وسجدوا لها، وحادوا سريعاً عن الطريق التي سار بها آبائهم لسمع وصايا الرب لم يفعلوا هكذا. وحين أقام الرب لهم قضاة كان الرب مع القاضي، وخلصهم من يد أعدائهم كل أيام القاضي، لأن الرب ندم من أجل أنينهم⁴.

ويدعو على نفسه بالويل: ويلٌ لي من أجل سحقي... ضربتي عديمة الشفاء. فقلت إنما هذه المصيبة فأحتملها. خيمتي خربت، وكل أطنابي قطعت، بني خرجوا عني⁵. ويشرع السرقة ويحلها لهم ويمهد لها الطريق، قال الله لبني إسرائيل، حين تمضون من أرض فرعون، لا تمضوا فارغين، بل تطلب كل امرأة من جارتها أمتعة وذهب وثياب وتضعونها على بنيكم وبناتكم فتسلبوا المصريين⁶. وفي موضع آخر، ثم قال

1. المصدر السابق 24:32 - 29

2. سفر الخروج 2 و 23 و 24

3. المصدر السابق 32:14

4. سفر القضاة 18-211

5. سفر أرميا 10:17 و 20

6. سفر الخروج 3:21

الرب لموسى عليه السّلام تكلم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه وكل امرأة من صاحبها أمتعة فضة ذهب، وأعطى الرب نعمة للشعب في عيون المصريين.¹ وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى عليه السّلام... فسلبوا المصريين.² ويشرّع لهم القتل ويمارسه بنفسه: فإني أجتاز في أرض مصر هذه الليلة، وأضرب كل بكر في أرض مصر من الناس والبهائم.³ وفي مكان آخر يقول الكتاب المقدس لهم إذا دفع لهم قرية بعد حرب: وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فتغتنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الرب إلهك، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك... وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيباً فلا تستبقي منها نسمة ما.⁴

وكان الرب يسير أمامهم نهاراً في عمود سحب ليهديهم في الطريق وليلاً في عمود نار ليضيء لهم.⁵ لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء⁶ ويروه بأنفسهم: فوقف الشعب من بعيد وأما موسى عليه السّلام فاقترب إلى الضباب حيث كان الله.⁷ قد رأيت الرب جالساً على كرسيه وكل جند السماء وقوف لديه.⁸

ورأوا إله إسرائيل وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة.. فرأوا الله وأكلوا وشربوا.⁹ ويكلم الرب موسى عليه السّلام وجهاً لوجه كما يكلم الرجل صاحبه.¹⁰

1. المصدر السابق 1:11.

2. المصدر السابق 12:35.

3. المصدر السابق 12:12.

4. سفر التثنية 20: 12 - 17

5. سفر الخروج 13:20 و 21.

6. المصدر السابق 11:19.

7. المصدر السابق 20:21.

8. سفر الملوك الاوّل 19:22.

9. المصدر السابق 24: 10 - 11

10. المصدر السابق 33:11.

ويكتب له لوح الشهادة بأصبعه، ثم أعطى موسى عليه السّلام عند فراغه من الكلام معه في جبل سيناء لوحَي الشهادة، لوحَي حجر، مكتوبين بأصبع الله¹، ويكسرهما موسى عليه السّلام غضبًا عندما رأى بني إسرائيل يعبدون العجل الذهبي، ومرة أخرى يكتب له الله لوحين آخرين: ثم قال الرب لموسى عليه السّلام انحت لك لوحين من حجر مثل الأولين. فأكتب أنا على اللوحين الكلمات التي كانت على اللوحين الأولين الذين كسرتهما.²

وهذا الإله يحكم عليهم أحكامًا لا تليق بعبد. يحكم عليهم بالصلع والزنا: قال الرب من أجل أنّ بنات صهيون يتشامخن ويمشين ممدودات الأعناق، وغامزات بعيونهن وخاطرات في مشيّهن، ويخشخشن بأرجلهن يصلع السيد هامة بنات صهيون ويعرّي الرب عورتهن.³

وخاطب الرب بني إسرائيل مهددًا إياهم إن لم تسمع لصوت الرب إلهك: تأتي عليك جميع اللعنات وتدرّكك... تخطب امرأة ورجل آخر يضطجع معها.⁴

وهذا الرب كثير النسيان ينادى عله يتذكر: لماذا تنسانا إلى الأبد وترتكنا طول الأيام؟⁵ وفي مكان آخر، قم يا رب ارفع يديك لا تنسَ المساكين.⁶ وأيضا إلى متى يا رب تنساني كل النسيان؟⁷ انتبه لم تنام يا رب؟ استيقظ من رقدتك لتكون أذنك مصغية وعيناك مفتوحتين لتسمع صلاة عبدك.⁸

لكنك رفضت ورنذلت غضبت على مسيحك، نقضت عهد عبدك نجّست تاجه في التراب.⁹

1. المصدر السابق 31:18.

2. المصدر السابق 1:34.

3. سفر أشعيا 16:3.

4. سفر التثنية 15:28.

5. سفر المراثي 5:20.

6. مزمور 12:10.

7. مزمور 1:13.

8. سفر نحemia 1:6.

9. المزمور 38:89 و39.

حتى متى يا رب تختبئ كل الاختباء، حتى متى يتقد كالنار غضبك. أذكر كيف
أنا زائل إلى أي باطل خلقت جميع بني آدم.¹

لماذا أضللتنا يا رب عن طرقك قسيت قلوبنا عن مخافتك. ارجع من أجل عبيدك²
آه يا سيدي الرب، حقًا إنك خداعًا خادعت هذا الشعب وأورشليم قائلاً: يكون لكم
سلام وقد بلغ السيف النفس.³

وينام ويستيقظ من النوم كالمخمور: استيقظ لماذا تتغافى يا رب⁴، فاستيقظ الرب
كنائم جبار معبط من الخمر.⁵

ويندم: وكان كلام الرب إلى صموئيل قائلاً ندمت على إني قد جعلت شاوول ملكًا.⁶
ويشخر وينخر عند الغضب، قال داود وإلى إلهي صرخت، فسمع من هيكله
صوتي وصرaxي داخل أذنيه. صعد دخان من أنفه ونار من فمه، أكلت جمرًا اشتعلت
منه، طأطأ السماوات ونزل الضباب تحت رجليه. ركب على كروب وطار ورائي على
أجنحة الريح وانكشفت أسس السكونة من زجر الرب ومن نسمة ريح أنفه.⁷
رب لا يغفر ويغضب ويفرّ ويلتحف بالسحاب حتى لا يسمع: نحن أذنبنا وعصينا،
أنت لم تغفر. التحفت بالغضب وطردتنا... قتلت ولم تشفق، التحفت بالسحاب حتى
لا تتفد بالصلاة، جعلتنا وسخًا وكرهًا في وسط الشعوب.⁸

ولا يرحم الرضع ولا النساء، لصق لسان الرضيع بحنكه من العطش.. صارت
صورتهم أشدّ ظلامًا من السواد لصق جلدهم بعضهم... أيادي النساء الحنائن طبخت

1. المزمور 46:89 و47.

2. سفر أشعيا 17:63.

3. سفر أرميا 10:4.

4. مزمور 23:44.

5. مزمور 65:78.

6. سفر صموئيل الاول 10:15 و 11.

7. سفر صموئيل الثاني 7:22.

8. سفر المراثي 42:3.

أولادهم.. صاروا طعاماً لهن... أتمّ الربّ غيظه، سكب غضبه وأشعل ناراً في صهيون.¹

وعندما يغضب يصفق بيديه حتى يسكن غضبه: وأنا أيضاً أصفق كفي على كفي وأسكن غضبي²، فهذا أنا ذا قد صفت بكفي، بسبب خطفك الذي خطفته وبسبب دمك دمك الذي كان في وسطك.³

ولا يرى كهنة اليهود بأساً من وسم الإهيم بالجهل وأن يسجلوا هذا الاعتراف على لسانه، فهو يطلب إليهم أن يضعوا علامة دموية على أبواب بيوتهم لتمييزها عن بيوت المصريين الذين يضربهم حينما يمرّ ليضرب أرض مصر: ويكون لكم اليوم علامة على البيوت التي أنتم فيها فأرى الدم وأعبر عنكم فلا يكون عليكم ضربة للهلاك حينما أضرب أرض مصر.⁴

وأما في التلمود فقد تجاوزوا كل الحدود إضافة إلى ما في التوراة. يرى التلمود أن العصمة ليست من صفات الله سبحانه... وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسنّ له شريعة، فلم يستطع بطبيعته الرديئة أن يسير على نهجها. فوقف الإنسان حائراً بين اتجاه الشر في نفسه وبين الشريعة المرسومة.⁵

قال أيضاً النهار اثنتي عشرة ساعة، في الثلاثة الأولى يجلس الله ويطالع الشريعة، وفي الثلاثة الثانية يحكم ويطعم الطعام وفي الثلاثة الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك.⁶

ولم يلعب مع الحوت بعد هدم الهيكل. كما أنه من ذلك الوقت لم يمل إلى الرقص مع حواء بعدما زينها بملابسها وعقص لها شعرها.⁷

1. المصدر السابق 42:3.

2. سفر حزقيال 17:21.

3. المصدر السابق 13:22.

4. سفر الملوك 13:12.

5. التلمود ص 119.

6. الكنز المرصود في قواعد التلمود 49 و اليهودي على حسب التلمود ص 16.

7. اليهود في القرآن ص 17.

وأول رقصة رقصها الرب كانت مع حواء بعد أن برّجها وزيّنها وسرّح شعرها بنفسه، أما بعد تدمير الهيكل فإنّ الله لم ينقطع عن البكاء والنحيب لأنه ارتكب خطيئة ثقيلة. وهذه الخطيئة قد أبهزت ضمير الله، حتى أنه يمضي ثلاثة أرباع الليل منكمشاً على ذاته مائلاً الدنيا زئيراً كالأسد الصريع. وقد اعترف بخطئه في تصريحه بتخريب الهيكل فصار يبكي، ويمضي ثلاثة أجزاء الليل يزرّ كالأسد، قائلاً تَبّاً لي لأنّي صرّحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي. ومن ذلك الحين لم يعد شاغلاً إلا مساحة جزئية من العالم، يقطعها الإنسان بأربع سنوات فقط، بعد أن كان ملء السماوات والأرض في جميع الأزمان.¹

وقال مناحم: في الليل لا عمل له غير تعلمه التلمود مع الملائكة، ومع أسمودية ملك الشياطين في مدرسة السماء، ثم ينصرف أسمودية منها بعد صعوده إليها كل يوم.²

وإنّ الله يدرس التلمود منتصباً على قدميه.³

وماذا يفعل في الليل؟ يمكننا القول إنه يركب غمامة ليله ويتحرك في كل الاتجاهات 18000 عالمًا إذ مكتوب في مز (18:68) مركبات الله ربوات وألوف مؤلفة من الملائكة تتبعه ويمكننا القول أنه يجلس يستمع إلى أغنية الملائكة كما جاء في مز (9:42) وفي الليل نشيده عندي صلاة لإله حياتي.⁴

ويروي التلمود أنّ الله ندم لما أنزله باليهود وبالهيكل... ومما يرويه على لسان الله قوله: "تَبّاً لي لأنّي صرّحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي".⁵

يقوم (الميطرون) - ومعنى هذه اللفظة عندهم (الرب الصغير) - تعالى الله عن كفرهم، ويقول وهو قائم ينتف شعره ويبكي قليلاً قليلاً: وبلي وبلي!!! إذ أخربت بيتي،

1. الكنز المرصود في قواعد التلمود 50 واليهودي على حسب التلمود ص17.
2. روهلنغ أوغست، اليهودي على حسب التلمود، ترجمة نصرالله، يوسف حنا، دار فلسطين للتأليف والترجمة، بيروت 1970م 1390هـ ص16.
3. جذور البلاء ص 83.
4. رسالة عبدة الأوثان ص 26
5. التلمود ص 118

وأُيِّمَت بنيّ وبناتي، فقامتني منكسة لا أرفعها، حتى أبنّي بيتي وأرُدُّ بنيّ وبناتي...
ويردد هذا الكلام..¹

ويعلق ابن حزم على ذلك قائلاً: "فأعجبوا لَوِغادة هؤلاء الأوباش ولرذالة هؤلاء الأندال الممتنين على ربهم عزَّ وجلَّ، المستخفين به وبملائكته وبرسله، وبالله ما يبخسهم ربهم حظهم، وما حظهم إلا الخزي في الدنيا والخلود في النار في الآخرة، وهو تعالى موفيههم نصيبهم غير منقوص".²

جاء في سفر سوكا "أنَّ الإله ندم على خلقه أربعة أشياء المنفى، الكلدانيين، الإسماعيليين أي (العرب) ونزعة الشر".³

يتندّم الله على تركه اليهود في حالة التعاسة، حتى أنه يلطم ويبيكي كل يوم فتسقط من عينيه دمعتان في البحر فيسمع دويهما من بدء العالم إلى أقصاه، وتضطرب المياه وترتجف الأرض في أغلب الأحيان فتحصل الزلازل.⁴

جاء في براخوت صفحة 59 فيه كيفية حصول الزلازل:
إن الله يغضب عندما يرى تعاسة الشعب اليهودي فيضرب برجله على عرشه فتحصل الزلازل.⁵

واعترف الله بخطئه واعتذر للقمر لأنه خلقه أصغر من الشمس.⁶
قال القمر لله: اخطأت حين خلقتني أصغر من الشمس. فأذن الله لذلك واعترف بخطئه وقال: اذبحوا لي ذبيحة أكفر بها عن ذنبي لأنّي خلقت القمر أصغر من الشمس⁷، وقال أيضا: قربوا قرابين الاستغفار عني.⁸

1. المصدر السابق ص 202

2. المصدر السابق ص 203

3. التلمود ص 41

4. جذور البلاء ص 74 و 75 اليهودي على حسب التلمود 17

5. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 161 التلمود ص 218

6. جذور البلاء ص 75.

7. اليهودي على حسب التلمود 17.

8. مسعد، بولس حنا، همجية التعاليم الصهيونية، المكتب الإسلامي، بيروت، 1388هـ - 1969م.

ب.ط. ص 33

وتقول تعاليم الحاخامين: يغضب الرب طيلة اليوم، عدا لحظة واحدة فقط، تعد جزءاً من ثلاثة وخمسين ألف وثمانئة وثمانين وأربعين جزءاً من الساعة الواحدة، ولا يوجد مخلوق في العالم يمكنه تخمين تلك اللحظة عدا بلعام الذي نقرأ عنه¹ عرف "معرفة القدير"، التي تعني أنه عرف كيف يخمن اللحظة التي لا يغضب الرب أثناءها.²

والتلمود يقول في غير محل، إنَّ الله عندما يقسم في كل مرة بدون مبرر معقول فمن اللازم أن يحلَّ قسمه بقسم آخر نظيره. وهذا يثبت: أن أحد حكماء إسرائيل قد سمع يوماً الله يصرخ يا لشقائي من ينفذني من قسمي هذا؟³ والله ليس معصوماً من الطيش: غضب مرة على بني إسرائيل فاستولى عليه الطيش فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية، ولكنه ندم على ذلك وبعد ذهاب الطيش منه ولم ينفذ قسمه لأنه عرف أنه فعل فعلاً ضد العدالة.⁴

وجاء أيضاً أن يهودياً اسمه إسماعيل، سمع الله يئن كما تنن الحمامة ويبكي، وهو يقول: الويل لمن أخرج بيته وضعه ركنه وهدم قصره وموضع سكينته. ويلي على ما خربت من بيتي ويلي على ما فرقت من بني وبناتي. فقامتي منكسة حتى أبني بيتي وأردت إليه بني وبناتي. وقال اليهودي إسماعيل فأخذ الله بيدي وقال لي أسمعني يا بني إسماعيل؟ قلت لا يا رب لا يا رب. فقال لي يا بني إسماعيل قال فبارك علي فباركت عليه ومضيت.⁵

جاء في التلمود أن الله إذا حلف يميناً غير قانونية احتاج إلى من يحلله من يمينه، وقد سمع أحد العقلاء من الإسرائيليين الله تعالى يقول: من يحلني من اليمين التي أقسمت بها، ولما علم باقي الحاخامات أنه لم يحلله منها اعتبروه حماراً، لأنه لم يحل

1. سفر العدد 16:24

2. عبدة الأوثان ص 29

3. همجية التعاليم الصهيونية ص 33

4. اليهودي على حسب التلمود ص 18.

5. جذور البلاء ص 75. نقلاً عن ابن حزم من كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل ص 20

الله من يمينه. ولذلك نصبوا ملكًا بين السماء والأرض اسمه (مي)، لتحليل الله من أيمانه ونذوره عند اللزوم.¹

وإذا احتدم الخلاف بين الله والحاخامات، فالحق مع الحاخامين²، قال الربابي مناحم: إنَّ الله يستشير الحاخامات عندما توجد معضلة لا يمكن حلها في السماء.³ وجاء في التلمود: إنَّ تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله، وقد وقع يومًا الاختلاف بين الباري تعالي وبين علماء اليهود في مسألة. فبعد أن طال الجدل تقرّر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربابيين، واضطرَّ الله أن يعترف بخطئه بعد حكم الحاخام المذكور.⁴

وجاء أيضًا، أنَّ الله هو مصدر الشرِّ كما أنه مصدر الخير، وأنه أعطى الإنسان طبيعة رديئة وسنَّ له شريعة، لولاها لما كان يخطيء، وقد جبر اليهود على قبولها. فلم يستطع بطبيعته الرديئة أن يسير على نهج الشريعة... فينتج من ذلك أنَّ داود الملك لم يرتكب خطيئة بقتله أوريا وبزناه بامرأته، لأنَّ الله هو السبب في كل ذلك.⁵ ولما يسمع الباري تعالي تمجيد الناس له يطرق رأسه ويقول: ما أسعد الملك الذي يُمدح ويُبجل مع استحقاقه لذلك. ولكن لا يستحق شيئًا من المدح الأب الذي يترك أولاده في الشقاء.⁶

واله التلمود عندما يستشيط غضبًا، يفعل أفعالًا لا قيمة لها ولا وزن، وهذا ما جرى حين أقسم غاضبًا بغير عدل أنَّ الإسرائيليين الذين تمتعوا في البرية لن يدخلوا الحياة الأبدية.⁷

1. الكنز المرصود في قواعد التلمود و جذور البلاء 75 واليهودي على حسب التلمود ص18. التلمود ص87
2. جذور البلاء ص83.
3. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 32
4. المصدر السابق ص 47.
5. التلمود شريعة إسرائيل 17-19 "شلي 272" التلمود ص87
6. اليهودي على حسب التلمود 17
7. جذور البلاء ص 75.

وكما حصل لله أن يحنث في يمينه، فقد كذب أيضًا بقصد الإصلاح بين إبراهيم وامرأته سارة.¹ إن الله قد أقسم بغير عدل وارتكب خطيئة الكذب لكي يلقي السلام والوثام بين إبراهيم وسارة.²

ولهم من الفنون الضاللية ما تنبو مثله العقول ويخالف المشروع والمعقول. ومما أجمعوا عليه -لعنهم الله- أنّ من شتم الله تعالى وشتم الأنبياء يؤدّب، ومن شتم الأحرار يموت أي: يقتل، فهم ملحدون لا دين لهم، يفضلون أنفسهم على الأنبياء عليهم السلام، وعلى الله عز وجل..³

ومع ذهاب دولتهم وتفرق شملهم وعلمهم بسبب الغضب الممدود عليهم، يقولون كلّ يوم في صلاتهم أنهم أبناء الله وأحبّاءه، وذلك قولهم كل يوم في الصلاة: الدهر أحببتنا يا إلهنا أرددنا يا أبانا إلى شريعتك يا أبانا يا ملكنا يا إلهنا، أنت اللهم أبونا منقذنا وجميع الذين اقتفوا أثر نبيك وأعداء جماعتك كلهم غطاهم البحر، واحد منهم لم يبق...⁴

2. الشرك وعبادة الأصنام والأوثان والاستئناس بها:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾⁵

5

من السمات المميّزة للشخصية الإسرائيلية الإسراع إلى الارتداد وأنسهم وشغفهم بالعبادات الوثنيّة، فلم يستطع بنو إسرائيل في أيّ فترة من فترات تاريخهم أن يستقروا على عبادة الله الواحد الذي دعا له الأنبياء. وكان اتجاههم إلى التجسيم والتعدد

1. اليهودي على حسب التلمود 18.

2. همجية التعاليم الصهيونية ص 34.

3. التلمود ص 201

4. بذل المجهود في إفحام اليهود 101 التلمود ص 203

5. النساء: 51

والنفعية واضحاً في جميع مراحل تاريخهم. وعلى الرغم من ارتباط وجودهم بإبراهيم، إلا أنّ البدائية الدينية كانت طابعهم. وتعدّد كثرة أنبيائهم دليلٌ على تجدد الشرك فيهم ومن ثمّ إلى تجدد الحاجة إلى أنبياء يجدّدون الدعوة إلى التوحيد. وكانت هذه الدعوات قليلة الجدوى فظهروا للتاريخ بدائيين يعبدون الأرواح والأشجار، وأحياناً مقلدين يعبدون معبودات الأمم المجاورة.¹ وعندما وصل موسى عليه السّلام إلى مصر وابتدأ يوجه دعوة الله إلى الناس ويدعو الإسرائيليين إلى قيم ومعان جديدة، رفضوها، وكان موسى عليه السّلام قد بدأ الدعوة مع قومه، محاولاً أن ينتقل بهم من سلوكهم الوثني في مظاهر العبادة وشعائرها، إلى عبادة الله وحده.² ورغم يقينهم من صدق الدعوة وشهودهم ما جرى بين موسى وهارون عليهما السّلام من جهة، والسحرة وفرعون من جهة أخرى، ورغم رؤيتهم آيات الله ومعجزاته الكثيرة إلا أنّ أكثرهم الساحقة لم تستجب للدعوة الإلهية حفاظاً على أنفسهم من مقاومة الفرعون لهم³، قال تعالى:

﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ﴾

وَأَنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٧﴾⁴

لقد كانت عقيدة التوحيد المنزه الذي لا يشوبه صنم أو وثن ثقيلة عليهم. ومشاعرهم النفسية تهفو دائماً وأبداً للصنم والوثن والرغبة في محاكاة الآخرين وتقليدهم.⁵ ويبدو ذلك جلياً بعد نجاتهم من فرعون وغرقه أمامهم بالمعجزة العظيمة الباهرة. فبعد تجاوز البحر وقبل أن تجفّ أقدامهم من الماء، تقع أبصارهم على قوم وثنيين عاكفين على أصنام لهم، وإذا بهم يطلبون من موسى عليه السّلام - الذي أخرجهم من مصر باسم الإسلام والتوحيد - أن يتخذ لهم وثناً يعبدونه من جديد.⁶

1. اليهودية ص 186.

2. التايخ اليهودي العام 93/1.

3. بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم ص 245.

4. يونس: 83.

5. بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم، ص 246.

6. في ظلال القرآن، 1365/3.

﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا
يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾¹ فتعجب موسى عليه السلام
لأمرهم ووصفهم بأنهم جاهلون! كيف وقد أراهم الله على يديه عشر معجزات باهرات،
آخرها شق البحر. يطلبون منه عبادة غير الله الذي دعاهم إلى عبادته؟! فكان هذا
بداية الخلل الإيماني المتأصل في نفوسهم، وكان هذا الأمر يثير الاستغراب في نفس
موسى وأخيه هارون عليهما السلام من هؤلاء القوم: ﴿قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾²
فاليهود قد تشربوا الكفر والاستعباد خلال قرون طويلة قضوها في خدمة الفراعنة في
مصر.²

قالوا هذا الجهل والضلال وقد عاينوا من آيات الله عز وجل وقدرته ما دلهم على
صدق ما جاءهم به نبيهم، لقد أصيب القوم باضطرابات نفسية وعناء شديد أفقدهم
الإيمان بالقيم وربطهم بالخرافات والأوهام³، وتأشبت⁴ في نفوسهم عقائد الوثنية وزايلتها
وزايلتها صفات الرجولة.

وصفهم بالجهل المطلق غير المتعلق بشيء وهو يشمل كل ما يصلح له من
الجهل الذي هو فقد العلم، والجهل الذي هو سفة النفس وطيش العقل. وأهمه المناسب
للمقام جهل التوحيد وما يجب من إفراد الرب تعالى بالعبادة من غير واسطة، ولا التقيّد
بمظهر من المظاهر يتوجه إليه معه، ولا سيما مظهر الأصنام والتماثيل لبعض
المخلوقات التي اغترّ الجاهلون من قبل بنفعها أو الخوف من ضررها.⁵

1. الأعراف 138.

2. فلسطين التاريخ المصور ص31.

3. اليهود تاريخ وعقيدة، ص 161.

4. تأشبت: التف واجتمع. ابن منظور: لسان العرب 214/1.

5. تفسير المنار 111-110/9

وقال البغوي في تفسيره: إنّ طلب بني إسرائيل للآلهة لم يكن عن شكّ منهم بوحداية الله تعالى، وإنما كان غرضهم إلهًا يعظمونه ويتقربون بتعظيمه إلى الله تعالى وظنّوا أنّ ذلك لا يضر بالديانة وكان ذلك من جهلهم.¹

وكان موسى عليه السّلام يحاول نزع ما في قلوبهم من الشرك - الذي أشربوا عقائده في مصر- وما في نفوسهم من الذلّ الذي طبعه فيها استبداد المصريين وتعبيدهم إيّاهم، ليكونوا أعزّاء بعبادة الله تعالى وحده، وأن يدخل بهم أرض الميعاد. ولكنّهم لطول الإقامة في مصر، قد ألفوا الذلّ وأنسوا بالشعائر والعبادات الوثنية، فكانوا لا يخطون خطوة إلا ويتبعونها بخطيئة.²

ولم يكفهم ما شاهدوه من معجزات وآيات. وسار بهم موسى عليه السّلام وعين الربّ وعنايته تحفظهم، وتؤمّن لهم جميع احتياجاتهم وكل ما يطلبون، حتى وصلوا إلى جانب جبل الطور. وذهب موسى عليه السّلام لمناجاة ربّه وتلقّي التعاليم الإلهية والشعائر الربانية. واستخلف عليهم أخاه هارون عليه السّلام، لعدم اطمئنانه تمامًا إلى إمكانية أن يمتثل القوم وبيقوا على ما تركهم عليه.³

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فِتْرَةٍ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْبِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾⁴

وفي أثناء مناجاة موسى عليه السّلام لربّه عزّ وجلّ اتخذ قومه عجلًا مصوغًا من الذهب والفضة وعبده من دون الله تعالى، لما كان رسخ في قلوبهم من فحامة مظاهر الوثنية الفرعونية في مصر.⁵

1. المصدر السابق 111/9.

2. المصدر السابق 328/1.

3. طعيمة، صابر، التاريخ اليهودي العام، دارالجيل، بيروت 1983، ط2. 107/1.

4. الأعراف: 142.

5. تفسير المنار 200/9.

فقد قام السامري¹ وصنع لهم عجلًا جسدًا له خوار من الذهب الذي سرقوه من المصريين، فلما رأوا ذلك العجل الذهبي طاروا إليه وتهافتوا عليه: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾²

ونهاهم هارون عليه السّلام ونصحهم ولكنه لم يملك لهم ردًا عن هذا الضلال السخيف وكادوا يقتلونه، وكان فيهم بعض عقلائهم، فلم يملكو زمام الجماهير الضالة المتدافعة على هذا العجل الجسد، وبخاصّة أنّه من الذهب، معبودهم الأصيل.³ وقد ذكر ابن عباس أنّ عبادتهم للعجل كانت على أثر خروجهم من البحر.⁴ وقد سجّل كتابهم المقدّس هذه الحادثة كما يأتي:

"فقال الرب لموسى عليه السّلام اذهب انزل لأنّه قد فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر، زاغوا سريعًا عن الطريق الذي أوصيتهم به. صنعوا لهم عجلًا مسبوغًا وسجدوا له وذبخوا له وقالوا هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. وقال الرب لموسى عليه السّلام رأيت هذا الشعب وإذا هو شعب صلب الرقبة.⁵ كلّ هذا لم يردعهم عن عبادة الأصنام، كأنّ موسى عليه السّلام أراد أن يحطم الوثنية فجرت في دمائهم ذرات ذهبية صارت نسيج أبدانهم وميراث أجيالهم".⁶ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عِبَادَتَ الْعِجْلِ حَثِيثًا﴾⁷

ولو تناهوا عن المنكر في غيبة نبيهم ما عبدوا العجل، وإذ لم يتناهوا بالكلام فليتناهوا بالحسام، وليؤدّوا الضريبة الفادحة الثقيلة التي قد تنفعهم وتربيههم.⁸

1. السامري: نسبة إلى السامرة وهي قبيلة من قبائل بني إسرائيل، قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم.
2. البقرة 93.
3. في ظلال القرآن 1373/3.
4. البداية والنهاية، 288/1.
5. سفر الخروج: 10-9-8-7/32.
6. اليهود تاريخ وعقيدة، ص 178.
7. البقرة 54.
8. في ظلال القرآن 71/1.

وفي المنار أنّ الذين قتلوا سبعين ألفاً.¹

﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْمَجَلَ بِكُفْرِهِمْ﴾² إنّ الشيء المحبوب شراب يساغ،

يساغ، فهو يسري في قلب المحبّ ويمازجه، كما يسري الشراب العذب البارد في لهاته.³

ولو أنهم عقلوا كلمة التوحيد لما وقع من تبرّمهم بالتكاليف وتمردهم على موسى عليه السّلام ما وقع. ولكنهم كانوا من العامّة الجاهلين الذي بدّد الذلّ أفهامهم.⁴ وهكذا كان بنو إسرائيل يتمردون ويعاندون موسى عليه السّلام. وكان سوط عذاب الله يصبّ عليهم، فرموا بالأمراض والأوبئة وسلطت عليهم الهوام وغيرها حتى أماتت منهم خلقاً كثيراً.

ولم يكن هذا هو الذنب الوحيد ولكن هذا كان ديدنهم.

ويروي كتابهم المقدس واقعة أخرى عن سجودهم للأصنام وعبادتها من أجل شهواتهم الدنيئة. "وأقام إسرائيل في شطيم، وابتدأ الشعب يزنون مع بنات موآب فدعّون الشعب إلى ذبائح آلهتهم. فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهم وتعلق إسرائيل ببعل فغور".⁵

تقول الموسوعة اليهودية: ومنذ دخولهم إلى فلسطين، أخذوا عن الكنعانيين الكثير بما ذلك عبادة بعل. وكان يعبدون يهوه وبعل جنباً إلى جنب. وقد سمى شاؤول أحد أبناؤه يوناتان (أي يهوه أعطى)، وسمى الآخر إيشبعل (أي رجل بعل)، كما أنهم عبدوا يهوه من خلال طقوس الخصوبة المرتبطة بعبادة بعل. وكان عامتهم يرون أنّ يهوه هو الإله القومي (إله التاريخ)، وأنّ بعلًا هو مانح الخصوبة (إله الطبيعة)، ولذا

1. تفسير المنار 320/1

2. البقرة 93.

3. المصدر السابق 388/1.

4. المصدر السابق 108/9.

5. سفر العدد: 3-1-25

كانوا يلجؤون إلى يهوه في المناسبات القومية وفي لحظات الأزمة، ويلجؤون إلى بعل في حياتهم اليومية.¹

وكانت رموزهم السحرية مأخوذة عن غيرهم ممن سبقوهم، وهذا الاتباع والتقليد يعني أنهم أدخلوا الإلهة "عشتار" في معتقداتهم، وكانت معبودة في جزيرة العرب، تحت مسميات مختلفة، منها "العزى" و"مناة"..... وهذا التمثال المعبود، تمثال منقول عن سكان المنطقة العربية، فعشتار، إلهة الخصب، كانت معروفة مثلاً عند السومريين والكنعانيين. وكان للمعبد الكنعاني محراب.²

وفي مرحلة التيه عبدوا أصناماً أخرى، فقد ذكر الأستاذ سوسة في كتابه العرب واليهود: "أنّ العبرانيين (أتباع موسى عليه السلام) قد صنعوا في أثناء وجودهم في ص حراء التيه بسيناء ما يعرف بفلك الميثاق، وزينوه كما تبين النصوص بتمائيل تشابه مشابهة تامة التماثيل المجنحة التي صنعها قدماء المصريين للإلهة (معات)، التي تجسد الحق والعدالة".³

وجاء في كتابهم المقدس: وكلم الرب موسى عليه السلام قائلاً: "أنا الرب إلهكم، لا تلتفتوا إلى الأوثان، وآلهة مسبوكة لا تصنعوا لأنفسكم".⁴

وجاء أيضاً: "لا تصنعوا لكم أوثاناً، ولا تقيموا تماثلاً منحوتاً أو نصباً، ولا تجعلوا في أرضكم حجراً مصوراً لتسجدوا له".⁵

وهذا سليمان يعبد الأصنام إكراماً لنسائه: وأحبّ الملك سليمان نساءً غريبة كثيرة مع بنت فرعون موابييات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الربّ لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبع مئة من النساء السيدات وثلاث مئة من السراري فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمان شيخوخة سليمان

1. المسيري 155/4.

2. اليهود دراسة تاريخية ص 90

3. المصدر السابق ص 91

4. سفر اللاويين 19: 4

5. سفر اللاويين 26:1

أَنَّ نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشرّ في عينيّ الربّ ولم يتبع الربّ تماماً كداود أبيه. حينئذ بنى سليمان مرتفعة لكموش رجس المآبيين على الجبل الذي تجاه أورشليم، ولمولك رجس بني عمون. وهكذا فعل لجميع نساءه الغربيات اللواتي كنّ يوقدن ويذبحن لآلهتهنّ فغضب الربّ على سليمان لأنّ قلبه مال عن الرب.¹

وهذا ابنه يربعام يعمل عجلي ذهب ويقول لهم... هو ذا آلهتك يا إسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر، ووضع واحد في بيت إيل، وجعل الآخر في دان... وكان الشعب يذهبون إلى أمام أحدهما حتى إلى دان.²

وهذا أحد ملوكهم أخزيا بن أخاب يسجد للبعل: وعمل الشرّ في عيني الربّ، وسار في طريق أبيه وطريق أمّه وطريق يربعام بن نباط الذي جعل إسرائيل يخطيء، وعبد البعل وسجد له وأغاظ الربّ إله إسرائيل حسب كل ما فعل أبوه.³

ويعاتبهم الله عزّ وجلّ قائلاً لهم: اسمعوا كلمة الرب يا بيت يعقوب وكل عشائر بيت إسرائيل. هكذا قال الرب ماذا وجد فيّ آبائكم من جور حتى ابتعدوا عني وساروا وراء الباطل وصاروا باطلاً.⁴

وحين تقولون لماذا صنع الربّ إلهنا بنا كلّ هذا، تقول لهم إنكم تركتموني وعبدتم آلهة غريبة في أرضكم.⁵

يقول الربّ أتسرقون وتقتلون وتزنون وتحلفون كذباً وتبخرون للبعل وتسيرون وراء آلهة أخرى، ثم تأتون وتقفون أمامي في هذا البيت الذي دعي باسمي عليه وتقولون قد أنقذنا حتى تعملوا كلّ هذه الرجاسات.⁶

1. سفر الملوك الأول 11: 1 - 9

2. المصدر السابق 29: 12 و 30

3. الملوك الأول 51: 22... 53

4. سفرارميا 4: 2 و 5

5. المصدر السابق 19: 5

6. المصدر السابق 9: 7 و 10

ومن أسماء التماثيل التي ذكرتها التوراة: تمثال الغيرة، وتمثال السارية، وتمثال الشكل، وقد أحبوا على الخصوص تماثيل العجول.¹

وكان السلوقيون من الأقسام التي انقسمت من الدولة الإغريقية، والتي دخل فيها الكفر والانحراف. واستطاع هؤلاء أن يسيطروا على هذه المناطق، وبدؤوا يضطهدون اليهود اضطهاداً شديداً، حتى أنّ حاكمهم أجبر اليهود على عبادة "زيوس"، وهذا من الآلهة الأوليمبية عند الإغريق. وتحت الضغط ترك أكثرهم عبادة الله عزّ وجل والتفت لعبادة "زيوس". وبدأت الطقوس الإغريقية تنتشر بين اليهود.²

3. تحريف الكلم عن مواضعه:

لجأ اليهود في تعاطيهم مع تعاليم الله عزّ وجلّ ومع أنبيائه إلى الكثير من الوسائل الدنيئة، ومن أهمّها تحريف كلام الله سبحانه عن مواضعه.

وقد أثبت القرآن الكريم ذلك عليهم في كثير من الآيات. يقول تعالى:

﴿...وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ ءآخَرِينَ لَمْ

يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا

فَاخْذُوهُ وَإِن لَّمْ تَأْتَوْهُ فَاصْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ

اللَّهِ شَيْئاً أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ

وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٥١﴾³

والتحريف: إمالة الشيء عن موضعه إلى أي جانب من جوانب ذلك الموضع.

1. اليهود دراسة تاريخية ص 94

2. فلسطين التاريخ المصور ص55.

3. المائدة 41.

وتحريف الكلام عن مواضعه، يصدق بتحريف الألفاظ بالتأخير والتقديم والحذف والزيادة،¹ وليّ اللسان بالكتاب وفتل الكلام وتحريفه بصرفه عن معناه إلى معنى آخر بحمل الألفاظ على غير ما وضعت له.

وقد وقع اليهود في كلّ أنواع التحريف هذه. فقد كانوا أمة واحدة مجتمعة على كتاب واحد هو صراط الله فسوّل لهم الشيطان، ففترقوا وجعلوا لهم مذاهب وطرقاً وأضافوا إلى الكتاب ما أضافوا، وحرفوا من كلمه ما حرفوا واتبعوا السبل ففترقت بهم عن سبيل الله.

فمن تحريفهم الألفاظ بالتأخير والتقديم والحذف والزيادة قال عنهم الله عزّ وجلّ:

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا

حِطَّةٌ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ

الْمُحْسِنِينَ﴾²

أمرهم نبيهم عليه السلام أن يدخلوا قرية معينة -بموجب طلبهم- ويأكلوا من حيث شاؤوا، بشرط أن يدخلوا الباب سجداً ويقولوا "حطة"، ومعناها: أن يا ربنا حطّ عنا خطايانا، أي اغفر لنا. فكانوا يقولون: "حنطة" ظلماً منهم وعتوّاً واستكباراً عن أوامر الله تعالى.

واستهزؤوا ببوشع عليه السلام، وقالوا نحن انتصرنا بقوتنا فقط. ولما أمرهم نبيهم أن يدخلوا الباب سجوداً، ركع بعضهم واستدار، ودخل القرية بمؤخرته. فتأمل هذا الشعب المعاند الكافر؟!³

قال الله تعالى في ذلك بعد أن أمرهم بقول "حطة" فغيروها إلى "حنطة": ﴿فَبَدَّلَ

الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ

السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾⁴

1. تفسير المنار 283/6.

2. الأعراف 161.

3. فلسطين التاريخ المصور ص35.

4. الأعراف 162.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قيل لبني إسرائيل ادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة فدخلوا يزحفون على أستاهم وقالوا حبة في شعيرة..) ¹ حَرَفُوا قَوْلًا وَفَعَلًا.

ومن تحريفهم لِي اللسان:

﴿وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونِ أَلْسِنَتَهُم بِأَلِكْتَبٍ لِيَتَحَسَّبُوهُ مِنْ أَلِكْتَبٍ وَمَا هُوَ مِنْ أَلِكْتَبٍ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ أَلِكْتَبِ وَهُمْ يَعْمُونَ﴾ ²

أما لِي اللسان بالكتاب فهو فتله للكلام وتحريفه له بصرفه عن معناه إلى معنى آخر. وقد وصف تعالى به اليهود بقوله:

﴿مَنْ أَلْزَيْنَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ أَلِكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنَا فِي أَلْدِينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ³

وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمَعٍ: كانوا يخاطبون النبي صلى الله عليه وسلم استهزاء به مظهرين له صلى الله عليه وسلم إرادة السمع. وهم مضمرون في أنفسهم عدم السمع. رَاعِنًا أي راعينا، كانوا يخاطبونه صلى الله عليه وسلم بذلك، ينون الشتيمة والإهانة ويظهرون التوقير والاحترام. ⁴

فهذه أمثالٌ من لِي اللسان بالكلام وإن لم يكن من الكتاب، وذلك بأنهم وضعوا كلمة (غَيْرَ مُسْمَعٍ) مكان كلمة "لا أسمعتك مكروهاً" الدعائية التي تقال عادة عند ذكر

1. أخرجه البخاري في صحيحه (ص 617 ح 3402)، كتاب الأنبياء، باب 28، من طريق همام بن منبذة عن أبي هريرة رضي الله عنه، ومسلم في صحيحه (ص 1291 ح 3015) كتاب التفسير من الطريق ذاته.
2. آل عمران 78.
3. النساء 46.
4. تفسير أبو السعود ج 1 دار إحياء التراث العربي بيروت ط 4، ص 181.

السماع، وكلمة (زاعِنًا) مكان كلمة (انظُرْنَا) التي يقولها الناس لمن يطلبون معونته ومساعدته وإنما قالوا غَيْرَ مُسْمَعٍ لأنها تستعمل في الدعاء على المخاطب لمعنى لا سمعت وقالوا زاعِنًا لأن هذه الكلمة عبرانية أو سريانية كانوا يتسابقون بها.¹

ومن تحريفهم بالنقصان:

كان اليهود يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم فيردّ عليهم السلام حتى كان من بعض سفهائهم تحريف السلام بلفظ (السام) أي الموت، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يجيبهم بقوله (وعليكم). روت عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَهَمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَقَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ.²

ومن تحريفهم: إخفاء الآيات ومحاولة إنكارها للهروب من أحكامها:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ بِالْبَطْلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾³

أخرج أحمد والبخاري ومسلم عن ابن عمر قال: إن اليهود أتوا النبي صلى الله عليه وسلم برجل منهم وامرأة قد زنيا فقال: ما تجدون في كتابكم؟ قالوا: تسخم وجوههما وبخزيان، قال: كذبتن إن فيها الرجم ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁴ فجاؤوا بالتوراة وجاؤوا بقارئ لهم - وفي رواية أحمد زيادة: أعور يقال له ابن صوريا - فقرأ حتى إذا أتى إلى موضع منها وضع يده عليه، فقيل له: ارفع يدك، فرفع يده فإذا هي تلوح (أي آية الرجم). فقالوا: يا محمد إن فيها الرجم

1. تفسير المنار 344/3.

2. أخرجه البخاري في صحيحه 6256.

3. آل عمران 71.

4. آل عمران 93.

ولكننا كنا نكتمه بيننا. فأمر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجما. فلقد رأيتُه
ينحني عليها يقبها الحجارة بنفسه.

ومن أنواع التحريف: تحريف المعاني والاحتيال عليها كما فعل أصحاب السبت.

﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾﴾

فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾¹

﴿وَسَأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ

إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْتَوُونَ لَا تَأْتِيهِمْ

كَذَلِكَ نَبَلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٦٧﴾﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعْبُونَ

قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ

يَتَّقُونَ ﴿٦٨﴾﴾²

ومن أنواع التحريف: التغيير والتبديل في الأحكام الشرعية وإبداء البعض منها
وإخفاء الكثير. وهذا نموذج من تعاطيهم مع تعاليم كتبهم في عصر النبي محمد عليه
الصلاة والسلام:

﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنْكُمْ مِّن دِيَارِهِمْ

تُظَاهِرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسْرَىٰ تَقْلُدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ

عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفْتَوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكُتُبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ

ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ

وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا

يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾﴾³

1. البقرة 65-66.

2. الأعراف 163-165.

3. البقرة 85-86.

﴿أَفْتُونُونَ بَعْضَ الْكُتُبِ﴾ أي بالفداء، وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ أَي بالقتال والجلاء. وذلك أَنَّ بني قريظة كانوا حلفاء الأوس، والنضير كانوا حلفاء الخزرج. فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه، وإذا غلبوا خربوا ديارهم وأخرجوهم، وإذا أسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه.

فغيرتهم العرب وقالت: كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم. فيقولون: أمرنا أن نفديهم وحرّم علينا قتالهم. ولكننا نستحي أن نخذل حلفاءنا.

والخزي: قتل بني قريظة وأسرهم وإجلاء بني النضير.¹ ومن التحريف تغيير التوراة وكتابة أمور أخرى بأيديهم، وينسبونها إلى التوراة كما حصل في تبديل صفة النبي عليه السّلام.

يروى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أَنَّ هذا الفريق هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف أحد زعمائهم الملحّين في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإيذائه والاعراء به، غيروا التوراة وكتبوا كتاباً بدّلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذت قريظة ما كتبوه فخطوه بالكتاب الذي عندهم، وجعلوا يلوون أسنتهم بقراءته يوهمون الناس أنّه من التوراة.

جاء في كتبهم أَنَّ الله تعالى يبعث فيهم نبياً من ولد إسماعيل يقيم به أمة، وأنّه يكون من ولد الجارية (هاجر)، وبين علاماته بما لا لبس فيه ولا اشتباه، ولكن الأخبار والرؤساء كانوا يلبسون على العامة الحقّ بالباطل، فيوهمونهم أَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم من الأنبياء الذين نعتهم الكتب بالكذبة (حاشاه)، ويكتمون ما يعرفون من نعوته التي لا تنطبق على سواه، وما يعلمون من صفات الأنبياء الصادقين وما يدعون إليه، وكله ظاهر فيه عليه الصلاة والسلام بأكمل المظاهر.

ويصف الله سبحانه اهتمامهم بتزييف كلامه وتزويره، يقول تعالى:

1. الزمخشري، الكشاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط1. ج1، ص185-186

﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾¹

إنَّ الله سبحانه وتعالى يريد أن يبيِّن لنا مدى تعمد هؤلاء للإثم.. فهم لا يكتفون مثلاً بأن يقولوا لغيرهم اكتبوا.. ولكن لاهتمامهم بتزييف كلامه سبحانه وتزويره، يقومون بذلك بأيديهم ليتأكدوا بأنَّ الأمر قد تمَّ كما يريدون تماماً. فليست المسألة نزوة عابرة، ولكنها مع سبق الإصرار والترصد. فساعة الكتابة له ويل وعذاب.. وساعة بيع الصفقة له ويل وعذاب.. والذين يكسبونه هو ويل وعذاب..²

ويضاف لأسباب التحريف المتعددة الغايات السيئة في نفوسهم بسبب الفساد المتأصل فيهم، ومن ذلك:

أنَّ موسى عليه السَّلام اختار بأمر الله سبعين رجلاً من قومه لسماع الوحي ومشاهدة الحال التي يكلمه الله تعالى بها وقد سمعوا كلام الله تعالى على الوجه الذي لا نعرفه، وإنما نعرف أنهم صحبوه إلى حيث كان يناجي الله تعالى، وكان من شأن الله تعالى معهم أن صدَّقوا بأنَّ ما جاء به موسى عليه السَّلام هو وحي من الله تعالى. والتصديق بذلك لا يتوقف على معرفة كفيته وكنهه فإنَّ أكثر ما نصدق به تصديق يقين لا نعرف حقيقته وكنهه ولا كفيته تكوينه وإيجاده. وقد كان من أولئك المختارين أنهم لما رجعوا إلى قومهم، حرفوا كلام الله الذي حضروا وحيه وأذعنوا له بأن صرفوه عن وجهه بالتأويل كما حققه ابن جرير الطبري وغيره.³

أو قد يكون بسبب ما جرى معهم من حوادث تشريد ومحاربتهم كما حصل معهم عند تسلط البابليين عليهم، ذلك بأنَّ اليهود لم يحفظوا ما استحفظوا من التوراة التي كتبها موسى عليه السَّلام وكان يحكم بها هو والنبيون من بعده، ويخالفهم الفاسقون الناقضون لعهد الذي أخذه عليهم قبل موته، إلى أن عاقبهم الله تعالى بتسليط

1. البقرة 79.

2. تفسير الشعراوي ج 1 ص 223-224.

3. تفسير المنار 356/1.

البابليين عليهم فجاسوا خلال الديار، وأحرقوا الهيكل وما فيه من تلك الأسفار، وسبوا البقية بالسيف منهم، وأجلوهم عن وطنهم إلى أرض مستعبيهم، فدانوا لشريعة غير شريعتهم، ولما أعتقوهم من الرق، وأعادوهم إلى تلك الأرض، وكانوا قد فقدوا نص التوراة وإنما حفظوا بعضها دون بعض، وكتبوا ما حفظوا من شريعة الرب، ممزوجة بما دانوا من شريعة ملك بابل كما أمر كاهنهم عزرا (عزيرا) ثم إنهم حرفوا وبدلوا ولم يقيموها كما أمروا.¹

قال الاستاذ الإمام: من شاء أن يرى نسخة مما كان عليه أولئك اليهود فلينظر فيما بين يديه فإنه يراها واضحة جلية. يرى كتباً ألفت في عقائد الدين وأحكامه، حرفوا فيها مقاصده، وحولوها إلى ما يغرّ الناس ويمتئهم ويفسد عليهم دينهم، ويقولون هي من عند الله وما هي من عند الله. وإنما هي صادة عن النظر في كتاب الله والاهتداء به. ولا يعمل هذا إلا أحد رجلين: رجل مارق من الدين يتعمد إفساده ويتوخى إضلال أهله، فيلبس لباس الدين ويظهر بمظهر أهل الصلاح يخادع بذلك الناس ليقبلوا ما يكتب ويقول. ورجل يتحرى التأويل ويستتبط الحيل ليسهل على الناس مخالفة الشريعة ابتغاء المال والجاه.²

وأعادوا كتابة التوراة وأضافوا لها كلام أبحارهم وسجلوها في أوراق وكتب، ثم تصرفوا في هذه الكتب والأوراق تصرفاً مزاجياً، فأخذوا ما وافق مزاجهم واعتبروه شرع الله ودينه وما لم يوافق مزاجهم تركوه وهو كثير.³ يقول تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلَ لَهُ قَرَّاطِسَ يُدُونَهَا وَيُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُمَامَةٌ مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنَّهُمْ وَلَا ءَابَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ تَرَاهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾﴾⁴

القراطيس جمع قرطاس، والقرطاس هو الورق الذي يكتب فيه.

1. المصدر السابق 286/10

2. المصدر السابق 361/1

3. الشخصية اليهودية من خلال القرآن ص 163.

4. الأنعام 91.

والعجيب أن القرآن يجعل التحريف بضاعة يهودية وخلقا يهوديا خاصا. حيث لم يرد فيه فعل يحرفون، إلا أربع مرّات كلها تتحدث عن هذا الخلق اليهودي.¹ والسبب الكبير في التحريف الذي جرى أن دينهم أعطى السلطة للحاخامات يفعلون ما يشاؤون، يغيرون ويبدلون كما يشاؤون.

وهذا ما أكده إنجيل برنابا، وقال يسوع: الحق أقول لكم إنّ الكتبة والعلماء قد أبطلوا شريعة الله بنبوتهم الكاذبة المخالفة لنبوات أنبياء الله الصادقين، لذلك غضب الله على بيت إسرائيل وعلى هذا الجيل القليلي الإيمان.²

وفي مكان آخر: حينئذ قال التلاميذ: يا معلم هكذا كتب في كتاب موسى عليه السلام، إنّ العهد صنع بإسحق، أجاب يسوع متأوها هذا هو المكتوب، ولكنّ موسى عليه السلام لم يكتبه ولا يشوع، بل أحبارنا الذين لا يخافون الله. الحق أقول لكم إنكم إذا أعملتم النظر في كلام الملك جبرائيل تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا.³

وأما القرآن العظيم، فإنهم يسمونه، فيما بينهم (قالون)، وهو اسم للسوأة بلسانهم، يعنون أنه بذلك عورة المسلمين وسواتهم!!

وأما الإسلام فهو دين كذب وافتراء على الله بزعمهم، أتى به محمد - حاشاه صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق - ويعلق السؤال على ذلك قائلاً: وبذلك وأمثاله، صاروا أشدّ عداوة للذين آمنوا، فكيف لا يلعنهم الله، ويلعنهم اللاعنون؟!...⁴ يجب على اليهودي أن لا يسلم على الأميين إلا خوفاً من الضرر أو العداوة مرة واحدة واعترض البعض بأنّ بعض العملاء يحيون الأميين بالسلام فأجيب: إنهم يضمرون السلام لذواتهم وللمعلم الذي علمهم التوراة!!⁵

ومن القوانين الدينية: تحريم دفع أجر عن عمل يتمّ القيام به يوم السبت، وقد خلق هذا التحريم مشكلة للحاخامات في العصر الحديث. ويتمّ التحايل على هذا الحظر عن طريق دفع رواتب الحاخامات أول الشهر وأول العام. فإنّ رواتبهم هي نوع من

1. الشخصية اليهودية من خلال القرآن ص 201.

2. إنجيل برنابا، ترجمة الدكتور خليل سعادة، مطبعة المنار، القاهرة .ب.ط. 1326هـ، ص 22.

3. المصدر السابق 68.

4. التلمود ص 206

5. التلمود ص 218.

التعويض عن التعطل أي رسوم بطالة... وقد تمّ فيما بعد التوصل إلى تحلات أخرى أكثر حدقًا وصقلًا. فعلى سبيل المثال يحلّ حلب البقرة يوم السبت إذا كان ذلك ضروريًا لإراحتها، شريطة أن يدع اليهودي اللبن أن يسقط على الأرض. فعملت الكيبوتسات الدينيّة على التحايل على هذا الوضع بأن يدخل أحد أعضاء الكيبوتسات إلى الحظيرة ويضع دلوًا أسفل البقرة، ثم يدخل آخر بعده وهو يتعمّد ألا يرى الدلو، ويقوم بحلب البقرة لإراحتها تاركًا اللبن يسقط على الأرض في الدلو الذي لم يشاهده!¹ لذلك لعنهم الله وحكم عليهم بقسوة القلوب:

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ
الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى
خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾²

4. الجحود وكفر النعم:

أنعم الله سبحانه على بني إسرائيل ما لم يؤت أحدًا من العالمين، فمنذ زمن يوسف عليه السلام والنعم تنهال عليهم. ولكنهم لم يراعوها وجددوا بها فزالَت عنهم. خرجوا من مصر مع نبيّ الله موسى عليه السلام الذي أنقذهم من الرقّ والعبودية إلى الحرّيّة، وبقيت نعم الله عزّ وجلّ تنصبّ عليهم صباً. ولكنهم يهود لا يشكرون نعمة:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ عَالِمِينَ إِنَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَهْتَكُونَ
أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مَلُوكًا وَإِنَّكُمْ لَمَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾³

1. المصدر السابق ص 269.

2. المائدة 13.

3. المائدة 20.

إذ قال موسى عليه السّلام لقومه بعد أن أنقذهم من ظلم فرعون وقومه وأخرجهم من أرض العبودية: ﴿أذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بالشكر له والطاعة، لأنّ ذلك يوجب المزيد، وتركه يوجب المؤاخذة والعذاب الشديد: ولفظ نعمة يفيد العموم بإضافته إلى اسم الله تعالى، وقد بيّن لهم موسى عليه السّلام مراده بهذا العموم بذكر ثلاثة أشياء كانت حاصلة بالفعل، بعد نعمة إنقاذهم من المصريين:

الأول: وهو أشرفها، جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ، جعل كثير من الأنبياء فيهم. وهذا يصدق بوجود المبلّغ لذلك، ووجود أخيه هارون عليه السّلام ومن كان قبلهما عليهم السلام، وتشعر العبارة مع ذلك بأن النعمة أوسع، وأنّ عدد هؤلاء الأنبياء كثير أو سيكون كثيرا.

الثاني: وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا، إنّ المراد بالملك هنا الاستقلال الذاتي والتمتع بنحو ما يتمتع الملوك من الراحة والحرية في التصرف.....

وذهب بعض المفسرين إلى أنّ المعنى أنه جعلهم ملوكًا بالقوّة والاستعداد بما آتاهم من الحرية والاستقلال وشريعة التوراة العادلة التي يرتقون بها في مراقبي الاجتماع، وهو بشارة بأنه سيكون منهم ملوك بالفعل.

الثالث: ﴿وَمَا لَكُمْ لِمَا كُفِّرْتُمْ قَدْرًا﴾¹ إيتاؤهم ما لم يؤت أحد من العالمين أي عالمي زمانهم وشعوبه التي كانت مستعبدة للملوك العتاة الطغاة كالكبش والبابليين.²

وحاول موسى عليه السّلام النهوض والارتفاع بهم إلى مصاف البشر ولكنه لم ينجح في ذلك.

ومن نعم الله الكثيرة التي لا يستطيعون نسيانها أنهم رأوا بأبّ أعينهم كيف نجّاهم عزّ وجلّ من فرعون، ورأوه يغرق أمامهم بتلك المعجزة الباهرة.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾¹

1. المائدة 20.
2. تفسير المنار 324/6

وما كادوا يخرجون من الماء ويرتاحوا من فرعون وظلمه حتى مزّوا على قوم عاكفون على أصنام لهم: ﴿قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٧٨﴾² هل بعد هذا الحجود جود؟ بدل أن يشكروا الله عز وجل الذي أنقذهم بمعجزة عظيمة يكفرون ويرتدّون إلى عبادة الأصنام.

ووظلّنا عليهم الغمّ أي السحاب الأبيض أو الرقيق منه، أي سخرنا لهم الغمام يلقي عليهم ظله فيقيهم لفتح حرارة الشمس من حيث لا يحرمون فائدة نورها وحرّها المعتدل، ولولا كثرة السحاب في التيه لأحرقتهم الشمس إذ لم يكن هناك شجر يستظلون به ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوٰى﴾³، المنّ مادة بيضاء تنزل من السماء (الجو) كالطلّ حلوة الطعم وطعمه كالرقيق بالعسل، وإذا جفت تكون كالصمغ وكان لهم بدلًا من الخبز، وقد كثر نزوله على بني إسرائيل في التيه، أما السلوى فقد فسروها بالسّمّان وهو الطائر المعروف. وقال إنها كانت تهاجر من أفريقيا فتصل إلى سيناء تعبئة فتقع على الأرض فتؤخذ باليد.⁴

وعندما أرادوا الماء للسّقى بعد أن أصابهم الظمّ طلبوها بطريقة بشعة جدًّا تناولوا فيها على موسى عليه السّلام، فعادوا عليه باللائمة أن أخرجهم من مصر. فاستغاث موسى عليه السّلام بربه واستسقاها لقومه: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُؤُاْ وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٧٩﴾﴾⁵

ولكنهم لم يحمدا الله عليها، بل زادتهم تلك النعم طغيانًا وكفرًا، فرماهم الله تعالى بغضبه ولعنته، وضرب عليهم الذلة والمسكنة، ومسح طبيعتهم، وخرج بهم من عالم الإنسانيّة إلى عالم القرود والخنازير.

1. البقرة 50.

2. الأعراف 138.

3. الأعراف 160.

4. تفسير المنار 9:369.

5. البقرة 60.

وحتى على الصعيد الشخصي الفردي يوتى أحدهم نعمة فلا يشكرها. فهذا واحد منهم، أفاض الله تعالى عليه من نعمه من المال ما لو رعى حق الله فيه، وأدى بعض ما يجب لله تعالى عليه من شكر لكان له من هذا المال سعادة الدنيا والآخرة... ولكنه اتخذ هذا مركباً للطغيان والجحود، والكفر بالله والعياذ بالله، فكان أن أخذ الله أخذ عزيز مقتدر، وبعد أن كان موضع حسد من كثير من الناس، صار مثلاً مضروباً بينهم للشقوة والبلاء.¹

فهذا قارون أوتي من المال ما إن مفاتحه لتتوء بالعصبة أولي القوة.

﴿إِنَّ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۗ وَعَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوتُوا بِالْعُصْبَةِ ۗ أُولَىٰ الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۗ﴾ وَأَبْغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۗ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۗ وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۗ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتهُ وَعَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۗ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَرُونَ ۗ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ تَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ۗ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنْتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَتَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَآنَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ

1. اليهود في القرآن ص 32

وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَاثُهُ وَلَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٣﴾ تِلْكَ الدَّارُ
الْآخِرَةُ نَجَعَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٤﴾¹

وتبين التوراة طبيعة يهود الجاحدة الناكرة للجميل والمعروف. وتكشف قصة يوسف في مصر، التي توردها التوراة، عن لؤم يهود وجحودهم ونكرانهم للجميل. وفي مكان آخر: "كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتموني يا بيت إسرائيل". و"لأنهم من الصغير إلى الكبير، كل واحد مولع بالريح، من النبي إلى الكاهن، ولم يخزوا خزيًا، ولم يعرفوا الخجل، أغاظوني بأصنامهم".²

5. كثرة الجدل والتنطع في الدين:

اشتهر اليهود من قديم بغاية الجدل والمماحكة، ولجاجة القول، وسوء المراجعات حتى ذهبوا مثلاً بين الناس في هذا الباب!! وكانت حرفة التزييف فيهم أحد الأسباب التي أضمرت فيهم هذه الخصلة الذميمة، وأشعلت أوارها، حتى صارت عادتهم الراسخة، فهم يجادلون بالحق أو بالباطل، ويجادلون أنبياءهم وصالحهم، ويجادلون في أمر الله عز وجل وفي كتبه...³ إن انقطاع الصلة بين قلوبهم والإيمان بالغيب والثقة بالله تعالى وعدم الاستعداد لأخذ ما يأتيهم به رسلهم عليهم الصلاة والسلام، إلى التلکؤ في الاستجابة للتكليف وتلمس المعاذير، تظهر شخصيتهم بما فيها من انحراف وفسوق عن سبيل الله، ومماثلة عن إطاعة أوامره وسخرية منبعثة من سلاطة لسانهم.⁴ ومن الحوادث الدالة على ذلك قصة البقرة إذ قال لهم نبيهم:

1. القصص 76 – 83

2. سفر إرميا 20/3.

3. معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص 132.

4. اليهود في القرآن ص 241.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً﴾¹ وهذا ليس أمر موسى عليه السلام إنما هو أمر ربهم الذي عرفوه طوال الرحلة من مصر وفي الصحراء -الذي أنعم عليهم النعم الكثيرة والتي لا تكاد تحصى- ولكن جوابهم كان سفاهة وسوء أدب واتهام لنبيهم بأنه يهزأ بهم ويسخر منهم.²

﴿قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾ وهذا القول من سفههم وخفة أحلامهم وجهلهم بعظمة الله تعالى وما يجب أن يقابل به أمره من الاحترام والامتثال.³

﴿قَالَ أَعُودُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ وكان في هذا كفاية ليثوبوا إلى رشدهم وينفذوا أمر الله تعالى. ولكنها إسرائيل في عنادها وتنطعها.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ﴾ وهذا تعنيت منهم وقلة طواعية.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾

وفي هذا كفاية لمن يريد الكفاية. وكان حسبهم ردهم نبيهم إلى الجادة مرتين. ولكن إسرائيل هي إسرائيل لقد راحوا يسألون:

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقْرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقْعُ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّظِيرِينَ﴾^{٦٦}

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقْرَةَ ثَمَلَبَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ

لْمُهْتَدُونَ﴾^{٧٠}

وكان يجب عليهم أن يكتفوا بهذه الميزات ولكنهم زادوا عنادًا وتنطعًا في طلباتهم.

1. البقرة: 67.

2. في ظلال القرآن 77\1.

3. تفسير المنار، 348\1.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَمَّمَةٌ لَا

شِيَةَ فِيهَا﴾ وهنا أصبحت البقرة خاصة جدًا غير مذللة بالعمل، ولا مدربة على حرث الأرض أو سقي الزرع خالصة اللون لا تشوبه علامة بالإضافة إلى الصفات السابقة.

﴿قَالُوا أَلَمْ نَجِئْ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾¹

أي وما قاربوا أن يذبحوها إلا بعد أن انتهت أسئلتهم وبعد تنطعهم الشديد في أوامر الله عز وجل. قال ابن عباس وأبو العالية والحسن البصري: لو أنهم ذبحوا أي بقرة أرادوا لأجزأتهم ولكنهم شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم.²

وهذه القصة مما أراد الله تعالى أن يقصه علينا من أخبار بني إسرائيل في قسوتهم وفسوقهم للاعتبار بها. ومن وجوه الاعتبار أن التنطع في الدين والاحفاء في السؤال، مما يقتضي التشديد في الأحكام، فمن شدد شدد عليه.³

وكذلك في قصة طالوت:

﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى

يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾

ولما اعترضوا على ذلك، ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ

يَأْتِيَكُمْ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ

مُوسَىٰ وَآءَالُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن

كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾

1. البقرة 67 - 71.

2. تفسير المنار، 350\1.

3. المصدر السابق 345\1.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾
 لم ينتهوا من الجدل والاعتراض إلا أمام معجزة عظيمة باهرة من الله عز وجل.
 ورغم ذلك عند ساعة الفصل، ﴿قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾¹

وقد كان الله تعالى حرم على بني إسرائيل بعض الطيبات عقوبة لهم كما قال:
 ﴿فِظْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٌ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ كِبِيرًا﴾²

ونتيجة للتشدّد والتنطع في الدين والجدل، وقعوا في كثير من المحاذير فكثير من المباحات حرمت عليهم عقوبة وتأديبًا.

وأحلوا لأنفسهم أكل أموال غير الإسرائيليين بالباطل، كما حكى الله تعالى عنهم بعد ذكر استحلال بعضهم أكل ما يأتهم عليه العرب:

﴿وَمَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾³

وحرّموا هم على أنفسهم طيبات أخرى لم يحرّمها الله تعالى عليهم، وهذا مثال على ذلك:

1. البقرة: 247 - 249.

2. النساء 160

3. آل عمران 75

﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾¹

والمراد بإسرائيل شعب إسرائيل، كما هو مستعمل عندهم، لا يعقوب نفسه. ومعنى تحريم الشعب ذلك على نفسه: إنه ارتكب الظلم واجترح السيئات التي كانت سبب التحريم، كما صرحت الآية.²

وفي أحكام الحائض حاولوا التشديد على الناس كما شددوا على أنفسهم، فأنزل الله سبحانه قوله:

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾³

شددوا فشدّد الله عليهم، صار كلّ من مسّ الحائض في أيام طمثها يكون نجسًا، وكل من مسّ فراشها يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء، وكل من مسّ متاعًا تجلس عليه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسًا إلى المساء، وإن اضطجع معها رجل فكان طمثها عليه يكون نجسًا سبعة أيام، وكل فراش يضطجع عليه يكون نجسًا إلخ..⁴

فإن قيل: كيف غلب على غلاة بني إسرائيل ذلك الضلال والإضلال، وأثر أكثرهم اتباع الهوى على هدى الأنبياء؟ وبماذا أخذهم الله تعالى على هذا الإصرار؟ فالجواب عن ذلك قوله عزّ وجلّ:

1. آل عمران 93.
2. تفسير المنار، 3/4.
3. البقرة 222.
4. سفر اللاويين: 15

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾¹

واللعن أشد ما يعبر الله تعالى به عن مقته وغضبه، فالملعون منه هو المحروم من لطفه وعنايته، البعيد عن هبوط رحمته.²

ومن تلك الأحكام المتشددة والإصر الثقيل الذي نزل بهم ما جاء من التشديد في أمور الطهارة وإزالة النجاسة عن الثياب والبدن، فلم تتحقق لهم الطهارة إلا بقص ما أصابته النجاسة من الثوب والبدن، وفي ذلك شدة ما بعدها شدة وعنت ما بعده عنت، يتناسب مع عقليتهم المنحرفة وتفكيرهم الشاذ، فقد جاء في حديث عبد الرحمن بن حسنة قال: (خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي يده الدرة فوضعها، ثم جلس فبال إليها فقال بعضهم: أنظروا إليه يبول كما تبول المرأة، فسمعه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ويحك أما علمت ما أصاب صاحب بني إسرائيل، كانوا إذا أصابهم البول قرضوه بالمقاريض فناهم عن ذلك فعذب في قبره).³

ومن تلك الأحكام المتشددة على اليهود التشديد في حكم القصاص، ذلك أنه لم يكن في حكم القتل سواء عمداً أم خطأ إلا حكم القصاص بالقتل، ولم يكن أمر الدية مقبولاً، فمن قتل عمداً أو مخطئاً قتل، ولا يستطيع أن ينفذ نفسه بدفع الدية، وفي هذا مشقة وعنت كبيرين، فقد جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية"، فقال الله تعالى لهذه الأمة:

1. المائدة 77-79.

2. تفسير المنار: 489/6.

3. أخرجه النسائي برقم 30، وابن ماجه برقم 346، وأبو داود برقم 22 وأحمد في المسند 196/4، وأبو يعلى برقم 932، وإسناده صحيح. يبول كما تبول المرأة: يعني يبول وهو جالس.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحَرْبُ بِالْحَرْبِ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ
وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءُهُ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ
ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾¹

والمعنى أن هؤلاء اليهود قد استحقوا العقاب نتيجة ظلمهم المتكرر والمتنوع على الشعوب ومع أنفسهم وعلى أنبيائهم، والتطاول على أحكام الله، وعلى أوامره وعدم الالتزام بها، فحرم الله تعالى عليهم الطيبات التي كانت حلالا لهم من قبل. وفي التلمود أمور عجيبة وغريبة منها:

يقول التلمود: على المرأة أن تحمم نفسها إذا رأت شيئا نجسا، (كلب، حمار، سكان عالم الحياة الفانية، عكوم، جمل، خنزير، حصان، ومجنوم...)

أنتم قطيعي وقطيع مرعاي هم البشر، أنتم إذن بشر، ولكن الغويم ليسوا كذلك.²
... محرّم الوقوف في ظل بيت وثني سواء من الداخل أم من الخارج، عن بعد أربعة أذرع (الذراع الواحد 20 سم) من المدخل الأمامي، لكنه ليس محرّمًا من جهة أخرى الوقوف تحت ظل مؤخرة بيت، كما ليس من المحرّم علينا أن نفيء إلى ظلّ بيت كان مكانها سابقًا أرض طريق عام استولي عليها من الملكية العامة المشتركة وبني عليها بيت وثني على اعتبار أنّ الطريق ما يزال قائما..
إذا كان بيت الوثنيّ قد وجد قبل الطريق فلا يجوز المرور بقربه. وهناك من يقول: إنه حرام المرور في أي حال.

كما أنه لا يجوز لليهودي أن يكون بيته قرب معبد وثني، وحرام عليه تجديد البيت إن كان مهتمًا في مكان كهذا...³

1. البقرة 178.

2. التلمود ص 382

3. المصدر السابق ص 386

6. تطاولهم على الأنبياء وقتلهم:

قال تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلِيلَةُ أَتَيْنَ مَا تُخْفُونَ إِلَّا يَحْبِلُ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١٣٢﴾﴾¹

إنَّ الأنبياء هم خلاصة الخير والطهر والعفاف في البشرية، وهم الصفوة الأخيار منها. فهم الهداة الذين يقتدي الناس بهم، والشموس التي تنير للبشرية طريقها. يتمتعون بجميع الفضائل والخصال السامية. اصطفاهم الله برسالاته وجعلهم هداة للبشرية أمرين بالمعروف ناهين عن المنكر. ولذلك فهم معصومون من الخطأ منزّهون عن الدنيا والرزائل وسفاسف الأمور. يتمتعون بصفات الكمال البشري، مبرّؤون عن النقائص وعن كل ما يقدح بمقامهم، مقام النبوة والرسالة.

فكيف هو حال الأنبياء عند اليهود؟

إنهم يزعمون أنّ الله سبحانه وتعالى يحبّهم دون جميع الناس ويحبّ طائفتهم ورسالتهم وأنَّ الأنبياء والصالحين لا يختارهم الله تعالى إلا منهم، ﴿وَعَرَّهْمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾²

امتدّت النبوة فيهم فترة طويلة. وكثر فيهم الأنبياء والمرسلون. وقد جعل اليهود هذه الظاهرة لصالحهم واعتبروها مظهرًا من مظاهر تكريمهم ومحبة الله لهم. وهذه عاداتهم في التحريف والمكر والخداع. ولكنّ هذا الأمر ليس في صالحهم وإنّما هو دليل على انحرافهم وفسادهم وتعقيد نفسيّاتهم وسوء أخلاقهم وتمكن الشرّ والايذاء في نفوسهم بحيث صعب علاجهم وإصلاحهم. فلا يكاد يقدر على هذا، الإنسان العادي مهما بلغ

1. آل عمران 112

2. آل عمران 24

من الصلاح والتقوى والصبر والحكمة والفتنة فاحتاج الأمر أن يكون الأنبياء هم الذين يتولون هذا الأمر¹، ولكنهم يهود...

فتراهم يتهمون الأنبياء بما لا يليق ببشر عادي.

أنبياء يمارسون العبادات الوثنية، آخرون يسبون الرب، وكثير منهم مجرمون سفاحون، وبعضهم سكيرون زناة بمحارمهم وحتى مع الشياطين، وبعضهم يمارسون السحر والعرافة...

فهذا موسى عليه السلام، لم تكن حياته معهم غير سلسلة من المآسي والآلام. ومما زاد حياته محنة، تعرضه لنقمة فرعون والمصريين من جهة، وإيذاء قومه وسفهمهم وتناولهم عليه من جهة أخرى. وكثيراً ما شهد تناولهم عليه وعلى أخيه هارون عليهما السلام.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (كانت بنو إسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم إلى سواة بعض، وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده. فقالوا والله ما يمنع موسى عليه السلام أن يغتسل معنا إلا أنه آدر²، قال فذهب فوضع ثوبه على حجر، ففرّ الحجر بثوبه، فجمح موسى عليه السلام بأثره يقول ثوبي حجر، ثوبي حجر. حتى نظرت بنو إسرائيل إلى سواة موسى عليه السلام فقالوا والله ما بموسى من بأس).³
قال تعالى: ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادَوُا مُوسَىٰ فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾﴾⁴

ويسوق الثعلبي قصة أخرى حول هذه الآية، وذلك أنّ بني إسرائيل تناولوا عليه في عرضه. روى ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أمر الله تعالى برجم الزاني، عمد قارون إلى امرأة بغيّ وأعطاهها مالاً وحملها على أن ادّعت على موسى عليه

1. الشخصية اليهودية من خلال القرآن 116-117.

2. عظيم الخصيتين

3. النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1972م. 126/15.

4. الأحزاب 69.

السَّلام أَنَّهُ زَنَى بِهَا وَأَنَّهُ أَحْبَبَهَا. فَعَظَمَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ ذَلِكَ، وَأَحْلَفَهَا بِاللَّهِ الَّذِي فَلَاقَ الْبَحْرَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنْزَلَ التَّورَةَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَّا صَدَقْتَ. فَتَدَارَكُهَا اللَّهُ فَقَالَتْ أَشْهَدُ أَنَّكَ بَرِيءٌ وَأَنَّ قَارُونَ أَعْطَانِي مَالًا وَحَمَلَنِي عَلَى أَنْ قُلْتُ مَا قُلْتُ، إِنَّكَ لَصَادِقٌ وَقَارُونَ الْكَاذِبُ. فَجَعَلَ اللَّهُ أَمْرَ قَارُونَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَأَمَرَ الْأَرْضَ أَنْ تَطِيعَهُ. فَجَاءَهُ وَهُوَ يَقُولُ لِلْأَرْضِ يَا أَرْضُ خُذِيهِ وَهِيَ تَأْخُذُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا، وَهُوَ يَسْتَغِيثُ بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ إِلَى أَنْ سَاخَ هُوَ وَدَارَهُ.¹

وَأُورِدَ الْبَغْوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (مَعَالِمُ التَّنْزِيلِ) قَوْلَ أَبِي الْعَالِيَةِ: أَنَّ قَارُونَ اسْتَأْجَرَ مَوْمِسًا لِنَقْذِفِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ بِنَفْسِهَا عَلَى رَأْسِ الْمَلَأِ فَعَصَمَهَا اللَّهُ وَبَرَأَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ ذَلِكَ، وَأَهْلَكَ قَارُونَ.² وَفِي زَادِ الْمَسِيرِ فِي عِلْمِ التَّفْسِيرِ (ص 1140) اسْتَأْجَرَ قَارُونَ بَغِيًّا لِنَقْذِفِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ بِنَفْسِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَعَصَمَهَا اللَّهُ وَبَرَأَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ ذَلِكَ.³

وَبَعْدَ مَعَانَاتِهِ الطَّوِيلَةَ مَعَهُمْ قَبِضَ أَخُوهُ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلامُ وَكَانَ مَعَهُ بِمَفْرَدِهِ، وَرَجَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ مِنْ دُونِهِ، فَقَالُوا إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ قَتَلَ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلامَ وَحَسَدَهُ حَبَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَهُ. رَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ قَالَ: آذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ بِأَنْ قَالُوا قَتَلَ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلامَ. وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَى وَهَارُونَ عَلَيْهِمَا السَّلامُ خَرَجَا مِنْ فَحْصِ التِّيهِ إِلَى جَبَلِ فَمَاتَ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلامُ فِيهِ. فَجَاءَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامُ وَحَدَّهُ، فَقَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلامَ أَنْتَ قَتَلْتَهُ وَكَانَ أَلَيْنَ لَنَا مِنْكَ وَأَشَدَّ حُبًّا. فَأَذَوْهُ بِذَلِكَ فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ فَحَمَلْتَهُ حَتَّى طَافُوا بِهِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَأَوْا آيَةَ عَظِيمَةَ دَلَّتْهُمْ عَلَى صِدْقِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلامِ.⁴

1. قصص الأنبياء ص 286

2. البغوي ص 1054

3. رواه السيوطي في الدر المنثور 136/5 والحاكم صححه، عن ابن عباس مطوَّلًا.

4. تفسير القرطبي 251\14.

ثم تجرأ منهم جماعة على موسى عليه السّلام وأبناء هارون عليه السّلام وهاجوا عليهم وقالوا لهم إنّ نعمة الله على شعب إسرائيل هي لأجل إبراهيم وإسحق فتشمل جميع الشعب. وقالوا لموسى عليه السّلام لست أفضل منّا، فلا يحقّ لك أن تترفع وتسد علينا بلا مزيّة، وإنّا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهره... فأخذهم إلى خيمة العهد، فانشقت الأرض وابتلعت طائفة منهم وجاءت نار من الجانب الآخر فأخذت الباقيين وهذه النار هي المعبر عنها بالصاعقة.¹ قال تعالى:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَلْمُوسَىٰ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ
تَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾²

هذه الحادثة شاهدة بطبيعة بني إسرائيل التي تشمل خيارهم وشرارهم لا يتفاوتون فيها إلا بمقدار. قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَارْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾﴾³ وفي آية أخرى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسَكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾⁴

أرسل الله لهم ثلاثة رسل: زكريّا ويحيى وعيسى عليهم السلام، وكان هؤلاء الرسل الثلاثة يحاولون أن يعيدوا اليهود لدين الحق، وأن يبعدهم عن الانحرافات التي هم عليها، ولكنهم ظلوا على انحرافهم وغيّهم.⁵

وتولى حكم فلسطين "بطليموس" الروماني، ولم يكن يهودياً. وأراد "بطليموس" أن يتزوج من ابنة أخيه، لجمالها البارع جداً. فأعلن لهم نبيّ الله يحيى، تحريم زواج المرأة من عمها تحريماً مطلقاً، وأنّ من يفعل ذلك كافر يجب قتله. فوجيء بطليموس، وكان

1. تفسير المنار 321/1.

2. البقرة 55.

3. المائدة 70.

4. البقرة 87.

5. فلسطين التاريخ المصور ص60.

يتظاهر بالتدين باليهوديّة، وبالتعاون مع اليهود واحترام مقدساتهم، ويتبع كلامهم في مثل هذه القضايا.¹ وقتلوا نبيّ الله يحيى عليه السّلام، الذي قال فيه النبي عليه السّلام، الشهيد ابن الشهيد. قتلوه إرضاء لشهوات الراقصة سالومي، وقطع رأسه وقدم هديّة لها. ثم قتلوا أبوه زكريا عليه السّلام بطريقة بشعة.

وفيما يلي تسجيل التلمود لواقعة السبي البابلي التي تدلّ على قتلهم لزكريا عليه السّلام. جاء في التلمود: "عندما بلغت ذنوب إسرائيل مبلغها وفاقت حدود ما يطيقه الإله العظيم وعندما رفضوا أن ينصتوا لكلمات وتحذيرات إرميا. ترك النبي إرمياها أورشليم. وطالما كان النبي لا يزال في المدينة المقدسة كان يدعو للرحمة عليها فنجت. ولكنه عندما هجرها دمّر نبوخذنصر بلاد إسرائيل وحطم الهيكل المقدّس ونهب مجوهراته وتركه فريسة للنيران الملتهبة... وعندما دخل نبوخذنصر الهيكل وجد علامة لرأس سهم على أحد جدران الهيكل، كأنّ أحدًا قتل أو أصيب بها، فسأل من قتل هنا؟ فأجاب الشعب زكريا بن يهوياده كبير الكهنة، لقد كان يحذرنا في كل ساعة من حساب (عقاب) اعتداءاتنا (الوصايا) وقد سئمنا من كلماته فانتهينا منه"² ولما كبر عيسى عليه السّلام، دعاهم إلى الله عزّ وجلّ، وظهرت على يديه المعجزات، فما كان منهم إلا أن اتهموه بالسحر، ومع كفرهم واستكبارهم بدأ الصراع الشديد بينه وبينهم.

وبدأ عليه السّلام يغير دين اليهود ويزيل المنكرات منه... دخل ذات مرة عليهم المعبد فجأة، وبدأ يقلب طاولات القمار، وجعل يجلداهم على انتهاكهم حرمة هذا المكان المقدس، وكان من الخطباء المشهورين في الهيكل.

وكانت اليهودية دينًا صارمًا فيه كثير من القيود والعقوبات التي فرضها الله على اليهود بسبب ظلمهم وعنادهم وكفرهم. فجاء عليه السّلام وجعل يلغي بعض هذه العقوبات والقيود، فتضايق منه الكهنة اليهود بسبب ذلك، وحسدوه على مكانته التي

1. المصدر السابق ص61.

2. التلمود تاريخه وتعاليمه ص66-67 و التلمود ص 338

وصل إليها في قلوب الناس. وأثار غيظ قلوبهم اتباع اليهود له، فبدؤوا يتآمرون على قتله عليه السلام.¹

وعذبه عذابًا شديدًا واتهموه ووالدته بأبشع التهم، وصبوا عليه العذاب ألوانًا، وعملوا كل جهدهم ليقتلوه، ولكن الله نجّاه منهم. قال تعالى:

﴿وَكُفِّرْهُمْ وَقُولِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ

ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبُّهُ لَهُمْ﴾²

ثم إنهم اضطهدوا المسيحيين أنصار المسيح عليه السلام اضطهادًا عظيمًا، حتى اختفى هؤلاء، واختفى الحواريون، وهرب بعضهم من القدس إلى روما. وتابع اليهود اضطهادهم للمسيحيين، وابتاتوا يقتلون أيّ مسيحي يجدونه أو يفونونه خارج فلسطين.³ وقد حاول غير واحد من اليهود قتل النبي محمد عليه السلام، لا بل هم الذين قتلوه فإنه مات بالسمّ الذي وضعته له اليهوديّة في الشاة بخبير، فقد ورد في الحديث أنّه قال لعائشة في مرض موته: (يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخبير فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم).⁴

وتأصل الكفر في قلوبهم، واعتادوا الشرك والفجور والمعصية.. وظلوا يعاندون ويعصون ويقتلون الأنبياء. ولم يبق لأحد من البشر لديهم قيمة، بعد أن قتلوا أنبياءهم وهم من دينهم وجنسهم وأهلهم. فغضب الله تعالى عليهم وعاقبهم. وقال في حقهم موبّخًا:

1. فلسطين التاريخ المصور ص62.

2. النساء 156-157.

3. فلسطين التاريخ المصور ص64.

4. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. فتح الباري بشرح صحيح البخاري في صحيحه ب.ط. 1416 هـ - 1996م، بيروت. حديث رقم 4428 ج8-475.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّيْنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾¹

وفي التلمود يصوّرون الأنبياء عليهم السلام بطرق بشعة جداً. فلم يسلم نبيّ من التجديف عليه، فهذا نبيّ الله آدم عليه السّلام، يعصي ربّه ويرفض التوبة: ويؤكد أنّ بعض الشياطين هي من نسله عليه السّلام لأنّه -حسب الرواية التلمودية- بعد ما لعنه الله أبى أن يجامع زوجته حواء حتى لا تلد له نسلًا تعيسًا، فحضر له اثنتان من نساء الشياطين فجامعهما فولدتا شياطينًا.

جاء في التلمود: أن آدم كان يأتي شيطانة اسمها ليليت مدة 120 سنة فولد منها شياطينًا² وأقرامًا³.

كما وصلت تجاوزات التلمود إلى حواء أيضًا، حيث تقول إحدى فقراته: "وكانت حواء لا تلد خلال 130 عامًا إلا شياطينًا بسبب نكاحها من ذكور الشياطين".

ويضيف في مكان آخر: "يولد الآن من بني آدم كل يوم جملة من الشياطين".
والتلمود يعلم أن الأرواح الشريرة والشياطين والجنيات من ذرية آدم. وهؤلاء يطيرون في كل اتجاه وهم يعرفون أحوال المستقبل باستراق السمع.⁴

ورد في التلمود في "سانهدرين" (56 ب)، كان آدم من عبدة الأوثان. وفي تك (22:19) يبدو آدم كافرًا بالله. كما تقول "ايروبين" (18 ب)، إنّ الإنسان الأول بعد سقوطه في الخطيئة أنجب شياطين وأرواحًا شريرة.⁵

في "عدد راباه" (5:13) أراد الله لآدم أن يتوب، لكنّ آدم لم يرغب بذلك: "لقد حاول أن يجعله يعود، وفتح له بابًا، لكنّ الإنسان لم يحاول"، ويفسّر: "تكوين راباه"

1. البقرة 61.

2. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 55. التلمود ص 117.

3. جذور البلاء ص 76.

4. التلمود تاريخه وتعاليمه ص 76.

5. هاينريش، شبابير، القصص الديني، ج1، ترجمة فياض، دار EXACT، جونية، ط1 1996م ص136.

(6:21) سفر التكوين (22:3) فيقول: "هذا يعلمنا، أنّ الله ترك له (آدم) باب التوبة مفتوحاً"، وتقول "تنحوما تزريعاً"، "شرع الله في حديث له ينصح آدم، ما إذا كان يرغب بالتوبة".

وتجعل آدم يتوب عبر قابيل: "عندما ترك (قابيل) الله، قابله آدم: فسأله: ماذا حلّ بحكمك؟ فقال له قابيل: لقد تبت فراح آدم يضرب وجهه ويقول: هذه هي قوّة التوبة، وأنا لم أعرفها". وعندها تقوّه بالمزمور 92. يقول ح. ليفي: "هذا المزمور ألفه آدم (22) وبحسب ح. مئيرن فإنّ آدم أجرى تمرين وتوبة شديدة (ايرويين 18 ب).¹ هذا يعلمنا، أنّ الله ترك له (آدم) باب التوبة مفتوحاً" ولكنه رفض ذلك.

ويزعم التلمود أنّ طول آدم كان يصل القبة الزرقاء. ولكن بعد خطيئته وضع الله يده على رأس آدم وكبسه حتى صار صغيراً.²

وبالنسبة لنبيّ الله نوح يؤكّدون أنّه أخطأ إذ أخذ بعضهم (الشياطين) في سفينته حين حصل الطوفان. وأمّهات الشياطين المشهورة أربع، استخدمهنّ سليمان الحكيم بما كان له عليهنّ من السلطة، وكان يجامعن.³

وهذا موسى عليه السّلام، مجرم قاتل عن سابق إصرار وترصد. فقد مرّ على رجل من بني إسرائيل يتقاتل مع أحد المصريين. فهرع موسى عليه السّلام لنجدة الإسرائيلي. يقول الكتاب المقدس: "فالتفت موسى عليه السّلام هنا وهناك، ورأى أنه لا يوجد أحد، فقتل المصري وطمره في الرّمّل".⁴

وحين دخل موسى وهارون عليهما السّلام على فرعون وعرضوا عليه الإسلام والإيمان بما أنزل الله عزّ وجلّ عليهما، كان موقف بني إسرائيل غاية في السوء، يقول كتابهم المقدس (عندهم):

1. القصص الديني ص 130 - 131
2. التلمود تاريخه وتعاليمه ص 83.
3. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 55.
4. سفر الخروج 12/2.

"وصادفوا موسى وهارون عليهما السّلام واقفين للقائهم حين خرجوا من لدن فرعون فقالوا لهما الربّ ينظر إليكما ويقضي. لأنكما أنتمتما رائحتنا في عيني فرعون، وفي عيون عبده حتى تعطيا سيفاً في أيديهم ليقتلونا".¹

أمّا المسيح عليه السّلام فأراد أن يخفف من غطرستهم واحتقارهم للفقراء والمساكين في مجتمع تحيله عنصرية يهود وغرورهم جحيماً لا يطاق.. وحاول أن يعلمهم الحب بانتزاع الكراهية المزمّنة من صدورهم ويعلمهم التسامح وكرم الأخلاق وكرم النفس.² وحارب المفاصد المتأصلة فيهم. ولم يصنع اليهود وهم غلاظ الأكباد والرقاب إلى تعاليم المسيح السامية وإرشاداته القويمة لأنها تتعارض مع أخلاقهم وعاداتهم الذميمة التي استعصت على جميع أنبيائهم السابقين. ثم كانت الطامة الكبرى بالنسبة لأحقادهم على المسيح حين زار أورشليم، ووجدهم يحيلون الهيكل إلى بورصة تجارة ووكر دعارة.³

"ولما دخل يسوع الهيكل ابتداءً يخرج الذين كانوا يبيعون ويشتررون في الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسي باعة الحمام. ولم يدع أحداً يجتاز الهيكل بمتاع. وكان يعلم قائلاً لهم أليس مكتوباً: بيتي بيت صلاة يدعى لجميع الأمم، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص. وسمع الكتبة ورؤساء الكهنة فطلبوا كيف يهلكونه لأنهم خافوه إذ بهت الجمع كله من تعاليمه".⁴

وأحسّ اليهود بعد هذا العمل الشجاع الذي أقدم عليه المسيح، يوم تحدّاهم في معقلهم الكبير، وأشعرهم بخستهم وكفرهم، بالخطر يتهدد أنظمتهم وطقوسهم العفنة، فشرعوا يتأمرون على قتله. واجتمع رؤساء الكهنة وشيوخ اليهود في دار رئيس الكهنة، ورتبوا الخطة وحبكوا المؤامرة.⁵ وكما ينس اليهود من المسيح وتعاليمه المعارضة

1. سفر الخروج 20:21-21.

2. جذور البلاء ص85.

3. المصدر السابق ص87.

4. إنجيل مرقس ص 15:11-18.

5. جذور البلاء ص88.

لأسس حياتهم، فقد يئس عليه السّلام من إمكان إصلاحهم والأخذ بأيديهم إلى سواء السبيل. وجاءت علانم يأسه منهم حكماً بليغة صادقة فاه بها وخاطبهم قائلاً:

"فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قنلة الأنبياء. فاملؤوا أنتم مكيال آبائكم. أيها الحيات أولاد الأفاعي كيف تهربون من دينونة جهنم. لذلك ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون، ومنهم تجلدون في مجامعكم، وتطردون من مدينة إلى مدينة. لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريّا بن برخيا الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح"...

"يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين، إليها كم مرّة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا. هوذا بيتكم يترك لكم خراباً".¹

وتمت خطة اليهود واتفقوا مع أحد الحواريين، على أن يدلهم عليه، وأبى يهوذا الأسخريوطي إلا أن يظل يهودياً جسعاً يقدّس الدرهم ويبيع شرفه وضميره بثلاثين من فضة ويسلم سيّده. وسأقت جموع اليهود المتوحّشة المسيح ليحاكم أمام بلاطس النبطي وجرت محاكمة عجيبة صوريّة ظالمة تتمّ عن أخلاقهم وقسوتهم وتعطشهم لسفك الدماء.²

ثم تمت عملية الصلب (شبيهه يهوذا الخائن) بطريقة همجيّة بشعة، مارس اليهود خلالها فنون التعذيب الجسماني والمعنوي وأظهروا الكامن من الشرّ في أعماق نفوسهم، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن سُبُّهُ لَهُمْ﴾³

وجاء في التلمود أنّه من ضمن أعياد الوثنيين أول الأسبوع المسمّى بيوم الناصريين، يعني يوم الأحد عند المسيحيين. ويسمى التلمود يسوع الناصري ابن

1. إنجيل متى ص 23: 31-38.

2. جذور البلاء 89.

3. النساء 157.

النجار، وجاء فيه أنّ المسيح كان ساحراً وثنياً، ويقول في مكان آخر أنّ المسيح كان مجنوناً، وفي مكان ثالث أنه كافر لا يعرف الله.¹
ومن الصفات والأسماء التي أطلقوها عليه:

ذلك الرجل، وقد جاء في التلمود "ماري أم ذلك الرجل"، أحمق أو مجنون، المجنوم أي المصاب بمرض الجذام، غشاش بني إسرائيل، ابن الخطيئة حيث يقول: إنه ابن الجندي يوسف بانديرا، وحبلت به مريم العذراء قبل زواجها، ويقولون: إنّ المعجزات التي قام بها السيد المسيح عليه السّلام كانت بقوة السحر، ويقول التلمود: إنّ المسيح رمي بالأحجار ثم صلب مساء عيد الفصح، وقالوا عنه أيضاً: إنّّه موجود في لجّات الجحيم بين الزفت والقطران. وينقل الدكتور القرصاوي عن هيوستن ستيوارت تشامبرلين، أسس القرن التاسع عشر المجلد الأول ص 337 ما يلي: "في أواخر القرن التاسع عشر، راح اليهود يصرون طبعات بالعبرية يوضحون فيها "الفقرات السرية" من التلمود، كي لا يثيروا حقدنا عليهم، فحذفت من الطبعات غير العبرية الألقاب والنعوت التي اصطالحوا على تسمية المسيح بها، مثل: المجنون، الساحر، النجس، الكلب، ابن الحرام، الوثني، ابن الشهوة.. إلخ، إلى جانب مسمياتهم لأمّه العذراء الطاهرة".² ويقول الأب بي برناس في كتابه فضح التلمود: "إنّ التلمود يعلم أنّ يسوع المسيح كان ابناً غير شرعي حملته أمّه خلال فترة الحيض، وكان تتقمّصه روح، وأنّه مجنون مشعوذ ومضلل، صلب ثم دفن في جهنم، فنصبه أتباعه منذ ذلك الحين وثناً لهم يعبدونه".

ويروي كتاب زوهار أنّ يسوع مات كبهيمة ودفن في كومة قذرة... حيث تطرح الكلاب والحمير النافقة.³ ولم يعترفوا به قط، وهم يعدّونه يهودياً وثنياً مرتدّاً. ويزعم الحاخامات أنّ إبراهيم عليه السّلام كان يعرف العرافة والسحر.⁴

1. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 99 والتلمود ص 162
2. القرصاوي، يوسف، القدس قضية كل مسلم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1419 هـ - 1998م ص149.
3. التلمود ص113.
4. التلمود تاريخه وتعاليمه ص 81.

وهذا نبي الله نوح يسكر ويتعزّى ويبصر أولاده عورته: وشرب نوح من الخمر فسكر وتعزى داخل خبائه فأبصر حام عورة أبيه.¹

وسليمان تعبت به نساؤه ويملن قلبه وراء آلهتهن:

وكانت لسليمان سبعمائة من النساء والسيدات وثلاثمائة من السراري. فأمالت نساؤه قلبه وراء آلهة أخرى....

وهارون عليه السّلام النبي يصنع العجل الذهبي ويشجع على عبادة الأصنام (كما مرّ معنا ص123).

ونبيّ الله أيّوب عليه السّلام نموذج الصبر والتحمّل، يلجّ في الكلام حتى يصل إلى درجة السبّ والكفر والإكثار من ذلك: قال أيّوب: دفعني الله الظالم.²

وفي مكان آخر: إنّ الله قد عوجني ولفّ عليّ أحبولته. ها إنّني أصرخ ظلماً فلا يستجاب لي..³ هو ذا الله: لا يأتني عبده. والى ملائكته ينسب حماقة. سكان بيوته

يموتون بلا حكمة..⁴ ويلقي هوائاً على الشرفاء، ويرخي منطقة الأشداء... يكثر الأمم ثم يببدها..⁵ والله لا ينتبه إلى الظلم..⁶ إليك أصرخ فما تستجيب لي يوماً، أقوم فما

تنتبه الي، تحوّلت إلى جاف من نحوي..⁷ ليته هلك اليوم الذي ولدت فيه ليلعنه لاعنو لاعنو اليوم. لماذا لم أمت من الرحم عندما خرجت من البطن.⁸

الأرض المسلّمة ليد الشرير... أخاف من كل أوجاعي عالماً أنك لا تبريني... لأته (أي الله) ليس هو إنساناً مثلي فأجاوبه فنأتي معا إلى المحاكمة... ليرفع عني عصاه

ولا يبيغنتي رعبه، إذن: أتكلم ولا أخاف.⁹

1. سفر تكوين 9:20.

2. سفر ايوب 1:16 .

3. المصدر السابق 6:19.

4. المصدر السابق 18:4.

5. المصدر السابق 6:12.

6. المصدر السابق 1:24.

7. المصدر السابق 16:29.

8. المصدر السابق 1:3.

9. المصدر السابق 24:9.

والقتل والإجرام صفات متأصلة في أنبيائهم فهذا نبي الله داود عليه السلام يقدم مهراً غريباً لزوجته:

وطلب داود أن يكون زوجاً لابنة شاول الملك، واشترط عليه هذا الأخير أن يكون المهر 100 غلفة من الفلسطينيين للانتقام من أعداء الملك. فحسن الكلام في عيني داود، فذهب هو ورجاله وقتل من الفلسطينيين مئة رجل، وأتى داود بغلفهم وقدمها لشاول فأعطاها شاول ميكال ابنته.¹

وفي الفصول والمباحث التالية سترى العجب العجاب من أنبيائهم وهم يمارسون أنواع المنكرات والفساد والردائل والموبقات.

إن هذه الصفات المنكرة التي ألحقها كتبة أسفار العهد القديم بأنبياء بني إسرائيل إنما هي تعبير عن الصفات المذمومة التي اتسم بها السواد الأعظم من بني إسرائيل بعدما ضلوا عن سواء السبيل ونقضوا عهد الله.²

التطاول على الملائكة

جاء في أسباب النزول روايات منها، أن عبد الله بن سوريا من علمائهم سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الملك الذي ينزل عليه بالوحي، فقال: هو جبريل، فزعم أنه عدو اليهود، وذكر من عداوته أنه أُنذِرهم خراب بيت المقدس، فكان. ومنها أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل مدارسهم فذكر جبريل، فقالوا: ذاك عدونا، يطلع محمداً على أسرارنا، وأنه صاحب كل خسف وعذاب، وميكائيل صاحب الخصب والسلم. قال تعالى:

﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾﴾¹

1. سفر صموئيل الاول 25:18.

2. النشاط السري اليهودي ص 30

أما في كتبهم فشيء آخر:

فالملائكة قسمان: من لا يطراً عليه الموت، وهو الذي خلق في اليوم الثاني. ومن

يطراً عليه الموت وهم قسمان أيضاً:

■ من يموت بعد مكثه زمناً طويلاً قدّر له فيه الحياة بأجله وهو الذي خلق

في اليوم الخامس.

■ ومن يموت في يوم خلقه بعد أن يرثل لله، ويقرأ التلمود، ويسبح

التسابيح، وهو الذي خلق من النار، وقد أهلك الله منهم جيشاً جرّاراً بواسطة

إحراقه بطرف إصبعه الخنصر.²

غير أنّ الملائكة لا تفهم اللغة السريانية ولا الكلدانية. وتجهل الملائكة هاتين

اللغتين لسبب مهم، وهو أنّه يوجد لدى اليهود صلاة عديمة المثال يصلونها باللغة

الكلدانية. وجاء في التلمود أنّ الملائكة يجهلون هذه اللغة حتى لا يحسدوا اليهود على

صلاتهم.

وعلى حسب رواية أخرى تفهم الملائكة جميع اللغات غير أنّها تكره هاتين اللغتين

كراهية كلية، ولا تسمع من يطلب منها شيئاً بهما.³

وتصور الأرواح (الملائكة) التي تسترق السمع لا نجده إلا عند اليهود. ففي

الحاغيغاه (16 آ) نجد أنّ "الشديم يسترقون السمع خلف الستارة".

في براخوت (18 ب) نجد أنّ أحد الأتقياء ينصت إلى روحين تتحدثان، فتقول

واحدة للأخرى: "تعال يا رفيقي، فنحن نرغب أن نخجل في العالم ونسترق السمع من

خلف الستارة، لنعرف أي عقاب سيحل بالعالم" وبحسب حاغيغاه (14 ب) ينشغل ح.

يهوشوا وح. يوسي بالتعاليم المتعلقة "بمركبة حزقيال" [صنع المركبة] حيث يحتشد

الملائكة لاستراق السمع.

1. البقرة 97-98.

2. التلمود ص 89.

3. المصدر السابق ص 90.

وتقول بيراخوت (6 آ) إن الشديم تحتشد في بيت التعليم،
وفي حاغيغاه (15 آ) يتلقى الملاك مطرون 60 سوطاً نارياً كعقاب.
وأخبرت نداريم (39 ب)، أنّ الشمس والملائكة الذين سقطوا من مواضعهم العالية
وأماكن قدسيتهم في السماء، حين نزلوا وراحوا يسترقون السمع من خلف الستارة،
طردوا بقضبان نارية فعادوا إلى أماكنهم.¹

الشياطين في التلمود:

وبعض الشياطين من نسل آدم لأنه بعدما لعنه الله أبى أن يجمع زوجته حواء
حتى لا تلد له نسلاً تعيساً، فحضر له اثنتان من نساء الشياطين فجامعهما فولدتا
شياطين.

والشياطين على حسب التلمود يتناسلون ويأكلون ويشربون ويموتون مثله.
وأمهات الشياطين المشهورات أربع استخدمهن سليمان الحكيم بما كان له عليهن
من السلطة وكان يجامعهن.²

وبحسب التلمود يولد الآن من بني آدم كل يوم جملة من الشياطين، ولكن لا نقص
عليك تفصيل ذلك محافظة على الآداب.³

وكانت حواء لا تلد في هذه المدة إلا شياطين بسبب نكاحها من ذكور الشياطين.
وقد تسبب نوح في حياة بعضهم (الشياطين) لأنه أخذهم معه في السفينة.

1. القصص الديني ص 45

2. التلمود ص 91

3. المصدر السابق ص 92

الأخلاق والقيم والمثل

وفيه ستة مباحث:

1. العنصريّة والتعالّي على الغير.
2. استمراء الذلّ والعبوديّة.
3. فساد الفطرة والسعي بالفساد في الأرض.
4. الاختلاف والنزاع فيما بينهم.
5. الفسق والفجور.
6. الجبن والخوف والرعب الدائم وحبّ الدنيا وحرصهم على أيّة حياة.

1. العنصريّة والتعالّي على الغير:

اتخذ اليهود من الدين جنسية وأحاطوه بسور عسبي وزعموا أنهم وحدهم ذرية إبراهيم. فهم يدعون أنهم خلاصة السلالة من آدم إلى شيت إلى نوح إلى سام إلى إبراهيم إلى إسحق إلى يعقوب إلى الأسباط كلهم وأخيار وباقي البشر خلقوا لخدمتهم. فصار التعالّي والغرور والاستعلاء والعنصريّة من الصفات الذميمة التي اتصفوا بها على طول تاريخهم، فهم ينظرون إلى أنفسهم، أنهم قمة البشرية وذروة سنامها،

وينظرون إلى الأمم غير اليهودية نظرة ملؤها الاحتقار والازدراء والدونية، وقد كَوّن لهم هذا التصور التوراة المحرفة، وصنع لهم هذا الاعتقاد تلمودهم المزيف. ولكي تبقى العنصرية سياجًا حولهم اهتمّوا بالانتساب إلى أسلاف كبار في مقدمتهم نبيّ الله يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام، الذي سُمي إسرائيل لأنه اجتاز اختبارًا في المصارعة أمام الله أثبت فيه قوّته لدرجة أنه غلب الله نفسه (تعالى عن ذلك).¹

وبذلك فهم يتصوّرون أنهم قادرون على أن يصرعوا باقي الأمم والشعوب. ومن نافذة هذا المرض تخيلوا أنفسهم شعبًا مختارًا، ومن هذه النافذة شاهدوا جميع العالم ليسوا شعوبًا بل حيوانات سائمة تتكلم لتقوم بخدمة أبناء الله المختارين، هذا المرض دفعهم لاحتقار جميع الناس واستباحة أموالهم وكراماتهم وازدراء المثل الإنسانية العليا... وساعدهم على عدم احترام العهود والمواثيق... وعلى أسس هذا المرض أقاموا علاقاتهم بالأمم، وبهذا الجرثوم دكّوا مجدها وأبادوا جمعها وسلبوا مالها.... ذلك لأنّ الناس "جميع الناس" بنظرهم ليسوا شعوبًا، وأديان العالم ليست أديانًا، إذ لا دين جديرٌ بالحياة والاستمرار إلا ما يحتفظ به التلمود.²

وقفل اليهود ديانتهم عليهم، وأنفتحهم من إشراك غيرهم في الانتساب إليها نوع من الأنانية والإحساس بالتعالي والامتياز، يقصدون بذلك رفع قدرهم عن باقي البشر وجعل من سواهم همجًا أو شبه أنعام.³

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّوهُ﴾ أي (نحن الأعزّ عليه كالابن على الأب) فردّ عليهم ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ﴾ أي إن صحّ أنكم أبناء الله وأحباؤه فلم تعاقبون بذنوبكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ﴿بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ

1. ظاظا، حسن، أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1407هـ - 1987م. ص 103
2. دفانن النفسية اليهودية من خلال الكتب المقدسة التوراة والإنجيل والقرآن والتاريخ والواقع ص 34
3. اليهودية ص199

﴿حَاقٌ﴾ أي أنتم خلق من خلقه لا بنوه. فلکم أسوة بأمثالکم من بني آدم¹، ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾²

وكانت التعاليم الدينية اليهودية دوماً وراء عزلتهم، لأنها تحض على الاستعلاء والتوجس من الأغيار، وعدم الاختلاط بالشعوب وضرورة التقيد بالقوانين والأنظمة الدينية الصارمة. وقد لعب الحاخامون والأثرياء اليهود دوراً هاماً في تكريسها، كالمعبد والمقابر الخاصة والطقوس والذبائح والأزياء الخاصة. وغرس فيهم أنه لا يستطيع غير اليهودي أن يفهم التوراة فهماً صحيحاً ما لم يدرك تماماً معنى ومدى شمولية الكلمة العبرية (غوي) وجمعها (غويم) التي تعني بالنسبة لليهودي تارة العدو العالمي المكروه، وطوراً السعادين الحليقه المحترمة، والحببيات البشرية أو قطيع الغويم الغبي، أو الإرث الذي وعدهم به يهوه.³

واستطاع اليهود أن يحافظوا على دينهم وعرقهم فلم يندمجوا في المجتمعات التي عاشوا فيها في كل البلدان، وانعزلوا في حارات، وحافظوا على دياناتهم وتقاليدهم وسلوكهم المبني على مبدأ واحد هو استغلال الشعوب بأية وسيلة أخرى، فهم وحدهم شعب الله المختار وجميع الشعوب إنما خلقت لتخدم ذلك الشعب.⁴

وهم يعتقدون أيضاً أنّ الله ميّزهم عن شعوب الأرض في كلّ شيء في أجسادهم وأرواحهم ومصيرهم في اليوم الآخر، فهم أبناء الله وأحبّاءه.⁵

وهذا الاعتقاد جعلهم يستهينون بكلّ القيم ولا يباليون بشيء ممّا يقولون أو يفعلون طالما أنهم الشعب المختار الذي يرسم حياة البشرية ويحدّد مصير الشعوب التي خلقت لخدمتهم.

1. حوى، سعيد. الأساس في التفسير، دار السلام، ط5 القاهرة، ج3 ص1351.

2. المائدة 18.

3. التوراة تاريخها وغاياتها ص 24.

4. المصدر السابق ص 6.

5. آغا، ماهر أحمد، اليهودية فتنة التاريخ، دار الفكر، دمشق، ط1، 1423 هـ - 2002 م. ص138

وجاء على لسان أحد أقطاب اليهودية العالمية وهو زيف غرينبرغ: إنَّ علوَّ اليهود على ما عداهم من الأمم يكمن في رسالتهم، وهي المراقبة التاريخية على العالم، ذلك أنَّ الشعب اليهودي الذي اختاره خالق الكون، شعب له رسالة خاصّة، إليه يرجع تعيين الخبيث من الطيب، وإليه يرجع حقّ تعيين السبيل الذي يجب أن تتبعه الإنسانية. وهذا القانون الأزلي الذي جاءت به التوراة. وليست هذه فلسفة أو فكرة دينية بل إنها حقيقة أزليّة.¹

وهذه الآفة في بنية الفكر الديني اليهودي أنشأتها أسفار التوراة وغذتها ونمتها تعاليم التلمود. فاليهودية ديانة شعب، والتوراة كتاب شعب، بل الله سبحانه (كما رأينا) ربّ شعب، هذا الشعب هو شعب إسرائيل.²

وتتدرج التوراة في غرس حبّ الانعزال والتعصب من أيام إبراهيم عليه السّلام إلى آخر سطر فيها:

"وقال إبراهيم لعبده كبير بيته المستولي على كلّ ما كان له، ضع يدك تحت فخذِي، فأستحلفك بالربّ إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم". وكذلك فعل إسحق بابنه يعقوب فدعا إسحق يعقوب وقال له لا تأخذ زوجة من بنات كنعان.³

وكان موقف العداوة الذي وقفه اليهود من جميع أمم العالم مع ضعفهم وقلة عددهم، سبباً في شعورهم الدائم بالخوف. كانوا يخافون من العزلة التي فرضوها على أنفسهم، كما كانوا يخافون من الاندماج ويرون فيه تهديداً بضياح كل تراثهم. وهي عقدة مرضية في شخصية بني إسرائيل أساسها الشعور بالبناء الهشّ المتهافت الذي لا يستطيع الثبات أمام الحضارات الشامخة التي تبنيها الأمم الأخرى.⁴

1. شبير، محمد عثمان، مخاطر الوجود اليهودي على الأمة الإسلامية، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط1، 1410هـ - 1990م. ص 11.
2. القدس قضية كل مسلم ص 117.
3. جذور البلاء ص2.
4. الشخصية الإسرائيلية، ص 50.

فعدنما وصلوا إلى مصر من فلسطين في زمن نبيّ الله يعقوب عليه السّلام عاشوا عيشة كريمة لا ينغصها عليهم شيء، بسبب ابنه يوسف عليه السّلام الذي أنجاهم - بفضل الله عزّ وجلّ - ثم بسياسته الحكيمة من المجاعة التي كادت البلاد تتعرّض لها. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى لأنهم أصحاب رسالة إلهية... وقد حفظ لهم المصريون كل ذلك وحافظوا على حرمة أجدادهم.

ولكن بعد وفاة يعقوب ويوسف عليهما السّلام تغيرت الأحوال وفسدت أخلاقهم... ونظروا للمصريين نظرة احتقار لا بل صاروا يتفنونون في سلب أموالهم... واعتزلوهم ولم يندمجوا معهم رغم تكريم المصريين لهم، فجلب ذلك عليهم الاضطهاد... فهم شعب مصاب بعقدة الشعور بالعظمة والاعتقاد بأنهم شعب الله المختار الذي اصطفاه من بين سائر الشعوب.¹

ويستيقظ المصريون وقد أصبحت الثروة والسلطة في أيدي هؤلاء الغرباء، فيضيق الفراعنة عليهم الخناق.² فجعل الفرعون بني إسرائيل خدماً، وصنّفهم في أعماله، فصنف بينون وصنف يحرثون ويزرعون وصنف يتخدّمون...

ولكن هذا كله لم يكن كافياً لردع بني إسرائيل وإرجاعهم إلى جادة الصواب، لا بل على العكس من ذلك فإنّ عقدة الانفصال عن البشر والامتياز عن أمم العالم، اتخذت طريقها إلى النفسيّة الإسرائيليّة وأصبحت عاملاً أساسياً في تكوين شخصيّة هذه الطائفة من الناس.³

هذا الشعور الذي دخل إلى نفسيّتهم جعل الفرعون والمصريون يشدّدون عليهم أكثر فأكثر، فصاروا يستغلونهم في الأعمال الدنيئة. وعملوا على إذلالهم أكثر فأكثر، فكانوا يسخّرون في ضرب اللين. ومما حملوا من التكاليف الفرعونية أنهم لا يساعدون على شيء مما يحتاجون إليه فيه، بل كانوا هم الذين يجمعون ترابه وتبته وماءه، ويطلب

1. أمجاد إسرائيل، ص 153.

2. اليهود تاريخ وعقيدة، ص 172.

3. الشخصية الإسرائيليّة، ص 35.

منهم كل يوم قسط معين إن لم يفعلوه ضربوا وأهينوا غاية الإهانة، وأوذوا غاية الأذية.¹

وأكثر من هذا صار فرعون ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ﴾² حتى لا يتناسلوا وينكثوا، ولم يتوقف عنهم الذبح إلا عندما شكا القبط إلى فرعون قلة بني إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور. وخشوا أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار فيصيرون هم الذين يلون ما كان بنو إسرائيل يعالجون من أعمال.³ وهذا القتل كان على وجه الإهانة والتذليل والتقليل.

وبعث الله عز وجل موسى عليه السلام في هذا الجو لينقذهم مما كانوا يعانونه، ولا شك أنه دعاهم للخروج من الظلمات إلى النور، إلى عبادة الله الواحد الأحد الفرد الصمد، ودعاهم إلى كل ما هو صالح وطيب وترك الخبائث، فقام عليه السلام برسالته المزدوجة: تحرير بني إسرائيل من جهة ومواجهة الطاغية من جهة أخرى.

ولكن يهود الذين لم يسجلوا ما عندهم من المآثر عن موسى عليه السلام إلا بعد ألف سنة، عندما طحنهم السبي البابلي وأذلهم باختنصر وخرّب مساكنهم وشردهم منها، تفتقت عبقرية التآمر لديهم عن فكريتي الشريعة والوعد، وغابتها المحافظة على أنفسهم كعرق متمرد متأمر منطو على نفسه منظم تنظيمًا شبه عسكري وغير قابل للاندماج مع غيرهم.⁴

فجعلوا من موسى عليه السلام ستارًا يدسون وراءه من عقائد الحقد والقماءة ما لم يقل به ولم يدع إليه، وفي مقدمة ذلك ادعائهم أنه لم يرسل لا إلى فرعون ولا إلى المصريين ولا إلى غيرهم من الأمم، وإنما جاء برسالة خاصة إلى بني إسرائيل

1. البداية والنهاية: 263\1.

2. القصص 4.

3. البداية والنهاية: 239\1.

4. الأساس في التفسير ج 3 ص 16.

وحدهم، وكان ذلك مع مرارة الهزيمة والسبي منطلقاً لفلسفة منحرفة أساسها العنصريّة الخرافيّة الكارهة لكافة شعوب الأرض..¹

يقول كتابهم المقدس: فعندما طلب موسى وهارون عليهما السّلام من فرعون أن يطلق بني إسرائيل "فقال فرعون من هو الربّ أسمع لقوله فأطلق إسرائيل، لا أعرف الربّ وإسرائيل لا أطلقه، فقالا إله العبرانيين قد التقانا فنذهب سفر ثلاثة أيام في البريّة ونذبح للرب إلهنا لئلا يصيبنا بالوباء أو بالسيف".²

وفي مكان آخر: فدخل موسى وهارون عليهما السّلام إلى فرعون وقال له هكذا يقول الربّ إله العبرانيين إلى متى تأبى أن تخضع لي، أطلق شعبي ليعبدوني.³ وأيضا: فالآن إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي تكونون لي خاصّة من بين جميع الشعوب فإنّ لي كلّ الأرض وأنتم تكونون لي مملكة كهنة وأمة مقدسة.⁴

ومما ورد عندهم: "ارفعي عينيك حواليك وانظري (يا أورشليم). قد اجتمعوا كلهم. جاءوا إليك. يأتي بنوك من بعيد. وتحمل بناتك على الأيدي. حينئذ تنظرين وتنيرين ويخفق قلبك ويتسع لأنه تتحول إليك ثروة البحر ويأتي إليك غنى الأمم.... وترضعين لبن الأمم وترضعين ثدي ملوك... عوضاً عن النحاس آتي بالذهب وعوضاً عن الحديد آتي بالفضة وعوضاً عن الخشب بالنحاس وعوضاً عن الحجارة بالحديد".⁵ "ومدّ الرّب يده ولمس فمي وقال الرب لي ها قد جعلت كلامي في فمك. أنظر قد وكلتك هذا اليوم على الشعوب وعلى الممالك لتقلع وتهدم وتهلك وتنقص وتبني وتغرس".⁶

ويتأكد الغرور الإسرائيلي بهذه العنصريّة في قوله:

1. أبحاث في الفكر اليهودي . 102
2. سفر الخروج ص 2:5 و 3
3. سفر الخروج ص 3:10
4. سفر الخروج ص 5:19 و 6
5. سفر إشعيا ص 17:46
6. سفر أرميا 9:1 و 10

"لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خالصاً فوق جميع الشعوب التي على وجه الأرض".¹

وتتابع أوامر يهوه إلى نبيه موسى عليه السّلام "احفظ ما أنا موصيك اليوم. ها أنا طارد من قدامك الأموريين والكنعانيين والحثيين والفرزيين والهوريين واليبوسيين. احترز من أن تقطع عهداً مع سكان الأرض التي أنت آت إليها لئلا يصيروا فخاً في وسطك. فيزنون وراء آلهتهم ويذبحون لآلهتهم فتدعى وتأكل من ذبيحتهم وتأخذ من بناتهم لبنيك. فتزني بناتهم وراء آلهتهن ويجعلون بنيك يزنون وراء آلهتهن".² ثم يمضي يهوه في حقن عقول شعبه بسموم العنصريّة والغرور والتعالي والابتعاد عن البشر. "وإن سمعت سمعاً لصوت الربّ إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياها التي أنا أوصيك بها اليوم يجعلك الربّ إلهك مستعليّاً على جميع قبائل الأرض".³

"ولكن إذا رجعتم ولصقتم ببقية الشعوب أولئك الباقيين معكم وصاهرتموهم ودخلتم إليهم وهم إليكم. فاعلموا يقيناً أنّ الربّ إلهكم لا يعود يطرد أولئك الشعوب من أمامكم فيكونوا لكم فخاً وشركاً وسوطاً في جوانبكم، وشوكاً في أعينكم، حتى تبيدوا عن تلك الأرض الصالحة التي أعطاكم إياها الربّ إلهكم".⁴

وكان من الحيويّ في تلك الأيام أن تُصان عقيدة (يهوه) من ضغط العقائد الغريبة نظراً لقلّة عدد اليهود النسبية. وقد كان ذلك عملاً شاقاً، لكنّ زعماء قبائل اليهود، اعتقدوا... أنّه باستطاعتهم تصحيح ذلك الوضع باتخاذ سلسلة إجراءات استثنائية تقضي بالتفريق الكامل بين اليهود وغيرهم والمنع المطلق لكلّ تأثر بالدّم والثقافة غير اليهوديين.

وهكذا نشأ مبدأ منع التزاوج والمشاركة بالأكل بين اليهود وغير اليهود... وقد أمكن ضمان عدم اختلاطهم الثقافي والعرقى مع غيرهم بواسطة التعاليم الدقيقة عن سلوكهم

1. سفر التثنية 1:14.

2. سفر الخروج، ص 11:34-16.

3. سفر التثنية، ص 1:28.

4. سفر يشوع ص 12:23 و13.

كأفراد، وكان ذلك صحيحًا حتى بالنسبة للذين كانوا يرزحون تحت وطأة أقسى الشروط الحياتيّة.

وقد أثبت التاريخ أنّ كتبهم قد أتمّت غاياتها على أكمل وأوسع وجه.¹ ولقاء ذلك الثمن الباهظ الرهيب (العزلة) أعطوهم الوعد بتملك العالم،² وأدّت العادات والتقاليد الاجتماعيّة الدقيقة التي ابتدعها وأصلها زعمائهم أثناء السبي إلى بابل إلى خلق روح عنصريّة خاصة، قلما تشاهد مثيلاً لها لدى الشعوب الأخرى، على الرغم من المحاولات العديدة التي قامت بها جماعات غير يهوديّة بتأكيد وتثبيت عرق خاص بها... وعدد اليهود المحدود والتصاقهم الفعلي والروحي بعضهم ببعض وكذلك سيطرة زعمائهم الدينيّين والسياسيّين المطلقة عليهم، جعلت هذه الروح العنصريّة تتحقق حيث فشلت مع الآخرين، وذلك بتأصيل هذه العادات الخاصة لدى اليهود بحيث توارثت جيلاً بعد جيل.³

ولئن أطلق العهد القديم على الأمم كلمة جوييم أي حيوانات فقد أضاف التلموديون لهذا الاطلاق اجتهاداً جديداً هو كلمة شيء، أي ليست حيوانات بل جمادات. لأنّ الأمم التي ليست يهوداً فلم تبلغ بعد درجة الحيوان بل ويستحيل أن تبلغ إذ هي أشياء أي جمادات كحجارة تحطمها الذرية المختارة وحطب تحرقه وقمح تطحنه وحديد تصهره.⁴

والذي يلخص إصابة اليهود بهذا المرض تزداده أكثر من مرة في التلمود من مثل قولهم: كما أنّ العالم لا يمكن أن يعيش بلا هواء فإنه لا يمكن أن يعيش بدون إسرائيل.⁵

يتنجس اليهودي إذا لمس القبور، طبقاً للتوراة، ولكن الغرض من ذلك قبور اليهود. أمّا من عداهم من الأمم فليست قبورهم نجسة لأنهم معدودون من البهائم لا

1. التوراة تاريخها وغاياتها ص 18

2. المصدر السابق ص 52

3. المصدر السابق ص 92

4. دفائن النفسية اليهودية من خلال الكتب المقدسة التوراة والإنجيل والقرآن والتاريخ والواقع ص 40.

5. أبحاث في الفكر اليهودي ص 102

من أبناء آدم... ويجب على اليهودي الذي يمرّ على قبور اليهود أن يقول تبارك الله الذي خلقنا بالشرع، وأحياناً ويميتنا بالشرع، وسيبقينا بواسطة الشرع، تبارك من يحصي عدداً ويحيي الأموات بقدرته. وعلى من يمر بقبور الأجانب أن يقول تبارك لوالدكم وسحقاً لمن حملت بكم لأنّ آخرة هؤلاء الأمم عقيمة كالصحراء.¹

ويمثلون أنفسهم بعناقيد العنب وسائر الأمم بالشوك المحيط بأعالي حيطان الكرم.² وتسبب عن هذا أحداث بالغة الخطورة، فقد نظروا إلى سواهم نظرة عداً وحذر، ولذلك لم يدينوا بولاء إلى الوطن الذي يجمعهم بالآخرين وإنما اتجهوا بولائهم إلى جماعاتهم. فأصبحت هذه الجماعة هي وطنهم وهي دينهم وهي موضع تقديسهم، وليس لهم بسواها صلة أو ارتباط وقد نتج عن ذلك ما ذكره (Charles kent) بقوله: خلال أكثر فترات التاريخ كان العبرانيون محاطين بدائرة من الأمم المعادية.³ وشردوا واضطهدوا في كل مكان حلّوا فيه، وحوصروا في أحياء وحارات خاصة بهم. وكان حي اليهود دائماً قذراً مظلماً غير صحي يعرف باسم غيتو نسبة إلى اليهود في روما.

وجاء التلمود ليغرسها غرساً في عقائدهم وعباداتهم ومعاملاتهم ومما ورد فيه: (عابوره زاده ص8): حرم على اليهود في التلمود أن يسكنوا خلاف البلاد المقدسة (وهي أورشليم والخليل وصفد وطبريا) لأنهم يعدّون كعابدي الأصنام، ومحرمّ عليهم قبول دعوة باقي الأمم والأكل من مأكولاتهم ولو كان صانعها يهودياً. فإذا دعى أجنبي يهودياً في فرح وأكل هذا الأخير من مأكولاته فكأنه يأكل من الميتة. ويأثم اليهودي أيضاً إذا ذهب عند الأجنبي في فرح ولو قبل الاحتفال بثلاثين يوماً، سواء حصل ذلك في فرح زوجية أو في دعوة أخرى.

إنّ الصلاة ممنوعة أمام الأجانب ولو أنهم معدودون من الحيوانات. حيث إنّ اليهود يعدّون أنفسهم مساوين للعزة الإلهية فنكون الدنيا بما فيها تعلّقهم (أي خاصّتهم)

1. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 154 و 155.

2. بذل المجهود في إفحام اليهود ص 101

3. اليهودية ص 59.

ولهم عليها حقّ التسلط. ولذلك جاء في التلمود صراحة: إذا نطح ثور يهودي ثور أمّي فلا يلتزم اليهودي بشيء من الأضرار، ولكن إذا كان الأمر بالعكس يلتزم الأمّي بجميع قيمة الضرر الذي حصل لليهودي.¹

ومما ورد في المشناه الأولى: يجب أن لا توضع الماشية في خانات الوثنيين لأنه يشكّ بأنهم قد يضاجعونها، وللسبب ذاته يجب أن لا تبقى معهم أنثى بمفردها، لأنه يشكّ بأنهم قد يتناولون عليها بالفعل القبيح، ولا يجلس معهم ذكر بمفرده، لأنه يشكّ بأنهم قد يسفكون دمه.²

لا يجوز ربط بهائم بني إسرائيل في خان خشية أن يفتعل بها لأن الأمم الخارجين عن اليهود فسّاق يحبون الفسق بالحيوانات أكثر من نساءهم، وممنوع جلوس المرأة اليهودية مع الأجانب، ممنوع ذلك لليهودي أيضا مخافة أن يقتل. وإذا لمس الأمّي إناء اليهودي الذي فيه النبيذ فعلى الإسرائيلي أن يريق النبيذ على الأرض ويغسل الإناء جيدا... وإنه جائز بيع النبيذ في هذه الحالة لأمّي عوضاً عن إراقته.³

أما المشروبات فهي غير مباحة إذا لمسها الأجنبي وعلى اليهودي أن يسكبها على الأرض ويغسل الإناء. وهكذا الأمر بخصوص العنب أمّا سبب ذلك فهو منع العلاقات الودية بين اليهود وباقي الأمم.⁴

ويزعم التلمود أنّ سبب نجاسة الأجانب أنهم لم يقوموا على جبل سيناء بعد أن نجس إبليس حواء. أمّا الإسرائيليون فقد تطهروا وحدهم بوقوفهم على الجبل.⁵

ولحم الأميين لحم حمير، فهو نجس، ونطفتهم نطفة حيوانات غير ناطقة. أمّا اليهود فقد تطهروا في طورسيناء، والأجانب تلازمهم النجاسة ويجب إهلاكهم.⁶

1. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 72 التلمود ص 184.

2. عبدة الأوثان ص 75.

3. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 153.

4. المصدر السابق ص 162.

5. التلمود تاريخه وتعاليمه ص 84.

6. جذور البلاء ص 81.

ويحرّم على اليهود تزوج نساء باقي الأمم، لأنهنّ يعتبرن كأنهنّ دائماً في حالة الحيض منذ نعومة أظفارهنّ... وجاء في التلمود أنّ التحريم الذي جاء في التوراة لا يشمل الحيض الحقيقي لأنّ هؤلاء النساء لا يعدّون من البشر بل من البهائم فهي لا تحيض.¹

وهكذا كلم الأكثر قدسية شعبه الإسرائيلي: اعتبرتموني حاكم العالم والأوحد، لذلك اعتبركم حكماء العالم الوحيدين. وأينما حلّ اليهود عليهم أن يفرضوا أنفسهم أسياداً على من يعتبرون أنفسهم أسياداً.

اليهود بشر، لهم إنسانيتهم، أمّا الشعوب والأمم الأخرى، فهي عبارة عن حيوانات. رغم التشابه الظاهري بين الشعب اليهودي وغيره من الشعوب، فإنّ هذه الأخيرة ليست في الحقيقة سوى مجموعة من القروء بالنسبة للبشر (اي اليهود).² وضرر المتحولين إلى اليهودية كضرر القرحة في جسم سليم.³ وقال التلمود فيهم: إنّ المتهودين كالقذى في عين جماعة إسرائيل.⁴

وخلق اليهود لخدمهم الأغيار، الذين عليهم أن يزرعوا ويفلحوا ويبذروا ويحفروا ويحلبوا ويحزموا وينخلوا. أمّا اليهود فقد خلقوا ليكون كلّ هذا جاهراً ومهيئاً تحت تصرفهم.⁵

ويعتقد اليهود بما سطره لهم حاخاماتهم من أنّ اليهود جزء من الله، كما أنّ الابن جزء من أبيه.. ولذلك ذكر في التلمود: أنّه إذا ضرب أمّي إسرائيلياً فالأمّي يستحق الموت.... وأنّه لو لم يخلق اليهود لانعدمت البركة من الأرض، ولما خلقت الأمطار والشمس ولما أمكن باقي المخلوقات أن تعيش. والفرق بين درجة الإنسان والحيوان في العرف التلمودي هو بقدر الفرق الموجود بين اليهود وباقي الشعوب، لا يستثنى منها أحد سواء كان مسيحياً أو مسلماً أو وثنيّاً. فقد جاء في تلمود أورشليم أنّ النطفة

1. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص153

2. الفاتح، زهدي، اليهود، ط2، 1407هـ - 1987م. ص168.

3. اليهود ص.171

4. موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية 137/7

5. اليهود ص 172

المخلوق منها باقي الشعوب الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حسان" ويقول الرب كروفير في التلمود: "لا فرق بن الأجنبي والخارج عن دين اليهود، والغريب هو الذي لا يختن ولا فرق بينه وبين الوثني".¹

وقد ذكر التلمود: أنّ الكلب أفضل من الأجنبي لأنه مصرّح لليهودي أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجنبي، وغير مصرّح له أيضًا أن يعطيهم لحمًا... بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم. والأمم الخارجة عن دين اليهود ليست فقط كلابًا بل حميرًا أيضًا. وقال الحاخام آباريائيل: "الشعب المختار فقط يستحق الحياة الأبدية. وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير".²

ويرفض اليهود التآخي مع غيرهم من الأمم، وشجّعهم كهنتهم على هذه العزلة فمن الأقوال المأثورة عندهم أنهم امتازوا دون سواهم بثلاث هبات ربانية هي التوراة وفلسطين ثم الجنة في الآخرة. ورووا هذا الكلام عن أكثر من واحد من علمائهم القدماء في التلمود والمدراش (مثلا شمعون بن يوحاي - التلمود، البركات 5/أ) وزعم اليهود أنهم أبناء الله وأحبّاءه. يقول الرب عقيبا في المشناه (وصايا الآباء 18/3) بنو إسرائيل أحبّاء الله لأنهم يدعون أبناءه بل هناك برهان أعظم على هذا الحبّ وهو أنّ الله نفسه قد سمّاهم بهذا الاسم في قوله في التوراة: أنتم أولاد الربّ إلهكم وهو يشير بذلك إلى التوراة (سفر التثنية 14:1).³

فالاعتقادات الإسرائيلية تتطلب استبعاد الأمم من حظيرة الإيمان حتى يظلّ بنو إسرائيل وحدهم شعب الله الذي ينصرهم على باقي الشعوب.

يقولون كل يوم في الصلاة: "الدهر أحببتنا يا إلهنا، أرددنا يا أبانا إلى شريعتك، يا أبانا يا ملكنا يا إلهنا، أنت إلهنا أبونا منقذنا".⁴

1. التلمود ص 182.

2. المصدر السابق ص 183.

3. أبحاث في الفكر اليهودي ص 111.

4. بذل المجهود في إفحام اليهود ص 101.

وحيث يأتي المسيح تطرح الأرض فطيرًا وملابس من الصوف وقمحًا، حبّه بقدر كلاوي الثيران الكبيرة، وفي ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود وجميع الأمم تخدم ذلك المسيح. وسوف يملك اليهودي ألفين وثمانمئة عبد لخدمته. ولن يأتي المسيح إلا بعد اندثار حكم الشعوب الخارجة عن دين بني إسرائيل¹، وثلاثمائة وعشرة أكوان تحت سلطته.²

ويعلم التلمود أنّ نار جهنم لا سلطان لها على بني إسرائيل، ولا سلطان لها على تلامذة الحكماء (الحاخامات). ولكن بعض الحاخامات قالوا إنّ الإسرائيليين الذين اقترفوا الذنوب سيذهبون مع الأجانب إلى نار جهنم وسيمكثون فيها اثني عشر شهرًا وسوف تحرق روحهم، وسوف تثير الرياح أجزاءهم تحت نعال الصالحين، أمّا الهراطقة والمذنبون الآخرون، فسوف يعذبون عذابًا دائمًا حيث دودة جسمهم لن تموت ونارهم لن تنطفئ.

وحاول المسيح (وغيره من الأنبياء) شفاءهم من هذا المرض وأفهمهم أنّ الله قادر على أن يخلق من الحجارة أولادًا لإبراهيم ولكن.. وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر.³

استهانة اليهود بالمرأة

جاء في كتاب "الأدب العبري" ص 7 "نقلًا عن التلمود عندما تنذر المرأة المتزوجة نذرًا، فإنّ لزوجها الحقّ بأن يوافق على النذر أو يبطله". ومما يؤكد استهانة اليهود بالمرأة أنها لا تستطيع أن تلتحق بالمدارس الدينيّة لليهود. ويعزي محرّر دائرة المعارف اليهوديّة، ذلك إلى سببين:

أولاً: لأنّ تعليم المرأة لم يكن إجبارياً في الدين.

ثانياً: لأنّ المرأة تعتبر "خفيفة العقل"!!

ويذكر كذلك أنّ الحاخام أليعازر قال: من يعلم ابنته التوراة، فكأنّه يعلمها السخافة.

1. جذور البلاء ص 78.

2. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 64.

3. الزعبي ص 34.

إلا أنّ موسى بن ميمون استترك وأفتى بأنّ المراد من هذا القول هو التلمود، وليس التوراة.¹

إنّ المرأة أمرّ من الموت، لأنّ قلبها مصيدة وشبكة ويدها قيود. الصالح أمام الله ينجو منها، أما الخاطيء فيتعلق بها. ويقول اليهودي كلّ صباح حين يصلي: "أحمدك يا ربّ لأنك لم تخلقني امرأة"، فالشيطان قد فتن المرأة "حواء"، وهي بدورها قد فتنّت آدم وأغرته بأن يأكل من الشجرة التي حرمها الله تعالى عليهما في الجنة. فالمرأة في التوراة هي شيطان الرجل، وهي المسؤولة عن الخطيئة الأولى، ومما ترتب عليها من شقاء للبشرية.² كما أنّ المرأة في التوراة لا تكون شريكة الرجل، ولا تساويه، بل تسمى فتنة الرجل، وهو يستعبد لها لتلد له الأولاد.³

كما أنّ نجاسة ولادة الأثني ضعف نجاسة ولادة الذكر: فقد جاء في التوراة: "إذا حملت امرأة وولدت ذكرًا تكون نجسة سبعة أيام... ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يومًا في دم تطهرها. وإن ولدت أنثى، تكون نجسة أسبوعين... ثم تقيم ستّة وستين يومًا في تطهيرها."⁴

كما أنّ التلمود لا يعطي للمرأة الحقوق نفسها مع الرجل، سواء في الصلاة، أو في تنفيذ الوصايا، فعلى سبيل المثال، يقول التلمود: إنّ المرأة مطالبة بأن تحفظ جميع وصايا التوراة السلبية وهي التي تبدأ بكلمة لا..لا..لا، وهي غير مطالبة بحفظ بعض وصايا التوراة الإيجابية والتي تبدأ بالكلمات "افعل كذا".⁵

وفي كتاب الصلوات الذي يستخدمه اليهود، نقرأ واحدة من أوائل المباركات في خدمة صلاة الصباح (مبارك، أنت أيها الربّ إلهنا، إنك لم تخلقني امرأة).

1. التلمود ص 289

2. المصدر السابق ص 290.

3. سفر التكوين 3: 17-21.

4. سفر اللاويين 12: 1-5.

5. التلمود ص 292.

وصوت المرأة عورة ويسبب عثرة للرجال ويشوش على الصلاة.¹ وهي نجسة في حيضها، لهذا لا تسكن في البيت الذي يسكن فيه الرجل، بل تعتزل إلى بيت آخر (غرفة أخرى) ولا تجالسه، ولا تساكنه، ولا تطبخ له... وهي ملك الرجل، ليس لها أن تعترض في زواجها أو تختار، فوالدها يزوجه لمن يشاء، وعليها أن تقبل ذلك شاعت أم أبت... ويجوز للرجل اليهودي التجارة بامرأته إذا كان ذلك يوفر له المال أو لمصلحة اليهود بشكل عام.²

2. استمراء الذل والعبودية:

إن الشعوب التي تنشأ في مهد الاستبداد، وتساس بالظلم والاضطهاد، تفسد أخلاقها، وتذل نفوسها، ويذهب بأسها، وتضرب عليها الذلة والمسكنة، وتألف الخضوع وتأنس بالمهانة والخنوع، وإذا طال عليها أمد الظلم تصير هذه الأخلاق موروثة ومكتسبة، حتى تكون كالغرائز الفطرية، والطباع الخلقية، إذا أخرجت صاحبها من بيئتها، ورفعت عن رقبتة نيرها، ألفيته ينزع بطبعه إليها، وينقلت لينقح فيها. وهذا ما حصل مع بني إسرائيل فقد أفسد ظلم الفراعنة فطرتهم وطبع عليها طابع المهانة والذل والجبين³، فلم يفكروا أبداً بإصلاح حالهم فخنعوا وخضعوا واستمروا الذل حتى لكأنهم لم يعودوا يستطيعون العيش بدونه وصار من صميم طبيعتهم. ولكنهم هم الذين وقعوا في الذل والعبودية وصاروا من المضطهدين أينما ولّوا وجوههم وأصبحوا نماذج للهوان والصغار.

قال تعالى يصور حالهم:

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ آيَاتٍ مَا تُقْفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ

1. المصدر السابق ص 293.

2. المصدر السابق ص 318.

3. اليهود في القرآن، ص 228.

بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ
 ﴿٣٣﴾ * لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ
 وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿٣٤﴾¹

قال صاحب المنار: الذلّة والذلّ، خلق خبيث من أخلاق نفس الإنسان يضادّ الإباء والعزّة، وأصل المادّة فيه معنى اللين. فالذلّ بالكسر، اللين، وبالضم والكسر ضدّ الصعوبة، وإذا تتبعت المادة وجدتها لا تخلو من هذا المعنى. وصاحب هذا الخلق لئّن يفعل لكل فاعل، ولا يأبى ضيم ضائم. غير أنّ هذا الخلق الذي يهون على النفس قبول كل شيء لا يظهر أثره غالباً على البدن وفي القول إلا عند الاستدلال والقهر.² إنّ فرعون سلك وسيلة خبيثة في اضطهاد بني إسرائيل وتعذيبهم، فهو لا يريد أن يقتلهم جميعاً، ولكنه يريد أن يقتل العزّة والكرامة والرجولة فيهم، وأن يجعلهم يعيشوا حياة الذلّ والهوان والعبودية. وهواه تفكيره الشيطاني إلى أن يقتل الأبناء الذكور ويستحيي بناتهم.³

ويعث موسى عليه السّلام... وإذا به يواجه النفس الإسرائيليّة مع رواسب الذلّ الذي أفسد طبيعتها، وملاها بالالتواء من ناحية وبالقسوة من ناحية أخرى، وبالجن من ناحية وبالضعف عن حمل التبعات. وتركها مهلهلة بين هذه النزعات جميعاً... فليس أفسد للنفس البشرية من الذلّ والخضوع للطغيان ومن الحياة في ظلّ الارهاب والخوف والتّخفيّ والالتواء لتفادي الأخطار والعذاب والحركة في الظلام مع الذعر الدائم والتوقّع الدائم للبلاء.⁴ فرفضوا رسالته عليه السّلام.

1. آل عمران 112-113.

2. تفسير المنار 331/1

3. الشخصية اليهودية من خلال القرآن ص 67.

4. في ظلال القرآن، 1364/4.

قال تعالى: ﴿فَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾¹
وسجّل كتابهم هذا الموقف:

وكلم الرب موسى عليه السلام: "قل لبني إسرائيل أنا الرب وأنا أخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتكم وأخلصكم بذراع ممدودة وبأحكام عظيمة وأتخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً... وأدخلكم الأرض التي رفعت يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحق ويعقوب وأعطيتكم إياها ميراثاً... فكلم موسى عليه السلام بني إسرائيل، ولكن لم يسمعوا لموسى عليه السلام من صغر النفس ومن العبودية القاسية".²

وبدأ الصراع بين الإيمان ممثلاً بموسى وأخيه هارون عليهما السلام، وبين الكفر ممثلاً بفرعون وملئه. فدعاه موسى عليه السلام للإيمان بالله عز وجل وترك الكفر والظلم والاستكبار على العباد والعلو والفساد في الأرض وأن يرسل معه بني إسرائيل ولا يعذبهم. قال تعالى: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾³

وبعد جولات وجولات من الدعوة والحوار لم يستجب فرعون لدعاة الله عز وجل،
﴿قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِبَيِّنَاتٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾⁴ ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾⁵ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِينَ﴾⁶

فاستكبر فرعون واتهمهما بالسحر وكان رد فعله أن قال: ﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ﴾⁷
﴿فَجَعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى﴾⁸

1. يونس 83.

2. سفر الخروج، 9-616.

3. طه 47.

4. الأعراف 106-108.

5. طه 58.

وجمع فرعون السحرة من كل أنحاء بلاده ووعدهم الوعود الكبيرة إن هم غلبوا موسى وهارون عليهما السلام. وبدأت المبارزة، ورأى السحرة ما رأوا من معجزات الله عز وجل وآياته.

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَجْدًا قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾¹

وهدهم فرعون وتوعدهم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم على جذوع النخل.

﴿قَالَ ءَامَنُتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرٌ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَتَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾^(٧٦) ولكن استعلاء الإيمان في نفوسهم جعلهم يقولون: ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾^(٧٧) إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَعْفَرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَلْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(٧٨) إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾^(٧٩) وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾^(٨٠)²

ونفذ فرعون تهديده، واستشهد الدعاة الذين كانوا قبل قليل من السحرة. كل هذا وبنو إسرائيل ينظرون إلى هذه العزة وإلى هذا الاستعلاء الإيماني الذي لا يخشى حتى الموت، ويرفس كل مطامع الدنيا ويفضل الآخرة. ورأوا نماذج إيمانية أخرى، رأوا مؤمن آل فرعون وهو يتصدى للطاغية وأعوانه بالحبّة والموعظة الحسنة، ولا يأبه بمصيره عند فرعون لأنه باع نفسه لله عز وجل وترك الدنيا وزخرفها، قال تعالى واصفًا هذه الواقعة:

1 طه 70.
2 طه 71-75.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنَ يَتَقَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَتَقَوْمِ
 إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَّعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ
 سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ
 فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ * وَيَتَقَوْمِ مَا لِي
 أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجْوَةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأَشْرِكَ بِهِ مَا
 لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفِيرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي
 إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ
 هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَوْلُ لَكُمْ وَأَقْوَضَ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ
 اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾¹

ورأوا استعلاء الإيمان مرة ثالثة مُمَثَّلًا في شخص امرأة ضعيفة هي ماشطة آل فرعون التي تحدث عنها، النبي عليه السلام قائلا: لما أسري بي مررت برائحة طيبة، فقلت لجبريل عليه السلام ما هذه الرائحة، قال هذه رائحة ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون، فوقع المشط من يدها، فقالت بسم الله، فقالت بنت فرعون أبي، قالت بل ربي ورب أبيك، فقالت لها لأخبرنَّ أبي. فلما دعا بها وبولدها وقال لها من ربك؟ فقالت إنَّ ربي وربك الله. فأمر بنتور من نحاس فأحمي وأمر بها وبولدها أن يلقوا فيه فقالت له إنَّ لي إليك حاجة، فقال وما هي؟ قالت تجمع عظامي وعظام أولادي فتدفنهما، قال ولك ذلك لما علينا من الحق، ثم أمر بأولادها فألقوا واحداً واحداً في التنور حتى إذا كان آخر أولادها ولداً صبيّاً رضيحاً، فقال أصبري يا أمّاه فإنك على الحق. فألقيت في التنور مع ولدها. فسئل ابن عباس فيمن تكلم في المهدي،

فقال تكلم في المهد أربعة عيسى بن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبي.¹

ورأوه مرّة أخرى في امرأة ثانية كانت سيدة البلاد الأولى، السيدة آسيا زوجة فرعون التي ضحّت بالدنيا وما فيها وآثرت ما عند الله عزّ وجلّ.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾²

رأوا كل ذلك، رأوا كيف هزأت القلوب المؤمنة بتهديدات الطغيان الجائرة. ورأوا المواجهة بكلمة الإيمان القوية وباستعلاء الإيمان الواثق وبرجاء الإيمان العميق³، ولكنّ النفوس الضعيفة التي يُخيل لها أنّ للكرامة ضربية باهظة لا تطاق، فتختار الذلّ والمهانة هرباً من هذه التكاليف النقال، فتعيش عيشة تافهة رخيصة مفزعة قلقاً، تخاف من ظلها وتفرق من صداها، يحسبون كل صيحة عليهم⁴، نفوس بني إسرائيل لم تتأثر بكل ذلك.

ويعد هذا زاد فرعون عذابه عليهم فهرعوا إلى نبيهم يطلبون منه العون والمدد:

﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَأَصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٧٨﴾﴾⁵

ماذا كان موقفهم بعد ذلك؟ وماذا كان ردّ فعلهم؟ هل وقفوا إلى جانب نبيهم في هذه المحنة؟ هل فكروا بنزع الذلّ من قلوبهم؟

﴿قَالُوا أَوْزَيْنَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾⁶

1. قصص الأنبياء ص 249-250.

2. التحريم 11.

3. في ظلال القرآن، 2343\4.

4. دراسات إسلامية، ص 124.

5. الأعراف 128.

6. الأعراف 129.

ثم أرسل الله عز وجل على فرعون وقومه أنواعاً من العذاب مختلفة.
﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصِ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَذَكَّرُونَ﴾¹

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدمَّ آيَاتٍ
مُّفَصَّلَاتٍ﴾²

ثم أوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أن يخرج ببني إسرائيل ليلاً. قال
تعالى: ﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبَعُونَ﴾³ واستجاب موسى عليه السلام لأمر الله
تعالى وأمر قومه بالخروج. ولكن قدر الله عز وجل أن يصلوا إلى البحر، وهناك رأوا
الفرعون وجنوده خلفهم ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾⁴

تقول كتبهم: وقالوا يا ابن عمران ماذا أنكرت منا حتى دبّرت قتلنا وجئت بنا إلى
شطّ البحر ليقتلنا فرعون مثل الفئران حيث لا فرار ولا نجاة... ألم يكفك ما أصابنا من
الجهد والبلاء لأجلك، حتى جئت بنا إلى هنا؟ ها هو البحر أمامنا والعدو وراءنا وليس
لنا إلا الموت. هنالك تزلزل الجميع، وقال قائلهم: كان بقاؤنا في مصر أحبّ إلينا من
الموت في هذه البرية.⁵ وهذا ما سجله كتابهم:

"وإذا المصريون راحلون وراءهم ففزعوا جداً، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب وقالوا
لموسى عليه السلام، هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية. ماذا
صنعت بنا حتى أخرجتنا من مصر؟ أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به في مصر
قائلين كُفّ عنا فنخدم المصريين لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في
البرية؟"⁶

1. الأعراف 130.
2. الأعراف 133.
3. الدخان 23.
4. الشعراء 61.
5. البداية والنهاية، 275\1.
6. سفر الخروج: 10\11-12.

لم يفكروا بالدفاع عن أنبيائهم وعن أنفسهم وعن نسائهم وذريتهم وكرامتهم. وكادت تحدث أكبر مجزرة في التاريخ. ستمائة ألف من المقاتلة عدا الذراري والنساء - ماذا كان سيفعل فرعون بهم لو أمسكهم؟ وخاصة أنهم سلبوا المصريين ذهبهم وفضّتهم وأمتعتهم قبل خروجهم. وبدل أن يفكروا بالقتال والدفاع تناولوا على موسى عليه السّلام.

هؤلاء الأذلاء يؤدون ضريبة أفدح من تكاليف الكرامة، إنهم يؤدون ضريبة الذلّ كاملة. يؤدونها من نفوسهم، ويؤدونها من دمائهم وأموالهم وهم لا يشعرون.¹ في وسط هذا الهول لم يتزلزل إيمان موسى عليه السّلام بربه. وسمع الناس صوتاً

فيه جلال النبوة: ﴿ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾²

وهنا شهد بنو إسرائيل المعجزة الكبرى.

﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ

الْعَظِيمِ ﴾³

وغرق فرعون وجنوده، وبنو إسرائيل ينظرون إليه، وأنجى الله عزّ وجل موسى عليه السّلام وبنو إسرائيل.

﴿ وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُم سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ

وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾⁴ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ

فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴾⁴

وفي الصحراء أغدق عليهم نعمه، أطعمهم أحسن طعام: المنّ والسلوى، وسقاهم الشراب بمعجزة باهرة. ولكنّ نفسيّة يهود الذليلة والمستمرّنة لحياة الذلّ والشهوات عافت المنّ والسلوى مع الحرية والعزّة، وطلبت نفوسها البقل والفتاء والفلو والعدس والبصل،

1. دراسات إسلامية، ص 124.

2. الشعراء 62.

3. الشعراء 63.

4. البقرة 49-50.

وألحوا على موسى عليه السلام أن يهيء لهم هذه الأصناف، وإلا فليعدهم إلى مصر حيث كانوا يجدونها وافرة مغمورة بالذلل والقهر والاضطهاد والاستعباد.¹ قال تعالى واصفا حالهم:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُبْتِ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا﴾²

وتعجب موسى عليه السلام وأنبهم على هذه الرغبات المريضة والطلبات الذليلة. قال صاحب الكشاف كانوا قوماً فلاحاً فنزعو إلى عكرهم، فأجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت أنفسهم الشقاء. (وفلاحه جمع فلاح، وعكرهم بكسر العين أصلهم، وأجم الطعام: كرهه من المداومة عليه).³

﴿قَالَ أَتَسْتَبِدُّونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أي أطلبون هذه الأنواع الخسيسة بدل ما هو خير منها وهو المنّ والسلوى؟ والمنّ فيه الحلاوة التي تألفها أغلب الطباع البشرية والسلوى من أطيب لحوم الطير، وفي مجموعها غذاء تقوم به البنية وليس فيما طلبوه ما يساويهما لذة وتغذية.⁴ ﴿أَهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ﴾ أي فإتكم إن هبطتموه ونزلتموه وجدتم فيه ما سألتكم. أمّا هذه الأرض التي قضى الله أن تقيموا فيها إلى أجل محدود فليس من شأنها أن تثبت هذه البقول، وإنّ الله جل شأنه لم يقض عليكم بالتّيه في هذه البرية إلا لجبنكم وضعف عزائمكم عن مغالبة من دونكم من أهل الأمصار. قال تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾ فضرب الذلة والمسكنة على يهود هو جعل الذلّ وضعف العزيمة محيطين بهم كما تحيط القبة المضروبة بمن فيها. أو إلصاقهما بطباعهم كما تطبع

1. الشخصية اليهودية من خلال القرآن ص 81.

2. البقرة 61.

3. تفسير المنار 329/1.

4. المصدر السابق ص 331/1.

الطغرى¹ على السكة، ﴿وَبَاءٌ وَيَغْضَبُ مِّنَ اللَّهِ﴾ أي رجعوا به كما يقال رجع أو عاد بصفقة المغبون - إذا كان ذلك آخر شوطه ومنتهى سعيه. وكذلك كان آخر أطوار يهود في بغيهم أيام ملكهم، والمراد به فقد الملك وما يتبعه. وقال الشيخ محمد عبده: استحقوا غضبه، ومن استحقه فقد أصابه، فقد غضب الله عليهم. وتكثير الغضب دلالة على أنه نوع عظيم من سخطه جلّ شأنه، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾² أي ذلك العقاب بضرب الذلة والمسكنة وبالغضب الإلهي بسبب ما جروا عليه من الكفر بآيات الله. وضربت عليهم المسكنة، التي هي سكون عن ضعف أو حاجة. قال الأستاذ الإمام محمد عبده: إنّ المسكنة حالة للشخص منشؤها استصغاره لنفسه حتى لا يدّعي له حقاً، والذلة حالة تعترى الشخص من سلب غيره لحقه وهو يتمناه، فمنشؤها وسببها غيره لا نفسه كالمسكنة.³

وهذه الذلة والمسكنة والمهانة والاستعباد مؤصلة في كتبهم، وتراها أفعالاً يمارسها أنبياءهم على الناس ويستذلونهم، وإلههم هو الذي يشرع لهم ذلك ويبيح لهم استعمال البشر واستذلالهم. ويصبح هذا الأمر خلقاً عندهم وسجية في نفوسهم لا يبالون سواء وقعت عليهم أم وقعوا عليها..

فمنذ أيام نوح عليه السلام، أحلت لهم كتبهم الرقّ والاستعباد من خلال حادثة عجيبة لم تتورّع فيها من نسب قصة سيئة لنوح عليه السلام، ومهدت للشعب المختار أن يستعبد شعب كنعان لسبب تافه وحكم ظالم عجيب.

"وابتداءً نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً. وشرب من الخمر، فسكر وتعزّى داخل خبائه. فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً. فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الورا وسترأ عورة أبيهما ووجههما إلى الورا، فلم

1. الطغرى، الطغرى: الطغراء، الطرّة، تكتب في أعلى الكتب والرسائل غالباً، تتضمّن نعوت الحاكم وألقابه، وأصلها طورغاي وهي كلمة تترية استعملها الروم والفرس ثم أخذها العرب عنهم.

2. البقرة 61.

3. تفسير المنار 6814.

يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمرة علم ما فعل به ابنه الصغير، فقال ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته. وقال مبارك الرب إله سام. وليكن كنعان عبداً له ليفتح الله ليافت فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبداً لها".¹ وتصور التوراة يوسفاً عليه السلام مستغلاً ماهراً لفقر الشعب المصري وحاجته، فيشتره وأرضه لحساب فرعون، بعد أن اشترى منهم الفضة والمواشي بالخبز الذي يدفع عنهم الموت.²

"ولما تمت تلك السنة أتوا إليه في السنة الثانية، وقالوا له لا نخفي عن سيدي أنه إذ قد فرغت الفضة ومواشي البهائم عند سيدي لم يبق قدام سيدي إلا أجسادنا وأرضنا. لماذا نموت أمام عينيك نحن وأرضنا جميعاً. اشترنا وأرضنا بالخبز فنصير نحن وأرضنا عبيداً لفرعون... فاشترى يوسف كل أرض مصر لفرعون إذ باع المصريون كل واحد حقله لأنّ الجوع اشتد عليهم فصارت الأرض لفرعون. وأما الشعب فنقلهم إلى المدن من أقصى حدّ مصر إلى أقصاه. فقال يوسف للشعب أنتي قد اشتريتكم اليوم وأرضكم لفرعون".³

وداود التوراة، كان طاغياً مستبداً استعبد اليهود وغير اليهود. فقد كان خدامه الذين يتناوبون على خدمته أربعة وعشرين ألفاً شهرياً. وأحصيت عددهم في السنة فكانوا مائتين وثمان وثمانين ألفاً من أفراد الشعب الذين كانوا ينالون شرف الخدمة عند ابن الرب داود.⁴

واستمر الملك سليمان أنظمة العبودية التي خلفها أبوه داود وزاد عليها، واستغلّ سليمان أبناء الشعب الفلسطيني الذين نجوا من الذبح والابادة وحولهم إلى عبيد بينون له الهيكل. جميع الشعب الباقيين من الأموريين والحثيين والفرزيين والحوبيين واليبوسيين

1. تكوين ص 9: 20-27.

2. جذور البلاء ص 52.

3. سفر التكوين ص: 47: 18-22.

4. سفر أخبار الأيام الأول ص 27.

الذين ليسوا من بني إسرائيل. أبناؤهم الذين بقوا بعدهم في الأرض الذين لم يقدر بنو إسرائيل أن يحزموهم (يقتلوهم) جعل عليهم سليمان تسخير عبيد إلى هذا اليوم".¹
"وأمر سليمان ببناء بيت لاسم الرب وبيت لملكه. وأحصى سليمان سبعين ألف رجل حمّال وثمانين ألف رجل نحّات في الجبل، ووكلاء عليهم ثلاثة آلاف وستمائة".²
وكيف نلوم داود وسليمان إذا كان ربّ التوراة، رجل الحرب، ربّ الجنود، إله إسرائيل هو الذي أحلّ الاستعباد وأمر به:

"لأنهم عبيدي (بنو إسرائيل) الذين أخرجتهم من أرض مصر لا يباعون ببيع العبيد. لا تتسلط عليه بعنف. بل اخش إلهك. وأمّا عبيدك وإماؤك الذين يكونون لك فمن الشعوب الذين حولكم. منهم تقتنون عبيدًا وإماء. وأيضًا من أبناء المستوطنين النازلين عندكم منهم تقتنون ومن عشائريهم الذين عندكم الذين يلدونهم في أرضكم فيكونون ملكًا لكم. وتستملكونهم لأبنائكم من بعدكم ميراث ملك. تستعبدونهم إلى الدهر. وأمّا إخوتكم بنو إسرائيل فلا يتسلط إنسان على أخيه بعنف".³
وتحرّم توراتهم بيع العبد من يهود، ولكن تعمل على تحريرهم وتبقي باقي الشعوب في العبوديّة.

وتصبح الذلّة والمسكنة والشعور بالاضطهاد منسكًا دينيًّا عندهم حتى يصلون إلى حكم العالم واستعباد البشر جميعًا.

يقول تاناكودرا أستاذ علم الاجتماع في الجامعة العبرية: يُلزم اليهود أن يحسّوا بالاضطهاد ولو لم يكن هناك احتمال له. وهو يقول في ذلك، بأنّ اليهودي حقًّا هو من يشعر بأنّ هناك مشكلة يهوديّة حتى لو عاش بمفرده في جزيرة نائية.
ويعلق الأستاذ أحمد بهاء الدين على هذا بقوله: إنّ اليهوديّ في رأيه هو الذي يشعر باضطهاد حتى ولو لم يجد من يضطهده.⁴

1. سفر الملوك الأول ص 9: 20-22.

2. أخبار الأيام الثاني ص 2: 1-2.

3. لاويون ص 25: 42-46.

4. اليهودية ص 131.

يقول تلمودهم: ويستمرّ ضرب الذلّ والمسكنة على بني إسرائيل حتى ينتهي حكم الأجنبي. وقبل أن تحكم اليهود نهائيًا على باقي الأمم يلزم أن تقوم الحرب على قدم وساق ويهلك ثلثا العالم ويبقى اليهود مدة سبع سنوات متتالية يحرقون الأسلحة التي اكتسبوها بعد النصر.¹

وبعد ذلك يستعبدون الرجال والنساء والأطفال من بني البشر، هكذا قال السيد الربّ ها إني أرفع يدي إلى الشعوب أقيم رايتي. فيأتون بأولادك في الأحضان وبناتك على الأكتاف يحملن. ويكون الملوك حاضنيك وسيداتهم مرضعاتك. وبالوجوه إلى الأرض يسجدون لك ويلمسون غبار رجليك".²

"وبنو الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك. وتنتفتح أبوابك دائمًا، نهارًا وليلاً لا تغلق، ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد ملوكهم. لأنّ الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد، وخرابًا تخرب الأمم".³

3. فساد الفطرة والسعي بالفساد في الأرض:

من السمات البارزة للشخصية الإسرائيلية، النزق الذي استولى على طبعهم حتى كانوا يستخفون بالأمر العظيم الذي هيأهم الله عزّ وجلّ له. من التمكين في الأرض وإدخالهم الأرض الموعودة، والخروج من الخسف والهوان الذي كانوا فيه. ولكنهم رغم كثرة ما شاهدوه من آيات الله القائمة الدالة على صدق وعده لم تستيقنه أنفسهم.⁴

والآيات الكثيرة والنعم الإلهية التي تكاد لا تحصى، والعفو والمغفرة في كل مرة ينزلقون فيها، كلها لم تنفع في تغيير تلك الطبيعة القاسية التي لا تؤمن إلا باللموس والمحسوس، والتي تظل تعاند وتجادل وتماحل ولا تستجيب إلا تحت وقع العذاب والتتكيل، مما يوحي بأنّ فترة الازلال التي قضوها تحت حكم الطاغية قد أفسدت

1. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 65.

2. سفر أشعيا ص 49: 22-23.

3. سفر أشعيا ص 60: 10-12.

4. تفسير المنار 330/1.

فطرتهم إفسادًا عميقًا. وليس أشدَّ إفسادًا للفطرة من الذلّ الذي ينشئه الطغيان الطويل الذي يحطم فضائل النفس البشريّة ويحلل مقوماتها ويغرس فيها طباع العبيد.¹ لقد كان القوم يؤمنون بالشريعة في الجملة، ولكنهم لم يلبسوها مفصّلة تفصيلًا، ولم يفقهوا حكمها وأسرارها، فلم يكن لها سلطان على قلوبهم، ولم تكن هي المحركة لإرادتهم في أعمالهم، وإنّما كان يحركها الهوى والشهوة، ويصرفها عامل اللذة. فالإيمان إنّما كان عندهم قولًا باللسان، ورسمًا يلوح في الخيال، تكذبه الأعمال، وتطمسه السجايا الراسخة، وهذا هو الإيمان الذي لا قيمة له عند الله تعالى.² ورغم ذلك فإنّ عناية الله عزّ وجلّ ما زالت تظلّهم بعد أن كفروا فعبدوا العجل ثم كفّروا عن الخطيئة كما أمرهم الله عزّ وجلّ وتاب عليهم، وبعد أن طلبوا رؤية الله جهرة فأخذتهم الرجفة. فكيف تلقى بنو إسرائيل رعاية الله لهم وكيف سارت خطواتهم الملتوية على الطريق؟

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾﴾³

وتدلّ هذه الآيات على فساد فطرتهم وكثرة نقضهم للعهود والمواثيق التي التزموها مع الله سبحانه وتعالى.⁴

وكيف أنهم خالفوا الأمر مخالفة تامة لا تحتل الاجتهاد ولا التأويل، فلم يراعوا ظاهر مدلول لفظه ولا فحواه والمقصد منه.⁵

1. في ظلال القرآن 72/1.

2. تفسير المنار 1/379.

3. الأعراف 161 - 162.

4. في ظلال القرآن 1382/3.

5. تفسير المنار 373/9.

وحالهم الدائم في السعي بالفساد في الأرض والعلو والطغيان يصوره القرآن أبلغ تصوير . قال تعالى:

﴿ وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ٤ ۝ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ٥ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ٦ ۝ إِنَّ أَحْسَنَكُمْ أَحْسَنُكُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوتُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ٧ ۝ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ٨ ۝ ١﴾

والآية الكريمة وإنْ عُدْتُمْ عُدْنَا، فيها من الإيحاءات بأنهم سيكثر من الإفساد، ولكن قدر الله وقدرته ستلاحقهم وهي لهم بالمرصاد، ﴿ كَلَّمَآ أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَآهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ١٦ ۝ ٢﴾

وهي تصوّر حالهم في تعاملهم مع الحروب والمعارك، وهم يخططون لنشوبها، وكلمة "كلما" في الآية تدل على الاستمرار والتجدد للسلوك اليهودي، لإشعال نار الفتن والحروب بين الأمم والشعوب. وتاريخهم القديم والحديث دليل مصداق على هذه الحقيقة القرآنية³.

وقد مرّ معنا كيف أنهم لم يأخذوا التعاليم والشرائع إلا عندما رفعت الملائكة الجبل فوقهم. قال تعالى: ﴿ وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٧١ ۝ ٤﴾

1 الإسراء 4-8.

2 المائدة 64.

3 اليهودية فتنة التاريخ، ص122.

4 الأعراف 171.

إنّ هذه القلوب فقدت خاصّة التّأثر والانفعال - بما يرد عليها من المواظ والآيات- التي هي من خصائص الروح الإنساني. حتى كأن أصحابها هبطوا من درجة الحيوان إلى دركة الجماد بل نزلوا عن دركة الحجارة أيضاً.¹ وذلك ما أفاده قول الله تعالى في القرآن الكريم:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقُّوْهُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾²

والعجيب أنّ قسوة قلوبهم كانت بعد وضوح الحقّ لهم، وبعدما رأوا بعيونهم آية من آيات الله، حيث أحيا الله قتيلا منهم بعدما تم ضربه بجزء من البقرة التي ذبحوها، فتكلم القاتل الميت وأخبر عن قاتله. وهذا المشهد كفيْل بأن يلبّن أفسى قلوب إلا قلوب يهود.³

﴿وَإِذْ قَاتَلْتُمْ نَفْسًا فَاذْرَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْمُلُونَ﴾⁴

ومن مظاهر فساد الفطرة: الكذب والافتراء.

إنّ القرآن قد تحدّث بقصص كثيرة عن بني إسرائيل وجرائمهم، وفي القرآن كفاية لمستزيد. قوم تعوّدوا الكذب حتى صار لهم سجيّة، واستمروا الخيانة والغدر حتى أصبح لهم خلقاً وعادة.⁴

وتمثّل الكذب في يهود أينما كانوا، ومارسوا الكذب والافتراء في كل المجالات. كذبوا على الله سبحانه، وكذبوا على أنبيائهم وكذبوا على الأمم الأخرى. والعجيب أنهم جعلوا هذا الكذب ديناً وعقيدة وعبادة وقرى تقربوا به لربهم وطبقوا فيه دينهم، وحاربوا بهذا الكذب الحقّ والخير والصدق والرسل والدعاة والمصلحين.

1 تفسير المنار 352/1.

2 البقرة 74.

3. الشخصية اليهودية من خلال القرآن ص 280.

4. فلسطين التاريخ المصور ص32.

وشمل هذا الكذب حياة اليهودي في كل مرافقها وسرى في كل مجالاتها. اليهود كاذبون في حياتهم الدينية وعباداتهم ونظرتهم إلى الله. اليهود كاذبون في حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأخلاقية والعملية. اليهود كاذبون على الأعداء وعلى الأصدقاء وعلى المخالفين والمحاربين والمعارضين.¹

وهذا القرآن الكريم يفضح سرائرهم من الخيانة إلى الكذب على الله عز وجل:

﴿وَمَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِيَدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾²

وتكذيبهم دائم لرسل الله عز وجل، فلا يكاد ينجو نبي من تكذيبه، والكذب عليه. قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾³

ويمكن الكذب منهم وسيطر عليهم فهم ليسوا كاذبين فقط، ولا سامعين للكاذبين فقط، ولكنهم سماعون لهذا الكذب. وهي صفة مبالغة من سامع، يستلذون الكذب ويحرصون على أن يكونوا مع الكذب وأصحابه، وأن يبحثوا عن الكذب وأصحابه، ويسمعونهم وهم يمارسونه ويشاركونهم بكل حماسة واندفاع.⁴

يقول تعالى واصفا حالهم: ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴿٥﴾﴾⁵ وحتى إنهم كذبوا على أعدائهم وخدعوه. فقد قدم أحد زعمائهم كعب بن الأشرف إلى مكة وقالت له قريش، أحكم بيننا وبين هذا الصنوبر¹ الأبتري فأنت سيدنا وسيد

1. الشخصية اليهودية من خلال القرآن ص 196.
2. آل عمران 75.
3. آل عمران 184.
4. الشخصية اليهودية من خلال القرآن ص 198.
5. المائدة 42.

قومك. فقال كعب أنتم والله خير منه²، فأُنزل الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِشِرْكٍ قَدِيمٍ أَتَىٰ يَوْمَئِذٍ مِّلًّا مِّن رَّسْمِ اللَّهِ يَلْبَسُونَ الْكُفْرَ الَّذِي كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾³

قال صاحب الكشاف، الجبت: الأصنام وكل ما عبد من دون الله. والطاغوت: الشيطان. وسبب نزول هذه الآيات:

خرج حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف اليهوديين إلى مكة مع جماعة من اليهود، يحالفون قريشاً على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أنتم أهل كتاب، وأنتم أقرب إلى محمد منكم إلينا، فلا نأمن مكرهم، فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن إليكم ففعلوا، فهذا إيمانهم بالجبت والطاغوت لأنهم سجدوا للأصنام وأطاعوا إبليس فيما فعلوا. وقال أبو سفيان: نحن أهدى سبيلاً أم محمد؟ فقال كعب: ماذا يقول محمد؟ قالوا: يأمر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك. قال: وما دينكم؟ قالوا: نحن ولاية البيت، ونسقي الحاج، ونقري الضيف، ونفكّ العاني، وذكروا أفعالهم، فقال: أنتم أهدى سبيلاً.⁴

وأسفارهم مليئة ومحشوة بالكاذب والافتراءات.

ولم يكتف اليهود بهذه الشناعات الصارخة التي حشوا بها أسفارهم الظاهرة! بل لم يتسع نطاق العلانية لكل ما تزخر به صدورهم من حقد طافح، ولؤم عاصف، لذلك عمدوا إلى توسيع دائرة الكذب على الوحي الإلهي الجليل، وتسربلوا بأطباق من ظلمات: "التعاليم السرية" الغامضة المبهمة، وأمدهم في الغي قدرتهم العارمة على التحريف والتزييف، والالتواء والافتراء والذس.⁵

1. الصنبور: قيل هو النخلة تبقى منفردة، ويدق أسفلها ويتقشر، يقال: صنّب أسفل النخلة. وقيل: هو الرجل الفرد الذي لا ولد له ولا أخ.
2. الطبري، مختصر تفسير الطبري، ط1423 هـ، 2003 م دار الخير دمشق ص143/7.
3. النساء 51.
4. الزمخشري، الكشاف، دار إحياء التراث العربي، ط1. بيروت 1: ص553.
5. معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص 37.

والنفاق، كان ولا يزال سمة من سماتهم وصفة من صفاتهم المميزة يدلّ على فساد فطرتهم. قال تعالى:

﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامِنُوا وَإِنَّا كُنَّا مَعَهُمْ وَإِنَّا كُنَّا مَعَهُمْ وَإِنَّا كُنَّا مَعَهُمْ وَإِنَّا كُنَّا مَعَهُمْ﴾¹

والعهد الجديد يصف حالهم مع عيسى عليه السلام: وحينئذ وبّخ يسوع الشعب بأشدّ عنف، لأنهم نسوا كلمة الله وأسلموا أنفسهم للغرور فقط. وبّخ الكهنة لإهمالهم خدمة الله ولجشعهم، ولأنهم علموا تعاليم فاسده وتركوا شريعة الله، وبّخ العلماء لأنهم أبطلوا شريعة الله بواسطة تقاليدهم.²

وقال السيد المسيح فيهم: "قد غلظ قلب هذا الشعب، وثقلت آذانهم عن السماع وأغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ولا يسمعون بأذانهم ولا يفهموا بقلوبهم".³ وكانوا يتقننون في الافساد والتخريب.

فهذا بطلهم شمشون يفعل أفاعيل قد يعجز عنها الشيطان:
وذهب شمشون وأمسك ثلاث مئة ابن آوى وأخذ مشاعل، وجعل ذنباً إلى ذنب ووضع مشعلاً بين كل ذنبيين في الوسط. ثم أضرم المشاعل ناراً وأطلقها بين زروع الفلسطينيين فأحرق الأكداس والزرع وكروم الزيتون".⁴

ومن مظاهر السعي بالفساد في الأرض السحر والتنجيم والعرافة. وقد برعوا في ذلك وتفوقوا على الشياطين أنفسهم وسخروهم للإفساد. قال تعالى:

﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَٰنَ ۗ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَ الشَّيَاطِينِ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَٰئِكِينَ بِإِذْنِ هَارُونَ

1. البقرة 76.
2. إنجيل برنابا 14.
3. إنجيل متى 13 - 15.
4. سفر القضاة ص 15، 4 و 5.

وَمَرُوتٌ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ^ط فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ^١

فقد زعموا أنّ ملك سليمان قام على أساس السحر والطلسمات، وأنه ارتدّ في آخر عمره وعبد الأصنام مرضاة لنسائه الوثنيات. وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَمَا سَحَر "ولكن" أولئك "الشياطين" الذين يسندون إليه ما انتلوه من السحر، وما تلبّسوا به من كفر، هم الذين كفروا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السَّحْرَ لِيَفْتَنُوا بِهِ الْعَامَةَ وَيُضِلُّونَهُمْ عَنِ طَلَبِ الْأَشْيَاءِ مِنْ أَسْبَابِهَا الظاهرة ومناهجها المشروعة.

هذه الأوهام والأكاذيب على نبي الله سليمان عليه السّلام مما افتجره بعض الدجالين من بني إسرائيل. وقد زعموا أنّ سليمان سحر ودفن السحر تحت كرسيه، وأنه أضاع خاتمه الذي كان به ملكه، فوقع في يد آخر وجلس مجلسه للحكم. وروي عنهم أنّ سليمان هو الذي جمع كتب السحر من الناس ودفنها تحت كرسيه.

وقد ساعد على شيوع السحر بينهم تقلبهم بين شعوب وثنية تؤمن بالحل السحريّ مثل المصريين القدامى والكنعانيين والبابليين ثم الفرس، ويوجد في العهد القديم هجوم على السحر والسحرة،² حيث يعتبر المراحل الأخيرة من العصر الهيليني السحر رجساً ونجاسة وزنى. ومع هذا، فهناك إشارات فيه إلى قبول السحر كوسيلة مشروعة. وحادثة اليسع وهو ينصح الملك يوشع أن يتنبأ بفرص النصر ضد آرام عن طريق رمي السهام جهة الشرق حيث يوجد آرام ثمّ طلب منه رمي السهام باتجاه الأرض، ما هي إلا طريقة السحرة والعرفان في التنبؤ بالمستقبل.³

وقصة شمشون لا يمكن فهمها إلا في إطار أنها قصة ساحرٍ يَعُدُّ شَعْرَهُ مَكْمَنَ قُوَّتِهِ وحياته.

1. البقرة 102.

2. سفر اللاويين 6/20، 27؛ سفر التثنية 18/22.

3. سفر ملوك ثاني 14/13-19.

وأصبح السحر اليهودي انعكاسًا للوثنية السائدة في الشرق الأدنى في العصور القديمة، إذ سقطت في الحلولية والوثنية والسحر تدريجيًا، ثم بشكل سريع.

وتلمودهم أدهى وأضل يؤصل لإفسادهم عن طريق السحر وغيره:

قال معلم السحر (ألفاس ليفي) اليهودي: "إنّ التلمود أول كتاب سحري".¹

جاء في التلمود (سنهدين ص/ 2 ما): إنّ أحد مؤسسي ديانة التلمود كان في إمكانه أن يخلق رجلًا بعد أن يقتل آخر. وكان يخلق كل ليلة عجلًا عمره ثلاث سنوات بمساعدة حاخام آخر، وكانا يأكلان منه معًا، وكان أحد الحاخامات أيضًا يحيل القرع والشّمَام إلى غزلان ومعيز (سنهدين ص 70/). وقد سحر يومًا ما امرأة وجعلها حماره وركبها ووصل عليها إلى السوق (سنهدين 2، 67) وهناك قام حاخام آخر بإعادتها إلى صورتها الأصلية.²

وهناك فرقة اسمها المستريميون تعلموا السحر (كبالا)، وخصوصًا ذلك الذي يخص استعمال الكلمات. والتابعون لهذا المذهب يزعمون أنّ السحر منزل من الله عن طريق الأنبياء والذين نقلوه إلى الحكماء.³

مما ورد في Hebrew literature الصفحات 18 - 19 - 20:

والتلمود يمتلئ بطقوس السحر والشعوذة والعرافة ويعتقد بوجود العفاريت. يقول الحاخام أبا بنيامين " لو جاز لنا أن نشاهد العفاريت الخطرين لما تمكن مخلوق من الوقوف أمامهم. ويقول الحاخام أباني " العفاريت أكثر عددًا منا وهم يحيطون بنا مثل خندق حول حديقة". ويقول الحاخام راوهونا كل منا يوجد عن شماله ألف من العفاريت⁴ ويوجد على يمينه عشرة آلاف. وقال ربا: إنّ الازدحام أثناء الموعظة (بالكنيس) بسببهم (العفاريت) واستهلاك ملابس الحاخام (الإبلاء) بسبب احتكاكهم بها، والأقدام المكسورة بسببهم. ثم يصف الحاخام بعض الطرق السحرية لمن أراد

1. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 56.

2. التلمود ص 81.

3. التلمود تاريخه وتعاليمه ص 37.

4. المصدر السابق ص 75.

مشاهدة العفاريت. ويعتقد التلمود اعتقادًا جازمًا بأن التجيم علم يتحكم في حياة الإنسان فالنجم يجعل الانسان ذكيًا أو غنيًا. يقول حاخام شانينا " إن تأثير النجوم تجعل الرجل ذكيًا وتأثيرها يجعله ثريًا وبنو إسرائيل تحت تأثير النجوم"...

ويقول التلمود: " إن كسوف الشمس آية سوء للشعوب وكسوف القمر آية سوء لبني إسرائيل، لأن إسرائيل تعتمد في بقائها على القمر وشعوب الأرض تعتمد على الشمس.¹

والعرافة من الأعمال المفضّلة لدى الحاخامات ويذكرها التلمود كثيرًا فيقول: إن بعض الحاخامات كانوا قادرين على خلق الإنسان والبطيخ...

ويزعم الحاخامات أن إبراهيم عليه السلام أيضًا كان يعرف العرافة، لأنه أعطى بعض الهدايا لأبنائه كانت فيها قوّة السحر. وكان هو نفسه يعلق حول عنقه عقدًا يتوسطه حجر يشفي كل من رآه وكان يشفي بواسطته جميع الأمراض.

وكان (عليه السلام وحاشاه) يتعاطى السحر ويعلمه فوصل إلى هذا الحجر بعض الحاخامات التلموديين، وكان بقوته وباقي رفقاءه يقيمون الموتى!! وحصل أن أحد الحاخامات قطع رأس حية ثم لمسها بالحجر المذكور فإذا هي حية تسعى. وقد لمس أيضا به جملة أسماك مملحة فدبت فيها الروح بقوة السحر!²

وجاء عن أحد الحاخامات أنه قتل حاخامًا آخر في حالة سكر، ثم أتى بمعجزة فأعاد الحاخام القتيل إلى الحياة. وفي السنة التالية دعا الحاخام صاحبه لحفل خمر ولكنه رفض قائلاً المعجزات لا تحدث كل يوم.³

ويسكن جبال الشرق المظلمة ثنتان من الشيطانات المشهورات إسمهما (آذا، وآذائيل) وهما اللتان علمتا السحر (لبلعام، أيوب، ويوترو) وكان يحكم الملك سليمان على الطيور والشياطين بواسطتهما وكانتا السبب في حضور بلقيس إليه.⁴

1. المصدر السابق ص 76.

2. التلمود ص 93.

3. التلمود تاريخه وتعاليمه ص 84 - 85.

4. التلمود ص 92.

وهناك قصص وخرافات لا نهاية لها عن معجزات وأساطير الأفاعي والحيوانات.
ومن مظاهر فساد الفطرة، الزواج غير الطبيعي من الصغيرات:

"يحق لليهودي أن يتزوج بنتاً لها من العمر ثلاث سنوات ويوم واحد".¹

ومن مظاهر فساد الفطرة، الخيانة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ
مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾²

قال صاحب الكشف، هذه عادتهم وكان عليها أسلافهم كانوا يخونون الرسل،
وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك، ويظاهرون المشركين على حريك، ويهمون بقتلك
(النبي محمد عليه السلام) وأن يسموك.³

وتصفهم كتبهم بأنهم جيل متقلب، أولاد لا أمانة فيهم".⁴
وهذا بعض مما ورد فيها:

جميع اليهود منافقون مفسدون لا أمان لهم، وأشرار، لا خير يرجى منهم،
كل واحد منهم منافق وفاعل شر.⁵

كلهم قد زاغوا جميعاً، وليس من يعمل صالحاً.⁶
كلهم مفسدون، الرب قد رفضهم.⁷

والسرية دائماً هي السمة البارزة في النشاط اليهودي على اختلاف العصور.
ويتضمن التلمود فصلاً خاصاً بعنوان "السندرين" يتبين منه أنّ هذا التنظيم كان
بمثابة حكومة سرية لليهود يلتزمون التزاماً تاماً في تنفيذ أحكامها. وأمره حيّر الرومان،
وهذا السندرين هو الذي حاكم السيد المسيح، المحاكمة المبسوطة في الإنجيل.

1. المصدر السابق ص 55.

2. المائدة 13.

3. تفسير الكشف ص 649-650.

4. التلمود ص 132 و العدد 19 إصحاح 32.

5. سفر أرميا 10-7/9.

6. مزمور 4-3/53.

7. سفر أرميا 27/5.

وكان "السندرين" أول شكل من أشكال العمل السري الإسرائيلي، في أواخر القرن الأول الميلادي. على أنّ الكثير من محققي التاريخ اليهودي يرون أنّ استعمال هذه الكلمة اليونانية بين اليهود يرجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد.

وهو المجمع الديني الأعلى عند اليهود، بل يصح أن تكون لفظة حكما صهيون والسندرين المترادفتين في مدلول واحد. وكان يتألف من نحو سبعين عضواً من الكهنة والكتبة- وحسب التقليد اليهودي، إنّ أول سنهدرين كان في عهد موسى عليه السلام، وهم السبعون رجلاً الذين دعاهم موسى عليه السلام ليعملوا معه لتسكين بني إسرائيل لما قاموا يتذمرون ويطلبون العودة إلى مصر.¹

والسنهدرين اليوم هو نفسه لم يتغيّر منه شيء.. فهو معتقد الرابطة اليهودية في العالم أجمع، والرابط الخفي الذي يسيطر على البروتوكولات. ومعناه اليوم الهيئة اليهودية السرية العليا، ولا يعلم أين مكانها، ولا من هم رجالها..²

4. الاختلاف والنزاع فيما بينهم.

إنّ الله سبحانه وتعالى أدلّ يهوداً إذلالاً شديداً ومزقهم في الأرض شيعاً، بسبب كثرة معاصيهم وجرائمهم. قال تعالى:

﴿وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَا لَهُمُ

بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾³

قال صاحب المنار: بيّن تعالى كيف كان بدء إذلال اليهود بإزالة وحدتهم، وتمزيق جامعهم، فقال: وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَبَلَّوْنَا لَهُمُ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ. بعد أن كانوا أمة متحدة مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ كالذين

1. التلمود ص 280.

2. المصدر السابق ص 273.

3. الأعراف 168.

نهبوا الذين اعتدوا في السبت عن ظلمهم، والذين كانوا يؤمنون بأنبياء الله تعالى فيهم من بعد موسى إلى عهد عيسى عليهم السلام، والذين آمنوا بمحمد خاتم النبيين، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ، ومنهم ناس دون وصف الصلاح لم يبلغوه، وهم درجات أو دركات، منهم الغلاة في الكفر والفسق، كالذين كانوا يقتلون النبيين بغير حق، ومنهم السماعون للكذب الأكلون للسخرة، إلى غير ذلك مما هو شأن الأمم الفاسدة في كل عصر، تفسد بالتدرج لا دفعة واحدة.¹

ليس هذا فقط وإنما كانوا أمماً متصارعة متقاتلة يسعون في الأرض فساداً. قال تعالى واصفاً حالهم: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَسِعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾²

ومع أنهم في حقيقة أمرهم عصابة إجرامية تمرقها الأهواء المتنافرة والبغضاء المستحكمة في نفوسهم ودمائهم، فإنهم يتظاهرون أمام غيرهم كتلة واحدة. وهم منذ أيام موسى ويشوع، شيع وأحزاب.³ قال تعالى: ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى

مُحَصَّنَاتٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾⁴

وفي زمن نبي الله سليمان حاول أن يقرب بينهم، فقسّم بلاده إلى اثني عشر قسماً إدارياً، وتعهد أن تكون حدودها متفقة مع حدود منازل الأسباط الاثني عشر، وكان يرجو من وراء هذا أن يضعف النزعة الانفصالية بينهم وأن يؤلف منهم شعباً واحداً، ولكنّه أفلس في هذا وأفلست بلاد اليهود معه.⁵

1. تفسير المنار 382/9.

2. المائدة 64.

3. جذور البلاء ص 106.

4. الحشر 14.

5. اليهودية ص 88.

وعند عودتهم من بابل إلى فلسطين، حدث انقسام حاد بينهم وبين اليهود المقيمين الذي جاء منهم فريق السامريين. وقد انقسم اليهود دينيًا، بعد ذلك إلى عدة فرق، يقول Hosner إن ما يعانيه المجتمع اليهودي من فرقة وتشعب عميق الجذور، يرجع أصله إلى عهد العودة من سجن بابل. ويقرر أنّ المجتمع اليهودي عقب العودة من هذا السجن كان مقسمًا إلى قسمين بينهما حاجز حاد. وكان أحدهما يكوّن الطبقة العليا والثاني الطبقة السفلى. وكان القسم الأول يصف نفسه بأنه القسم المقدس أو البذور المقدسة التي لم تختلط بدم أجنبي وعادت من بابل لتعيد بناء الهيكل، ومن هذا القسم يختار كبار القسس وكبار رجال الدين. أما القسم الثاني فيشمل أولئك الذين تبين أنّ دماءهم اختلطت بدماء أجنبية ويتحتم أن يقنع هؤلاء بالمهن الحقيرة في القرى، ولا ينافسون أفراد القسم الأول في امتيازاتهم ولا في القيادة التي هي حقّ من حقوقهم.¹

وبغضّ النظر عن التقسيم التقليدي لليهود إلى سفارديم (شرفيين) وأشكنازيم (غربيين)، فهم الآن طوائف كثيرة تختلف في عاداتها واعتقاداتها إلى درجة التناقض، وربما التكفير. فمن طوائف اليهود القديمة التي ما تزال موجودة الآن، نذكر: "القراءون" الربانيون، السامريون، الدونمة، الفلاشا، والكوتشين، ومن الطوائف الحديثة: الإصلاحيون، المحافظون، (الماصورتي في إنجلترا)، الارثوذكس الربانيون الأشكنازيم، الارثوذكس المحدثون، جماعة إعادة البناء، وجماعة ناطوراي - قارتا. ولقد استثنينا الحسيديين والقباليين الذين هم نسيج وحدهم في اليهودية.²

وتكثر الفرق في اليهودية كثرة بالغة، وتختلف في مبادئها وأسس حياتها ونظرتها إلى الكون وإلى ما وراء الكون. ومن هذه الفرق:

الفريسيون - الصدوقيون - القراءون - الكتبة - المتعصبون³ - المهستيون - المريميون - الجوهريون - الهيلينيون - العلاجيون - الهيروديون السياسيون.⁴

1. اليهودية ص 75/ 133 James Hosmer: The Jeuss P.

2. عبدة الأوثان ص 12.

3. اليهودية ص 237.

4. التلمود تاريخه وتعاليمه ص 37.

ويقسم اليهود من الناحية الدينية إلى قسمين:

القسم الأول يهود إثنويون: وهؤلاء فقدوا علاقتهم بالعقيدة اليهودية والموروث الديني، وهم يرون أنّ يهوديتهم تكمن في إثنيتهم أي في أسلوب حياتهم وموروثهم الثقافي، وأكثر من نصف يهود أمريكا والاتحاد السوفياتي (سابقاً) منهم.

القسم الثاني يهود عقائديون وهم عدة فرق:

1- اليهودية الأرثوذكسية: هي وارثة اليهودية الحاخامية أو التلمودية وهي الصيغة اليهودية الأساسية في الغرب. ويؤمنون بأنّ التوراة مرسلّة من الإله وبأنّ كل ما جاء فيها ملزم. ولذا يرون ضرورة أن يلتزم اليهودي تنفيذ الوصايا العشر والنواهي وضرورة إقامة الشعائر كافة.

2- اليهودية الإصلاحية: ظهرت في ألمانيا، وتعدّ ترجمة لفكر عصر الاستنارة، فتحكم العقل في كل شيء، وتحاول أن تفصل المكوّن الديني عن المكوّن العرقي أو القومي في العقيدة اليهودية.. وتهدف إلى تعميق الولاء اليهودي للوطن الذي يعيش فيه ولا تؤمن بأنّ الكتاب المقدس مرسل من الإله، وإنّما هو مجموعة من الأقوال الحكيمة والأساطير الشعبية التي ألهم الخالق بعض الأنبياء بها لكنه لم يوح إليهم بها ومن ثمّ فمن حق المخلوق أن يتصرّف بها بحسب ما يمليه العقل أو العصر عليه، ولذا فإنّهم لا يلتزمون بالوصايا والنواهي ولا يقيمون شعائر السبت إلّا على نحو جزئيّ من قبيل الحفاظ على الفلكلور.

3- اليهودية المحافظة: هي مجموعة من التيارات الفكرية تصدر عن الإيمان بأنّ العقيدة اليهودية تعبير عن روح الشعب اليهودي الثابتة، وبأنّ هذه العقيدة تطورت عبر التاريخ وأخذت أشكالاً مختلفة وبأنها قادرة على التكيف مع اللحظة التاريخية. فاليهودية ليست مجموعة عقائد ثابتة وإنّما هي تراث أخذ في التطور التاريخي الدائم.¹ ويمكن تصنيف أعضاء الجماعات اليهودية على أساس عرقي أو إثني إلى مجموعات كبرى أربع:

1. الحاج، هنادي، الأديان من أولها إلى خاتمها. اليهودية تاريخاً وعقيدة ص 74 بتصرف.

- السفارديم: وهم نسل أولئك اليهود الذين عاشوا في شبه جزيرة إيبيريا. وحينما طرد أعضاء الجماعة اليهودية منها اتجهوا إلى الدولة العثمانية واليونان وشمال إفريقيا. وقد لحق بهم قطاعات من يهود المارانوا المتخفين الذين أظهروا الكاثوليكية وأبطنوا اليهودية هرباً من محاكم التفتيش.

- يهود الشرق والعالم الإسلامي: يشار إليهم بأئهم سفارد أيضاً وهذه تسمية مغلوبة فحريتهم الدينية والثقافية والتاريخية مختلفة تماماً.

- الأشكناز: هم أساساً يهود شرق أوروبا (روسيا، بولندا) ويعود أصلهم إلى ألمانيا. والمسألة اليهودية كانت أساساً مسألة شرق أوروبا من الأشكناز وقد ظهرت جميع الحركات الفكرية اليهودية الحديثة في صفوفهم.

- الصهيونية التي بدأت كحركة أشكنازية، لكن يهود الشرق والعالم الإسلامي وبقياء السفارد اكتسحوها.¹

وكان التلمود دائماً كتاب الأرستقراطية الدينية الحاكمة، فهو مكتوب بأسلوب مركب وبلغة لا تعرفها الجماهير التي كانت لا تعرف العبرية ولا الآرامية ولهذا كانت حركات الاحتجاج الشعبي بين اليهود (الصوفية والمشيحانية) تأخذ شكل معاداة التلمود ومعاداة سلطته ومعاداة المؤسسة التي تدرسه وتهيمن باسمه. وأولى هذه الحركات هي الحركة القرائية التي لم تكن حركة شعبية بقدر ما كانت حركة عقلانية متأثرة بالفكر الإسلامي، ولكن الحركات الصوفية المشيحانية اليهودية كانت شعبية إلى حد كبير، وقد اتخذت موقفاً سلبياً من التلمود، فكان المتصوفون ينظرون إليه باعتباره المحارة التي يكمن داخلها المعنى الخفي للتوراة. كما أنّ الحركات المشيحانية، في القرنين السابع عشر والثامن عشر، رفضته تماماً.²

وأهم الفرق اليهودية التي عاصرت وضع التلمود هي:

1- الفريسيون: أو الريانيون

1. المصدر السابق ص 66-70 بتصرف.
2. التلمود ص 57.

وأصل الفعل في اللغة العبرية بمعنى فرز أو انعزل. فأتباع هذه الفرقة انعزلوا عن عامة الشعب واتخذوا معالم خاصة لسلوكهم. وكانوا يقولون بالمحافظة على الشريعة مع التقاليد اليهودية المتوارثة. وعندهم أنّ التوراة هي الدين والدنيا ولا انفصال بينهما. ويؤمنون بقدسيتها، ويضيفون إليها الروايات الشفوية والوصايا والشروح والتفسير التي كوّنت التلمود.¹

وهم شيعة (الهاخاميم) الفقهاء المفترين على الله، يزعمون أنّ الله كان يخاطبهم في كلّ مسألة بالصوت، ويزعمون أنّ الفقهاء كانوا إذا اختلفوا في مسألة من المسائل يوحي الله إليهم بصوت يسمعه جمهورهم يقول: الحقّ في هذه المسألة مع الفقيه فلان.² ويطلقون على أنفسهم لقب الأخوة أو الأحبار أو الرفاق.

وتعترف هذه الفرقة بجميع الأسفار والروايات الشفوية المنسوبة إلى موسى عليه السلام، وكذلك تعترف بأسفار التلمود بل إنّ فقهاءهم الذين يطلق عليهم (الربانيون) هم الذين وضعوا أسفار التلمود. وهذه الفرقة تؤمن بالبعث، وتعتقد أنّ الأموات الصالحين سينتشرون في الأرض ليشاركوا في ملك المسيح المنتظر.

وللهاخامات سلطة عليا عندهم، وأنهم معصومون، وأنّ أقوالهم صادرة عن الله ومخافتهم هي مخافة الله، ومن قولهم في ذلك: ويلتزم المؤمن بأن يعتبر أقوالهاخامات كالشريعة لأنّ أقوالهم هي قول الله الحيّ، فإذا قال الهاخام إنّ يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدّق قوله ولا تجادله. وتبعاً لذلك ليس هناك اجتهاد عند الفريسيين، وما الحاجة للاجتهاد إذا كان الهاخام مقدّساً ومعصوماً.³

تقول الموسوعة اليهودية Funk and wagnalls The Jewish encyclopedia

1906 تحت كلمة Pharisee:

"أصبحت الحياة اليهودية منذ ذلك الحين منظمّة حسب تعليمات الفريسيين، كما أعيد وضع كل تاريخ اليهود من وجهة نظر فريسيّة، وأعطى وجه جديد للتشريعات

1. جذور البلاء 70.

2. بذل المجهود في إبحار اليهود ص 195.

3. اليهودية ص 227-228.

السابقة (السندرين)، كما حلت سلسلة جديدة من التقاليد محل التقاليد القديمة، وقد كَيْفَت الفريسيّة طبيعة اليهود وكذلك حياة وتفكير اليهودي للمستقبل كله".¹ وانحرفوا عن سنن أسلافهم واستهوتهم الحياة الدنيا ببريقها. وأقبلوا على الشهوات سرّاً، فكانوا في عملهم يراءون الناس استدرجاً ليقعواهم في مخالبتهم ويبترّون أموالهم، فكان ظهورهم بمظهر الزهد فخاً نصبوه لصيد الدرهم والدينار.² وكانوا على استعداد للتصالح مع الدولة الحاكمة أو القوة العظمى في المنطقة، وعدم الاكتراث بنوعيتها ما دامت لا تتدخل في حياة اليهود الدينيّة. وقام الفريسيّون بنشاط تبشيري خارج فلسطين.³

2- الصدوقيّون:

يرى بعض الباحثين أنّ هذه التسمية نسبة إلى صادق الكاهن الأعظم في عهد سليمان، أو إلى كاهن آخر بهذا الاسم وجد في القرن الثالث قبل الميلاد.⁴ وهم طبقة من أشرف اليهود، كانوا يمثلون الغنى والسلطة والدين. أنكروا تعاليم التلمود، صادقوا المسيح عليه السّلام أكثر من غيرهم، لأنهم آمنوا بنظريّته (إعطاء ما لقيصر لقيصر وما لله لله).⁵ وقد حاول عليه السّلام ردّهم إلى الاعتقاد السليم ولكنهم لم يستجيبوا له وقاوموا دعوته أكثر مما قاومها غيرهم، ولا يعترفون إلا بكتاب الأسفار، ويرفضون الأحاديث الشفوية لموسى عليه السّلام، ومن باب أولى شروح الرابانيين. بل إنهم لا يرون للتوراة قدسيّة مطلقة. وهم لا يؤمنون بالبعث يوم القيامة، ويعتقدون أنّ عقاب العصاة وإثابة المحسنين إنما يحصلان في الدنيا.⁶ وعارض الصدوقيّون كما الفريسيّون التمرّد ضد الرومان. ووقفت بعض المدن ذات الأغلبية اليهوديّة الواضحة موقف التأييد من الرومان ضدّ ثورات اليهود. وكانت جهود

1. التوراة تاريخها وغاياتها ص 16.

2. اليهودية ص 229 نقلًا عن سليمان مظهر قصة العقائد ص 269.

3. النشاط السري اليهودي ص 18.

4. اليهودية ص 230.

5. جذور البلاء ص 71.

6. اليهودية ص 230.

الرومان موجّهة لإخماد التمرد وحسب، وليس للقضاء على اليهوديّة كدين أو على اليهود.¹

3- القرّائون:

أصحاب عنان (أحد كهنتهم)، وهم فئة قليلة لم يعترفوا بغير التوراة ولم يكن لهم روايات شفوية ولا يؤمنون بالتلمود.²

عرفوا بالقرّائين، نسبة إلى كلمة (مقرأ) بمعنى الكتاب أو المكتوب. وهي الكلمة التي كانت تطلق عند اليهود على أسفار العهد القديم. انفصلوا بأنفسهم عن الفقهاء وعن كل من يقول بمقالتهم فكذبوهم في كل ما افتروا به على الله، وقالوا: بعد أن ثبت كذبهم على الله، وأنهم قد ادّعوا النبوة، وزعموا أنّ الله كان يوحى إليهم جميعهم في كل يوم مرات، -قالوا عنهم- قد فسقوا، ولا يجوز قبول شيء منهم. فخالقوهم في سائر ما ألقوه من الأمور التي لم ينطق بها نصّ التوراة، وأكلوا اللحم باللبن، ولم يحرموا سوى لحم الجدي بلبن أمّه فقط، مراعاة للنصّ في التوراة: "لا يُنضح الجدي بلبن أمّه".³

وأما التّرهات التي ألفها الحاخاميم وهي المسائل الفقهية التي رتبها الفقهاء، ونسبوها إلى الله عن موسى عليه السّلام، فإنّ القرّائين طرحوها مع غيرها وألقوها، وصاروا لا يحرمون شيئاً من الذبائح التي يتولون ذباحتها البتّة. وقد ألغى عنان جميع التشريعات التي قررها الريانيون مستندين في تقريرها إلى أسفار التلمود، وأدخل على كثير من تشريعاتهم تعديلات استمدّها من اجتهاده الخاص وفهمه لنصوص كتابهم. ولهم أيضاً فقهاء أصحاب تصانيف، إلا أنهم لم يبالغوا في الكذب على الله إلى حدّ أن يدّعوا النبوة، ولا نسبوا أشياء من تفاسيرهم إلى النبوة ولا إلى الله، بل إلى اجتهادهم.⁴

1. النشاط السري اليهودي ص 18.

2. جذور البلاء ص 71.

3. بذل المجهود في إفحام اليهود ص 195.

4. المصدر السابق ص 196.

4- الكتبة:

كان منهم المعلمون الذين يتولون نسخ التوراة وتعليمها كمدرسين ووعاظ. وعن طريق صلتهم بكتابة الشريعة عرفوا بعض المعلومات من الكتب التي نسحوها. فاتخذوا الوعظ وظيفه أخرى لهم بجوار كتابة الشريعة. وكان الوعظ وكتابة الشريعة وسيلتين اصطنعهما الكتبة لتصيّد أموال الناس وبخاصة عندما عمّ الفساد وانحرف الفريسيون. (نقلاً عن Margolios and Marx: A History of the Jewish people p.258). وكانوا يسمّون أحياناً بالحكماء وأحياناً بالسادة (الرابي). وقد برز الكتبة كحمله للواء الشريعة عندما جذب النفوذ السياسي غيرهم من رجال الدين إلى مجاله. فأصبح رجال الدين حلفاء للحكام الأجانب من فرس وإغريق ورومان وأخلوا المجال الديني للكتبة فاحتلوه. وجاءت خطوة ثانية رفعت من شأنهم وأعلت من قدرهم وهي أنّ كلّ واحد منهم عني بإنشاء مدرسة أصبح هو راعياً لها ومعلماً لها وكان له مريدون يسمعون تعليماته وبذيعونها... وحصلوا على ثراء كبير من مريديهم ومن وسائل أخرى.¹ (نقلاً عن: Guignebert: The Jewish word in the time of Jesus p.67-68).

5- المتعصبون:

فرقة تتفق مع الفريسيين في أكثر عقائدهم، وامتازت عنهم بالعدوانية وعدم التسامح، وكان الموت عندهم أسهل من طاعة غير اليهود، ومن ثمّ أعلنوا احتقارهم لجماعة الفريسيين الذين قبلوا الأمر الواقع وخضعوا للرومان، وكانت الحركات الثورية التي قام بها المتعصبون في مطلع القرن الميلادي الأول، سبباً في الحدّة بين اليهود والرومان. ودبّروا عدّة ثورات جمعوا لها الجموع. ولما أحسّ الرومان بذلك قضوا على السلطة المحليّة التي كانوا منحوها لليهود. وبدأ المتعصبون منهم بحركات اغتيال وفوضى ضد الرومان وضد اليهود الذين كانوا يتعاونون مع الحكم الروماني. وبلغ من حماسهم أنهم كانوا يرتكبون جرائمهم علناً في الطرقات، ويغتالون دون تردد كل من

1. اليهودية ص 232 .

يرون أنّ القضاء عليه سيحقق لهم هدفهم، وبهذا أطلق عليهم لقب السفاكين. كما لجؤوا إلى النهب واللصوصية والفتك. ومن أجل هذا يعد الباحثون هذا الفريق ضمن الفرق السياسية أو فرق العصابات، مع أنهم بدأوا حركتهم في إطار ديني ولهدف ديني.¹ (نقلًا عن The Jewish World in the Time of Jesus pp.169- 170)

6- الأسينيون:

فرقة غريبة الأطوار ذات صبغة اشتراكية. ويقال أنّ يوحنا المعمدان كان منها. أقاموا قرب البحر الميت بانقطاع وتبطل وتكشف. ولم يزد عددهم عن أربعة آلاف ليس بينهم نساء. وقد انطفأ ذكرهم في القرن الثالث للمسيح، حتى اكتشف بعض الرعاة الأردنيين كنوزهم المهمة قرب البحر الميت سنة 1947. فعثر على رقوق تحتوي على أقسام من التوراة والإنجيل.²

7- السامريون:

فرقة لها تورا خاصة بهم ليس فيها سوى أسفار موسى عليه السلام الخمسة، لأنهم ينكرون ما عداها بل يبطلون كلّ نبوة بعد موسى ويوشع، إلا أنّ بعضهم يضيف إلى التوراة سفري يوشع والقضاة.³

تعيش بقيتهم في مدينة نابلس حتى اليوم. يقولون بأنّ توراتهم هي الصحيحة دون غيرها. وقد انقطعت صلاتهم بفرق اليهود الأخرى منذ العودة من السبي ورفضهم المشاركة في إعادة بناء الهيكل. وهم يصعدون في كل سنة ثلاث مرات إلى جبل جرزيم في نابلس للعبادة وترقب مجيء المسيح.⁴

1. المصدر السابق 234.

2. جذور البلاء 71.

3. بذل المجهود في إفحام اليهود ص 197.

4. جذور البلاء 71.

تطوّرت كلّ جماعة يهوديّة على حدة بمعزل عن الأخرى، على المستويين الديني والقومي. وقد ظلت هذه الفسيفساء قائمة إلى أن انحلت الإمبراطوريّة الرومانيّة وانتشرت المسيحيّة في الغرب وانتشر الإسلام في الشرق، فظهرت فسيفساء أخرى احتفظت بعناصر من الفسيفساء القديمة، كما دخلت عليها عناصر جديدة. مع ظهور العلمانية دخلت اليهوديّة في الغرب مرحلة الأزمة، فظهر فكر حركة التنوير، ثم ظهرت اليهوديّة الاصلاحية، ومن بعدها اليهوديّة المحافظة، واليهوديّة التجديديّة، ولا تعترف اليهوديّة الأرثوذكسيّة بأتباع هذه الفرق أو باخاماتها.¹ وكثير من هذه الفرق قد تكفر بعضها البعض وقد تجد أنّ الأقسام من الحدة بحيث تقاطع الواحدة منها الأخرى. -وهناك فرق أخرى كثيرة صغيرة ومتفرقة.

5. الفسق والفجور:

ما اكتسب العهر والفجور والفسق والدعارة فداسة كما اكتسبت في تورا اليهود. ونظمت التورا عهارة لم يسبق لدين من الأديان أن أباحها أو عالجاها بالشكل الذي عولجت به في دينهم. وتعدّ التورا بحقّ الكتاب الأوّل في التاريخ كله الذي قدّم للإنسانية الدروس الأولى في الانحلال الخلقى والإباحية.² فحشروا في كتابهم المقدس أسس الرذيلة والانحلال الخلقى للإنسانية.³ وعاش اليهود طوال حياتهم بؤرة فساد ومنكر وفحشاء، ينشرون الرذيلة في العالم ويحاربون الفضيلة في كل مكان، تنفيذاً لما ورد في توراتهم وتلمودهم من دعوة سافرة إلى الفسق والفجور والدعارة. قال تعالى واصفاً حالهم:

1. النشاط السري اليهودي ص 18.

2. جذور البلاء ص 38.

3. التلمود ص 352.

﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾¹

وما أكثر قصص الزانيات والزواني من بني إسرائيل. ومما كان يشجع على ذلك، أنه لم يرتب على رجل راود جارية بكرًا لم تخطب فغشيتها، حدّ أو عقاب ما. وكل ما هناك أنه ألزم أن يمهرها ويتزوجها، وإن أبى أبوها أن يزوجه لها، فعليه أن يؤدي إليه من الفضة مثل مهر الأبقار². وهذا يعني أنّ هذا الفعل بهذه الصفة لا يعدّ زنا. وفي الإصحاح الثامن عشر من سفر الأحبار ما يفيد أنّ الزنا المنهي عنه، هو الزنا بامرأة متزوجة. ونحن نجلّ الله عزّ وجلّ عن أن لا يكون حرّم عليهم الزنا بالأبقار غير المخطوبات بدون عقد سابق، ولم يرتب عليهم حدًّا، ونرى أنّ هذا ممّا حرّف نتيجة لواقعهم حينما دونت الأسفار، كما نراه من أسباب ارتكاس بنات اليهود الأبقار في الزنا وعدم مبالاة آبائهم بذلك³.

حتى كبار أنبيائهم لم يفلتوا من هذا المستنقع اليهودي الدنس. بل أوغلوا بهم في الخطيئة أكثر من غيرهم، لتكون القدوة شاخصة، والهدف مباشرًا، والتهافت أسرع!! ومن العجيب أنّه كلما جلتّ وعظمت منزلة النبي فيهم كان نصيبه من نسبة الفواحش إليه أكثر وأضخم، حتى لا تتماسك نفس ما على خلق كريم، وكيف تفعل؟! وأمامها دليلها الناهض من "عريدة الأنبياء"، و"مجانة الأولياء" على ما زعم أحبار السوء قائلهم الله!!⁴ ولزنا المحارم شأن خاصّ فهم لا يتورعون. لتبريره. أن ينسبوه لأنبياء الله، فهذا نبيّ الله لوط عليه السّلام تزني ابنتاه به بعد أن أسكرتاه:

"وصعد لوط من صوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه. لأنّه خاف أن يسكن في صوغر. فسكن في المغارة وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في

1. المائدة 78 - 79.

2. سفر الخروج ص22.

3. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص 73.

4. معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص 152.

الأرض رجل ليدخل علينا كعادة أهل الأرض. هلمّ نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فحبي من أبنينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة. ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أنّ البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي. فهلم نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه فحبي من أبنينا نسلاً. فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً. وقامت الصغيرة واضطجعت معه. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابناً ودعت اسمه مؤاب. وهو أبو المؤابيين إلى اليوم. والصغيرة أيضاً ولدت ابناً ودعت اسمه بن عمي. وهو أبو بني عمون إلى اليوم".¹

ونبيهم يعقوب الذي يعتبرونه رمزهم، يُزنى بابنته دينة:

وخرجت دينة ابنة لئئة التي ولدتها ليعقوب... فأراها شكيم رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها..²

وابنه يزني بامرأته:

وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أن ذهب رأوبين واضطجع مع بلهة سرية أبيه.³

"ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم بما يصيكم في آخر الأيام. اجتمعوا واسمعوا يا بني يعقوب. واصغوا إلى إسرائيل أبيكم. رأوبين أنت بكري قوتي وأول قدرتي فضل الرفعة وفضل العزّ. فائراً كالماء لا تتفضل. لأنك صعدت على مضجع أبيك حينئذ دنسته على فراشي.⁴

وابنه الثاني يهوذا تحتال عليه كئنه تamar ليزني بها ويفعل ذلك:

"ولما طال الزمان وماتت ابنة يشوع امرأة يهوذا، فأخبرت تamar، وقيل لها هو ذا حموك صاعد إلى تمنا ليجزّ غنمه. فخلعت عنها ثياب ترملها وتغطت ببرقع وتلففت،

1. سفر التكوين 30\19-38.

2. المصدر السابق ص 3134.

3 المصدر السابق ص 22\35.

4. المصدر السابق ص 1\49-4.

وجلست في مدخل عينايم التي على طريق تمّنة... فنظرها يهوذا وحسبها زانية...
فمال إليها على الطريق، وقال هاتي أدخل عليك. لأنه لم يعلم أنها كنته. فقالت ماذا
تعطينا لكي تدخل علي. فقال إني أرسل جدي معزى من الغنم. فقالت هل تعطيني
رهنًا حتى ترسله...". وأعطاهما خاتمه ومنديله وعصاه. ثم زنى بها واختفت عن
الأنظار.¹

أما النبي الصالح داود عليه السلام، فقد خصّوه وأهل بيته جميعًا بأوجع نصيب
من التهم، وجعلوا منهم أسرة تعيث في الخطايا والدنس بكل ألوانه الحالكة!!²
فهم يرمونه ابتداء بالزنى مع امرأة أحد جنوده المجاهدين في سبيل الله، حتى
حملت منه سفاحًا:

قام داود عن سريره وتمشى على سطح البيت فرأى من على السطح امرأة تستحم،
وكانت المرأة جميلة المنظر جدا. فأرسل وسأل عن المرأة. فقال واحد: أليست هذه
بشثبع بنت اليعام امرأة أوريا الحتي؟ فأرسل داود رسلاً وأخذها، فدخلت إليه فاضطجع
معها وهي مطهّرة من طمئنها، ثم رجعت إلى بيتها. وحبلت المرأة، فأخبرت داود بذلك
فدعا داود زوجها أوريا الحتي فأكل أمامه وشرب وأسكره. وفي الصباح كتب داود
مكتوبًا إلى يوّاب وأرسله بيد أوريا. وكتب في المكتوب يقول: اجعلوا أوريا في وجه
الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه: فيضرب ويموت. ومات أوريا... فأرسل داود وضم
امرأة أوريا إلى بيته، وصارت له امرأة وولدت له ابنا.³

ويعاقبه الربّ عقوبة عجيبة غريبة أكثر عهراً ومجوناً، فينتقم منه سبحانه وتعالى
بأن يجعل نساءه زوان، فيسلط عليه ابنه أبشالوم ويزني بسراريه أمام جميع بني
إسرائيل:

هكذا قال الرب لأنك خدعتني وأخذت امرأة أوريا الحتي: ها أنذا أقيم عليك الشرّ
في بيتك، وأخذ نسائك أمام عينيك وأعطيهنّ لقربيك، ويضطجع مع نسائك في عين

1. سفر التكوين ص 18\38-21.
2. معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص 152.
3. صموئيل الثاني ص 1:11 .

هذه الشمس أقيم عليك الشرّ من بيتك وآخذ نساءك أمام عينيك لقريبك، لأنك أنت فعلت بالسرّ وأنا أفعل هذا الأمر قدّام جميع إسرائيل وقدّام الشمس".¹

وقال أبشالوم لأخيتوفل: أعطوا مشورة ماذا نفعل. فقال أخيتوفل لأبشالوم أدخل إلى سراري أبيك اللواتي تركهنّ لحفظ البيت، فيسمع كلّ إسرائيل أنك قد صرت مكروهاً من أبيك فتنشدّد أيدي جميع الذين معك. فنصبوا لأبشالوم الخيمة على السطح ودخل أبشالوم إلى سراري أبيه أمام جميع إسرائيل. وكانت مشورة أخيتوفل التي كان يشير بها في تلك الأيام كمن يسأل بكلام الله.²

وابنه أمنون لا يتورّع عن الزنا بأخته واسمها تامار:

وكان لأبشالوم امرأة جميلة اسمها تامار. فاحبّها أمنون، ومرض لعدم تمكنه منها لأنها عذراء. فنصح أحد زملائه أن يتظاهر بالمرض ويضطجع على سريره ويطلب من أبيه أن يرسل أخته تامار لتعتني به ويأكل من يدها. فأرسل داود إليه فأمر أمنون أن يخرج الجميع من غرفته إلا تامار. ثم قال لها: انتي بالطعام إلى المخدع فأكل من يدك. فأحضرت الكعكة أمامه وأطعمته بيدها في المخدع. فأمسكها وقال لها: تعالي اضطجعي معي يا أختي. فقالت له: لا يا أخي لا تذلني أين أذهب بعاري. فلم يشأ أن يسمع لصوتها بل تمكن منها وقهرها واضطجع معها. فخرجت صارخة فقال لها أبشالوم: فالآن يا أختي أسكتي، أخوك هو.³

وعندما شاخ وبلغ من الكبر عتياً، مرض مرضاً شديداً، فوصفوا له وصفة عجيبة داعرة ماجنة، أن يتدثر بالعداري. "وشاخ الملك داود. تقدم في الأيام. وكانوا يدثرونه بالثياب فلم يذفأ. فقال له عبيده ليفتشوا لسيدنا الملك على فتاة عذراء فلتقف أمام الملك ولتكن له حاضنة، ولتضطجع في حضنه فيذفأ سيدنا الملك. ففتشوا على فتاة جميلة

1. المصدر السابق ص 12\13.

2. المصدر السابق ص 16\20-23.

3. صموئيل الثاني ص 2، 13:1.

في جميع تخوم إسرائيل فوجدوا أبيضج الشونمية فجاجوا بها إلى الملك. وكانت الفتاة جميلة جدًا فكانت حاضنة الملك وكانت تخدمه ولكن الملك لم يعرفها...¹.

ونبيّ الله سليمان لم ينج من افتراءاتهم فنسبوا إليه الخطايا والزنا والفجور، فهو بداية ابن المرأة التي زنى بها أبوه داود. "وأحب الملك سليمان نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون، موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات وحثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لا تدخلون إليهم، وهم لا يدخلون إليكم، لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم. فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة. وكانت له سبع مئة من النساء والسيدات، وثلاث مئة من السراري، فأملت نساؤه قلبه وراء آلهة أخرى"².

وعلى رأس هذه النقائص جميعًا، فإنهم يصورونه صاحب "تشيد الإنشاد" ذلك الغزل الداعر، ويتعبدون بتلاوته كأنه وحي مقدس، وما هو إلا وحي شيطاني على لسان خليع ماجن من شعراء بني إسرائيل. وهو ثمانية إصحاحات ملأى بألفاظ الفسق والعهر والفجور وهذه بعض جملة ومفرداته:

"... ها أنت جميلة يا حبيبي، ها أنت جميلة عيناك حمامتان من تحت نقابك. شعرك كقطيع معز رابض على جبل جلعاد. أسنانك كقطيع الجرائر الصادرة من الغسل وليس فيهن عقيم. شفتاك كسلكة من القرمز. وفمك حلو. خدك كفلقة رمانة تحت نقابك. ثدياك كخشفتي ظبية توأمين يرعيان بين السوسن. كم محبتك أطيب من الخمر وكم رائحة أدهانك أطيب من كل الأطياب. شفتاك يا عروس تقطران شهدا. تحت لسانك عسل ولبن، ورائحة ثيابك كرائحة لبنان. قد دخلت جنتي يا أختي العروس. قطفت مرّي مع طيّبي. أكلت شهدي مع عسلي. شربت خمري مع لبني. كلوا أيها الأصحاب إشربوا واسكروا أيها الأحباء. أنا نائمة وقلبي مستيقظ... إفتحي لي يا حبيبي يا حمامتي يا كاملتي لأنّ رأسي امتلأ من الطلّ وقصص من ندى الليل. قد خلعت ثوبي فكيف ألبسه. قد غسلت رجلي فكيف أوسّخهما. حبيبي مدّ يده من الكوة فأنت عليه أحشائي. حبيبي

1. الملوك الأول ص 11-4.

2. الملوك الأول ص 11.

أبيض وأحمر، شفتاه سوسن تقطران مرًا مائعًا. يدها حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد. بطنه عاج أبيض مغلف بالياقوت الأزرق. ساقاه عامودا رخام مؤسستان على قاعدتين من إبريز. ما أجمل رجلك بالنعلين يا بنت الكريم. دوائر فخذيك مثل الحلى صنعة يدي صنّاع. سرتك كأس مدوّرة لا يعوزها شراب ممزوج، بطنك صبرة حنطة مسيحة بالسوسن. ثدياك كخشفتين توأمي ظبية. عنقك كبرج عاج. ما أجملك وما أحلاك أيتها الحبيبة باللذات. قامتك هذه شبيهة بالنخلة وثندياك بالعناقيد. قلت إنني أصعد إلى النخلة وأمسك بعذوقها. وتكون ثدياك كعناقيد الكرم ورائحة أنفك كالنجاح. وحنكك كأجود الخمر أنا لحبيبي والي اشتياقه... وأقودك وأدخل بك بيت أُمي وهي تعلمني فأسقيك من الخمر الممزوجة من سلاف رمّاني، بشماله تحت رأسي وبيمينه تعانقني...

و سفر حزقيال 22:23-30 مليء بكلام بشع يخجل الإنسان من نقله.

وعاصمتهم أورشليم يصوّرها إلههم وكرًا للفسق والدعارة والعهر والفجور.

"فاتكلت على جمالك وزنيت على اسمك وسكبت زناك على كل عابر... وأخذت

أمّعة زينتك من ذهبي ومن فضّتي التي أعطيتك وصنعت لنفسك صور ذكور وزنيت

بها... وفي كل رجاساتك وزناك لم تذكرني أيام صباك...".¹

أول ما كلم الرب هوشع قائلاً: اذهب خذ لنفسك امرأة زانية وأولاد زنى لأن الأرض

قد زنت زنى.²

وسفر استير كتاب بعيد كل البعد عن الدين، إذ هو درس وضع عن كيفية دفع

سلطة الغوييم إلى تحطيم شعبها، ثم وضعه تحت سلطة اليهود الماحقة والباطشة.³

أمّا احتفالهم العرييد والمنتك بعيد الفوريم، إنّما هو احتفالهم بذكري قتل 7500

شخصًا من الفرس حاولوا مقاومة ابتزاز أموالهم وانتهاك أعراضهم.⁴

أما التلمود فتجد فيه العجب العجيب يشرّع لهم الاغتصاب والزنا، ومما ورد فيه:

1. سفر حزقيال ص 15\16-23.

2. سفر هوشع 1:2.

3. التوراة تاريخها وغاياتها ص 44.

4. المصدر السابق ص 44.

يولد الآن من بني آدم كل يوم جملة من الشياطين (يقول صاحب الكنز) ولكن لا نقص عليك تفصيل ذلك محافظة على الآداب.¹

وهذا أحد حاخاماتهم يصول ويجول في الفسق والفجور، وجاء في التلمود عن الرابي أليعازر: أنه فتك بكل نساء الدنيا، وأنه سمع مرة أنّ واحدة تطلب صندوقًا ملاءًا من الذهب حتى تسلم نفسها لمن يعطيها إياه، فحمل الصندوق، وعدّى سبع شلالات حتى وصل إليها²، (ولنضرب صفحًا عن باقي القصة لأنها مخلة بالآداب).

ولا تقف الرذيلة اليهودية عند حد معين بل نجدهم يفوقون كلّ تصور شيطاني، فهم أساتذة لإبليس وأعوانه، وهم مفخرة لإبليس ومن معه، فنجدهم يطلبون من نسائهم ممارسة هذا الفعل فيما بينهم أو مع الحيوانات....

الشذوذ الشهواني بين النساء والنساء، أو بينهن وبين الحيوانات، تلك في نظرهم غاية في اللذة، فحقهم ممارسة ما يشبعهن جنسيًا طالما لم يوجد رجل يقوم لهنّ بهذا الإشباع، فإن وجدن رجلًا فهو حقّ لهنّ جميعًا.³

ولا يفرق اليهود في العلاقات الجسديّة بين الزوجة والخليعة، أو بين المرأة والخدن، ولذلك نجدهم يمارسون الجنس مع كل شيء!

ومما جاء في التلمود أنّه من رأى أنه يجامع والدته فسيؤتى الحكمة، بدليل ما جاء في كتاب الأمثال: إنّ الحكمة تعني الوالدة.⁴ هذا في المنام أمّا في اليقظة فالأمر أدهى وأمرّ:

يصرّح اليهود - عليهم لعنات الله - بممارسة الأبناء اليتامى الجنس مع أمهاتهم ما داموا شابات، وما دام الأبناء في سن تشتعل فيهم الغريزة الجنسيّة، ويسمح لهم سنّهم بالقيام بالمعاشرة الجنسية على أن يكون ابنها، وحتى يصل لسنّ الزواج القانونيين، فإذا

1. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 55.

2. جذور البلاء ص 82.

3. التلمود ص 312.

4. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 90 - جذور البلاء ص 82.

بلغه كان عليه أن يتزوج، وأن يعاشر زوجته وأمّه معاً إلى أن تتزوَّج الأم هي الأخرى.
يقول التلمود:

"الذي توفي أبوه عن أمّه الشابّة التي لا ترغب في الارتقاء في أحضان رجال غرباء، ويتم الاتصال الجنسي برغبة متبادلة بينها وبين ابنها دون استعمال القوة والعنف، فالأمر لا يخصّنا في شيء إلا أن يبلغ الابن سن الزواج". "وإذا أراد الابن أن يتزوج واعترضته أمه، فعليه أن يقوم بإشباع شهوة كل من زوجته وأمّه إلى أن تتزوج هذه الأخيرة".¹

وقفت امرأة بين يدي الحاخام هيسدا تعترف له بأنّ أبسط خطاياها ارتكابها الفاحشة مع ابنها الأكبر فكان من ثمرتها ابنها الأصغر. ولما كانت هذه أبسط خطاياها، فقد عفا عنها الحاخام.²

ومن يرى أنّه جامع خطيبته فهو محافظ على الشريعة، ومن يرى أنّه جامع أخته فمن نصيبه نور العقل. ومن يرى أنّه جامع امرأة قريبه فله الحياة الأبدية.³
وإذا عاشر الولد أخته معاشرّة جنسيّة برغبة متبادلة فلا شيء عليه، ينصّ التلمود فالذي ينام مع أخته، ثم يستغرقان في لذات جنسيّة دون أن تشكوه أخته فلا قبح في فعلها هذا.⁴

وإذا كان موسى عليه السّلام يقول في الوصايا العشر: "لا تزن ولا تشته امرأة قريبك" فإنّ حاخامات اليهود يفسّرون القريب باليهودي وحده، وبناء على ذلك فإنّ الزنا ليس جريمة ولا ذنباً يحاسب عليه مرتكبه، فيقرّر ما يأتي: لا ذنب على اليهودي حين يزني بغير اليهودية. ويعتقد اليهود أنّ اغتصاب نساء الأميين مباح لهم، ولا يخطيء إذا تعدّى على عرض الأجنبية، لأنّ كلّ عقد نكاح عند الأجانب فاسد لأنّ المرأة التي لم تكن من بني إسرائيل هي كالبهيمة ولا عقد مع البهائم وما شاكلها ومن هنا قال

1. التلمود ص 310.

2. اليهود ص 173.

3. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 90 – جذور البلاء ص 82.

4. التلمود ص 309.

موسى بن ميمون: "إنّ لليهود الحقّ في اغتصاب النساء غير المؤمنات، أي غير اليهوديات".¹

واليهودي لا يخطيء إذا اعتدى على عرض أجنبية (أي غير اليهودية) لأنّ كلّ عقد نكاح عند الأجانب فاسد، لأنّ المرأة غير اليهوديّة تعتبر بهيمة.² الزنا بغير اليهود سواء كانوا ذكورا أم إناثا مباح ولا عقاب عليه.

ومصرّح لليهودي أن يسلم نفسه للشهوات والرذائل. وكل النساء غير اليهوديات مومسات... عندما تسيطر الشهوة الشيطانية على حواس المرء. فليتوجه إلى بقعة من الأرض لا يعرفه فيها أحد. متشحا بالسواد. ثم له أن يفعل ما يحلو له ويشتهي.³

قال موسى عليه السّلام: لا تضاجعوا زوجات جيرانكم، ومن يزن يستحق الموت. إنّ الزنى الذي يعنيه موسى عليه السّلام هنا هو الذي يتم بين يهودي ويهوديّة. أمّا مضاجعة يهودي لغير يهودية، فليس هو المعنيّ قطعاً.⁴

ومباح له تعاطي اللواط مع الزوجة، والزواج بالنسبة له للاستمتاع بالمرأة كقطعة لحمة اشتراها من الجزار، يمكنه أكلها مسلوقة أو مشويّة على حسب رغبته، ويضربون لذلك مثلا أنّ امرأة حضرت إلى حاخام وشكت له أنّ زوجها يأتيها على خلاف العادة، فأجاب: لا يمكنني أن أمنعه عن هذه المسألة يا ابنتي، لأنّ الشرع قدّمك قوتاً لزوجك.⁵

وذكر في كتاب سنهدين أنه مصرح لليهودي أن يفعل ذلك (اللواط) بزوجته وليس بمصرّح للأجنبي أن يفعله إلا بامرأة اجنبية عنهم.⁶

1. المصدر السابق ص 137 و الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 89.

2. التلمود ص 379.

3. اليهود ص 168.

4. المصدر السابق ص 169.

5. التلمود ص 156.

5. المصدر السابق ص 3.

6. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 91 و جنور البلاء ص 82 و التلمود ص 156.

ويجعلون من بيوتهم مواخير يمارسون فيها الفواحش أمام نساءهم اللواتي لا يحقّ لهنّ حتى مجرد الاعتراض على ذلك، يقول التلمود: ليس للمرأة اليهوديّة أن تشكو إذا زنى زوجها في المسكن الذي يقيمان فيه.¹

ويعطونها الحق في الزنا، يقول التلمود: "لا يأتيّن أماننا رجل شاكياً زوجته الحسنة والمهجورة من قبله والتي ترفه عن نفسها بتصيّد أي رجل يصادفها، بعد أن رأت من زوجها الهجران، والذي يقبل على نساء أخريات ويعشقهن، أو على غلمان صغار فحسب، بل على حبّ المعيز والحمير والجمال والكلاب، أو على حبّ حيوانات أخرى تشتهيها نفسه لكنّ العزّاب أحرار، فيستطيعون القيام بأيّ فعل كان".²

وللأرملة أن تبحث عن أيّ وسيلة تؤدي إلى إشباع شهوتها الجنسية، ولا حرج عليها في أن تقدم امرأة مع إبداء الأسباب على اتصال جنسيّ مع حيوان كالكلب أو غيره.

ومن تضاجع حيواناً، -كلب مثلاً- يحل لها أن تتزوج قسيساً.³

يقول التلمود: ليست هناك امرأة لا تشتهي مثل هذه الأفعال، لذلك يسمح حتى لرئيس الحاخامية أن يتزوج امرأة ترغب في الزواج بعد أن هوت في مثل هذه الملمات.⁴

ومع الصغار: لا أهمية تذكر إذا ضاجع رجل بالغ فتاة صغيرة. فإن كانت لم تبلغ الثلاث سنوات، فكأنما وضعت أصبعاً في عينها.. تنهمر الدموع سراعاً وتكراراً، ثم لا تلبث العذرية أن تعود إليها. وحينما يضاجع ولد صغير امرأة ناضجة، يشعرها كأنما هي طفلة صغيرة أصابتها قطعة من خشب.⁵

يحلّ لليهودي اغتصاب غير اليهودية، ولكن يحرم عليه الزواج منها، ويحل اغتصاب الطفلة غير اليهوديّة متى بلغت من العمر ثلاث سنوات، بما أنّ الطفلة غير

1. التلمود ص 318 والكنز المرصود في قواعد التلمود ص 90.

2. التلمود ص 311.

3. اليهود ص 173.

4. التلمود ص 310.

5. اليهود ص 172.

اليهودية التي تجاوزت الثلاث سنوات بيوم واحد من عمرها صالحة للاغتصاب والمضاجعة. فإنّ مغتصبها يظلّ دنسًا حتى المساء، وحينما يتطهر من دنسها يغمر جسده بالماء.¹

ونتيجة لهذا الفجور الذي يعيشونه يظنون أنّ باقي البشر مثلهم: فيخافون على بهائمهم من شبق الأمميين. يقول التلمود:

غير مسموح اقتراب حيوانات اليهود من الغوييم، لأنّه يشكّ في أنهم يضاجعونها، وغير مسموح للنساء معايشتها، لأنهنّ شبقات. لأنه حين يأتي الرجال غير اليهود إلى بيوت جيرانهم لاقتراف الزنا مع زوجاتهم، ولا يجد هؤلاء الرجال الزوجات في البيت، فإنهم يزنون بدلاً من النساء مع الخرفان في حظائرهما، وأحيانًا حينما تكون زوجات جيرانهم في البيت فإنهم يؤثرون اقتراف الزنا مع الحيوانات، لأنهم يحبون الخرفان الإسرائيلية أكثر من زوجاتهم، للسبب ذاته أن لا يعهد بالحيوانات إلى رعيان من الغوييم ولا الأطفال لمربيهم.²

وجزاء هذا الفسق الذي يعيشونه صبّ الله عليهم البلاء صبًّا، وهذه إحدى شهاداتهم:

يعرب حزقيال عن رأيه في بني قومه اليهود، حين يذكر الشعب اليهودي الحقيير وأوائله الهزيلة وما عقب استقراره في فلسطين، فيقول مخاطبًا: تلك الأمة العاقّة باسم يهوه: "وفي جميع أرجاسك وفواحشك لم تذكرني أيام صباك... وإذ كنت لم تشبعي، زنيت مع بني آشور ولم تشبعي... فلذلك أقضي عليك بما يقضى على الفاسقات وسافكات الدماء وأجعلك قتيل حنق وغيره".³

وشهادة أخرى:

1. اليهود ص169.
2. التلمود ص382.
3. المصدر السابق ص355.

عندما رجع إرمياہ النبي إلى أورشلیم (بعد السبي البابلي) تكلم مع نبوخذ نصر والکلدانيين قائلاً لهم: لا تظن أنك بقوتك وحدك استطعت أن تتغلب على شعب الرب المختار، إنها ذنوبهم الفاجرة التي ساقتهم إلى هذا العذاب.¹

ولأنّ إناثهم استبدلن الاستعمال الطبيعي بالذي على خلاف الطبيعة. وكذلك الذكور أيضاً تاركين استعمال الأنثى الطبيعي، اشتغلوا بشهوتهم بعضهم لبعض، فاعلين الفحشاء، ذكوراً بذكور، ونائلين في أنفسهم جزاء ضلالهم المحقّ.²

6. الجبين والخوف الدائم وحبّ الدنيا وحرصهم على حياة:

إنّ الخوف والحزن من الأعراض البشرية التي لا يسلم منها أحد في الدنيا. وإنّما يكون المؤمنون الصالحون أصبر الناس وأرضاهم بسند الله عزّ وجلّ اعتقاداً وعلماً بأنّه ابتلاهم بشيء مما يخيف أو يحزن، فإنما يرّيبهم بذلك لتكميل نفوسهم وتمحيصها بالجهاد في سبيله.³

ولكنّ اليهود أمر آخر فلم تنفع معهم تربية ولم تمحص نفوسهم بجهاد. فقد كانوا وما زالوا، يتظاهرون بالشجاعة والاقدام، والواقع عكس ذلك. فالجبين طبعهم الأصيل، حتى إنهم يظهرون دائماً على حقيقتهم، ويتكشفون عن حمار يلبس ثوب أسد، وهم جبناء بالفطرة، يهابون الموت لأنهم لا يؤمنون بالدار الآخرة. وحين يحاربون، يفضلون معارك الليل التي تحجبهم عن أعدائهم. ويفضلون الاحتباء بالجدر والمنازل والقلاع.⁴ قال تعالى واصفاً حالهم:

﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْيٍ مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾⁵

1. التلمود تاريخه وتعاليمه ص68.

2. بولس صح 18.

3. تفسير المنار 416/11.

4. جذور البلاء ص101.

5. الحشر 14.

وقال أيضاً: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ
لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا
يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾¹

فقد ظلّ شبّح الخوف والرعب يخيم على سماء اليهود منذ استذلهم فرعون، ففي
بداية الامر شعروا بالخوف والرعب فذلوا. وبعد أن فعل ما فعل بالسحرة، أوقع الرعب
في قلوبهم أكثر فأكثر، حتى وصل بهم الأمر أنه عندما غرق فرعون وجنوده أمامهم
-بالمعجزة الإلهية الباهرة- لم ترتفع معنوياتهم، مع العلم أنّ الله عزّ وجلّ أغرقهم وهم
ينظرون إليهم، ليكون أقرّ لأعينهم وأشقى لنفوسهم،² ورغم ذلك شكّوا في موته.
قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد: شك بعض بني إسرائيل في موت
فرعون حتى قال بعضهم إنّه لا يموت. فرفعه على مرتفع وعليه درعه التي يعرفونها
من ملابسه ليتحققوا بذلك هلاكه.³ قال تعالى:

﴿فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَئِن كُنَّا لَمِن خَلْقِكَ ءَايَةً وَإِن كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنَّا

ءَايَاتِنَا لَعَافُونَ ﴿٩٦﴾⁴

ومحلّ العبرة في رؤيتهم جسد فرعون هو أن يعتبر بنو إسرائيل الذين شكوا في
غرقه.⁵

وتأصلّ الجبن في بنائهم النفسي وتمكن الرعب منهم، ورغم كل ذلك كانوا يظنون
ويتفاخرون على غيرهم بأنّ لهم الجنة. وتحداهم القرآن أن يتمنّوا الموت إن كانوا
صادقين. قال تعالى:

1. البقرة 96.
2. البداية والنهاية ص 277/1.
3. البداية والنهاية 277/1.
4. يونس 92.
5. تفسير المنار 477/11.

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾¹

إنَّ الله سبحانه يريدنا أن نعرف أنَّ هؤلاء اليهود غيروا وبدلوا، لا عن جهل بل هم يعلمون بذلك. ويعرفون أنَّهم جاءوا بكلام ونسبوه إلى الله سبحانه وتعالى زورًا وبهتانًا. فالله سبحانه يطلب من رسوله أن يفضحهم أمام الناس، ويبين كذبهم بالدليل القاطع. ويقول: إن كانت الآخرة لهم وحدهم عند الله لا يشاركون فيها أحد. فكان الواجب عليهم أن يتمنوا الموت ليذهبوا إلى نعيم خالد... فما دامت لهم الدار الآخرة وما داموا موقنين من دخول الجنة وحدهم. فما الذي يجعلهم يبقون في الدنيا.. ألا يتمنون الموت كما تمنى المسلمون الشهادة ليدخلوا الجنة.²

وقال أيضا: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ

النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١﴾﴾³

ولكن الله حكم عليهم في القرآن حكماً عاماً فقال:

﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾﴾⁴

قال الإمام محمد عبده في تفسير هذه الآية:

إنَّ الكلام حجة على مدعي الإيمان، واستحقاق ما أعده الله لأهله في الآخرة، تقنعهم في أنفسهم بأنهم إما صادقون في دعواهم، وذلك إذا كانوا يتمنون في أنفسهم الموت والوصول إلى الدار الآخرة ويبذلون أرواحهم في سبيل الله بارتياح، إذا كان حفظ الحق يقتضي بذلها، وإما كاذبون فيها، وذلك إذا كانوا شديدي الحرص على هذه

1. الجمعة 7 - 8.

2. الشعراوي ج1 ص471.

3. البقرة 94.

4. البقرة 95.

الحياة. وليس المراد به الحجة الإلزامية أمام الناس. ولذلك كانت العبرة في الآية عامة فهي واردة في سياق الاحتجاج على اليهود.¹

وهذه قصة طالوت تدل على تراجعهم مرة أخرى أمام الأعداء في ساحات القتال مع أنهم هم الذين طلبوا ذلك من نبيهم، فلم يثبت منهم إلا القليل. ثم نصر الله طالوت وقتل داود جالوت، وكان داود عليه السلام آنذاك فتى في جيش طالوت:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ
أَبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ
الْقِتَالَ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ
دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِمَّهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا
قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ
سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ
وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلَكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ
نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ
رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آءَالُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ
إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ
بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَّمْ
يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا

1. تفسير المنار 389/1

مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَكُوا اللَّهَ كَرَمٍ مِّنْ فَعَةٍ قَلِيلَةً غَلَبَتْ فِعَّةُ كَثِيرَةٍ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾¹

وخرج "جالوت" ملك العماليق يتحدّى للمبارزة، فلم يخرج من جيش اليهود أحد خوفاً منه. وما تجرأً عليه إلا شابٌ صغير في السادسة عشرة من عمره. هو "داود" عليه السلام، فردّه "جالوت" لصغر سنه وتهاوناً به. وحاول "جالوت" أن يشجع اليهود لمبارزة "جالوت" ووعد أنّ من سيخرج لمنزلته سيروجه ابنته ويكون خليفته في الحكم من بعده. ورغم ذلك لم يخرج أحد. فلما لم يجد منهم فائدة سمح لـ "داود" أن يخرج لمبارزة "جالوت".

خرج "داود" وبيده مقلاع به حجر، فبادر به عدوه فقفزه بالمقلاع فشح رأسه فمات من فوره، وهكذا قتله، وهزم جيش "جالوت" واندحر بعد موته. فكان نصر الله لهم مؤزراً على يد نبيّ الله داود عليه السلام.²

﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ ۗ وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾³

وقد تأصل الجبن في بنائهم النفسي، واستحكم الضعف في كيانهم الأخلاقي، والأصل في هذا الطبع حبهم المفرط للدنيا ومتعها وكراهيتهم الشديدة للموت، وقد

1. البقرة 246-249.

2. فلسطين التاريخ المصور ص40.

3. البقرة 250-251.

سَجَلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عَلَيْهِمْ هَذَا الْمَأْخُذُ، وَأَبْرَزَ إِحْدَى الْقَوَاعِدِ الْأَسَاسِيَّةِ فِي تَرْكِيْبِهِمُ النَّفْسِي، وَالَّتِي غَلَبُوا فِيهَا الْمَشْرِكِينَ أَنْفُسَهُمْ، فَقَالَ تَعَالَى:

﴿وَلْتَجِدْنَهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحَّزَجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾¹

ذلك التكرير الذي يحوي الكثير من التهوين والتحقير، فاليهوديّ أحرص الناس جميعاً على حياته!

كذلك كانوا وكذلك هم في كلّ زمان ومكان، وهم أحرص عليها من المشرك الذي لا يؤمن بحياة وراء دنياه!

وأمنية اليهودي الكبرى أن يعمر في الأرض أطول مدّة ممكنة، لا أن يموت في شيخوخة الإنسان المعتادة، فضلاً عن أن يقتل في شرخ الشباب وزهرة الصبا!!

إنّ التعلق الشديد بالحياة وحبّ البقاء فيها يورث الجبن والذلّ، لأنّ الإنسان عندما تعشق حياته الدنيا، لا يستجريء على الدفاع عن كرامته وعزّته، فيفضّل الذلّ على الموت، والإهانة في سبيل البقاء. ولقد عرف اليهود بهذه الصفة على مرّ العصور، إنهم لم يعرفوا بالشجاعة في المعارك، والجرأة في الميادين عند مواجهة الخصوم، بل يستخفون بالحصون والقلاع، ولا يخرجون لساحات القتال، قال تعالى: ﴿لَا

يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾²

وحين سحبهم موسى عليه السّلام من مصر ورأوا المصريين من خلفهم، دبّ الرعب في نفوسهم، 'ففزعوا جدّاً

1. البقرة 96.

2. الحشر 14.

﴿ فَلَمَّا تَرَأَ الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَبُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾¹

ولم يفكروا بالدفاع عن أنفسهم وأهلهم وأطفالهم وأنبيائهم، وسجلت توراة اليهود على هذا الشعب المختار جنباً أصيلاً ونفاقاً فطرياً، يقول كتابهم المقدس، وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب. وقالوا لموسى عليه السّلام هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية. أليس هذا هو الكلام الذي كلمناك به من مصر قائلين كفّ عنا فنخدم المصريين، لأنه خير لنا أن نخدم المصريين من أن نموت في البرية. فقال موسى عليه السّلام لا تخافوا... الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون".²

الجبين: لما وصل موسى عليه السّلام وأصحابه أبواب فلسطين طلب منهم أن يدخلوها:

﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنِّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِن

يَخْرُجُوا مِنهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾³

فأخبرهم نبيّ الله موسى عليه السّلام بأنّ الله يأمرهم أن يدخلوا بيت المقدس، فبكوا وصرخوا وتذمّروا على موسى وهارون عليهما السّلام، ووصل بهم الخوف إلى فقدان كلّ ذرّة من ذرّات الحياء والأدب والأخلاق.

﴿ قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ

فَقَتِيلًا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٦٣﴾ ﴾⁴

وذكر كتابهم المقدس هذه الواقعة. أنّ الشعب ارتحل بعد ذلك، فأمر الربّ موسى عليه السّلام بإرسال رجال يتجسّسون على أرض كنعان، فاختار رجلاً من كل سبط، وأرسلهم لمعرفة الأرض وسكانها وحالتهم، فصعدوا واجتسّوا الأرض، ثم عادوا إلى

1. الشعراء 61.

2. سفر الخروج ص 14: 13 و 14.

3. المائدة 22.

4. المائدة 24.

جماعتهم وقالوا أنّ الأرض بالحقيقة تدرّ لبنًا وعسلًا وهذا ثمرها، ولكن الشعب فيها قويّ والمدن حصينة عظيمة جدًا ورأينا بني عناق العمالقة وهم مقيمون بأرض الجنوب، والحثيين واليبوسيين والكنعانيين وهم مقيمون في الجبل، والكنعانيين وهم مقيمون عند البحر وعلى عدوة الأردن، وقالوا لا نقدر على الصعود إليهم لأنهم أشدّ منا، وهم أناس طوال القامة، وقد صرنا في عيونهم كالجراد، وكذلك كنّا في عيونهم. وأخذوا يشتمون على الأرض بين بني إسرائيل، فرفع الجماعة أصواتهم وصرخوا وبكوا وتذمّروا على موسى وهارون عليهما السّلام، وقالوا لهما، يا ليتنا متنا في أرض مصر أو في البرية ولماذا أتى الربّ بنا إلى هذه الأرض حتى نسقط تحت السيف وتصير نساؤنا وأطفالنا غنيمة، وأليس خيرًا لنا أن نرجع إلى مصر؟ ثم قال بعضهم لبعض تعالوا نقم لنا رئيسًا ونرجع إلى مصر. فتأثر موسى وهارون عليهما السّلام ووقعا على وجهيهما أمام الجمهور. وحاول كالب ويشوع وهما من الجواسيس الاثني عشر، أن يبثا الشجاعة في قلوب الناس، فاتقد غضب الجمهور عليهما حتى حاولوا رجمهما بالحجارة، وحينئذ ظهر مجد الربّ في الخباء، وخاطب موسى عليه السّلام قائلاً: إلى متى يستخفّ بي هؤلاء ولا يؤمنون بي مع جميع ما صنعت له من آيات؟ وما أنا ذا سأضربهم بالوباء وأقرضهم. إلى كم أحتمل هذه الجماعة الشريرة المتدمرة عليّ؟ فأخذ موسى عليه السّلام يستعطف الربّ ويصفه بطول الأناة والرأفة ويطلب الصفح عن الشعب، حتى قال له قد صفحت كما طلبت، ولكن جميع الرجال الذين رأوا مجدي وجربوني عشر مرات ولم يسمعوا لقولي لن يروا الأرض، ثم أمرهم بالرحيل إلى البرية قائلاً: في هذا البرّ تسقط جثث كل المعدودين منهم عدا كالب ويشوع، أما الأطفال فهم الذين يرون الأرض، وسيكونون رعاة في البرية أربعين سنة، ويحملون فجورهم إلى أن تقنى أجسادهم فيها. ولأوقعنّ بجميع هذه الجماعة الشريرة المتجمّعة عليّ. وفي البرية يموتون ويقرضون. ثم ضرب الربّ الجواسيس العشرة الذين أثاروا ذعر الشعب فماتوا. ولما سمع الشعب كلام الربّ بكوا وناحوا واعترفوا بخطئهم وأرادوا أن يتقدموا في السير نحو أرض كنعان، فنهاهم موسى عليه السّلام وقال لهم لن يكون الربّ

معكم فلم ينتهوا، وأخذوا يصعدون إلى الجبل، فنزل العمالقة والكنعانيون إليهم فضربوهم وحطموهم وشرّوهم.¹

وتعترف التوراة بأن عدد الجيش الزاحف مع موسى ويشوع كان كبيراً خيالياً. فقد ورد في الكتاب المقدس أنّ عدد الخارجين للحرب من سنّ عشرين فصاعداً قد بلغ ست مئة ألف وثلاثة آلاف وخمس مئة وخمسون محارباً.² فإذا ما علمنا بأنّ شعب فلسطين وسكان أريحا بوجه خاص، كانوا قلة غافلة غير مستعدّة لهذا الزحف المفاجيء، أدركنا حالة الجبن التي كانت مسيطرة على نفوس اليهود.

ولا شكّ أنّ قارئ التوراة يعجب حين يجد ذكر ربّ الجنود الذي هو ربّ اليهود، يرد في أغلب صفحات التوراة محارباً جباراً نيابة عن شعبه المختار، ممّا يساعد على إدراك حقيقة جبن اليهود، وخاصة من خلال جميع أعمالهم الحربيّة التي هي بحق رمز القسوة والوحشية والهمجية.³

وكانت عقوبة الله لهم:

﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ

الْفٰسِقِينَ ﴿٦٣﴾﴾⁴

وحرم الله هذا الجيل الخوّار الجبان الذليل من دخول الأرض المقدسة، وكتب عليهم أن يتيهوا في صحراء سيناء أربعين سنة حتى يفنى هذا الجيل الذليل الذي رضع الذلّ والجبن منذ أيامه في مصر، وينشأ جيل جديد يرتى وينشأ على البطولة والشجاعة ويتخرّج من شطف العيش الشاقّ ويعيش حياة الرجولة في الصحراء.

وتّم ما أراد الله وعاش بنو إسرائيل أربعين سنة في التيه في سيناء، وانتهت حياتهم في هذا التيه، وانقرض هذا الجيل الذليل، ونشأ من بعده جيل آخر كان أشجع منه في القتال، ولكنه ورث الكثير من الصفات والملامح الخبيثة فظهرت في سلوكه وأخلاقه،

1. سفر الخروج ص 13 - 14.

2. سفر العدد 1:47.

3. جذور البلاء ص 60.

4. المائدة 26.

وأورثها لمن جاء بعده، واستمرت أجيال اليهود تتوارث هذه الرذائل والنقائص والعيوب الأخلاقية، ولم يسلم منها أحد حتى العصر الحاضر.¹ وهذه "حقيقة النفسية اليهودية" بيقين، رغم أنف المظاهر، والدعاوى، وجعجة اليهود الفارغة، وقد لاحظ ذلك كثير من المفكرين والدارسين، بل يعترف اليهود بذلك. يقول الكاتب اليهودي برنارد لازار:

"...إن الثواب الوحيد الذي كان البررة الصلاح من آل إسرائيل يرجونه، هو أن يوجد الله عليهم بحياة طويلة، باسمه الأفراح، واسعة العيش... وكان اليهودي يرى نهاية الوجود بنهاية الحياة... ويرى أن لا سعادة للإنسان إلا بطيبات الأرض..² ويصور د. جوزيف باركلي في الأدب العبري ص 30 حقيقة الحاخامات الذين انساقوا وراء أهوائهم ونزواتهم بما يأتي. وردت أمثلة في التلمود عن كرب وتألم الحاخامات من منظر الموت وهم يعتبرون أنفسهم بأنهم لا أمل لهم في الخلاص (النجاة) خائفين أن يلقى بهم في الجحيم.³

ويمنع التلمود اليهود أن يحبوا غير اليهود ما لم يخشوا شرهم.⁴ ويؤصل لهم تلمودهم الجبن ويرسم لهم خطراً للهرب عند الخطر: على اليهودي إن صادف أمياً على جنبه سيف أن يجعله يسير على يمينه. وإذا كان حاملاً عصاً فعلى شماله، حتى إذا سحب السيف على اليهودي تمكن من إمساك يده. وإذا كان في مرتقى أو منحدر، يبقى اليهودي أمام الأمي ولا يحني رأسه، لئلا يقتله الأمي. فإذا سأل عن محلّ ذهابه فليطل عليه الطريق لكي يتجاهل الأمي في قتله ويتمكن هو من الفرار والخلاص.⁵

1. الشخصية اليهودية من خلال القرآن 88 - 89.

2. معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص 175.

3. التلمود تاريخه وتعاليمه ص 85.

4. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 51 - 55.

5 المصدر السابق ص 153

العلاقات مع الآخرين.

وفيه خمسة مباحث:

1. نقض العهود والمواثيق.
 2. القتل والإجرام وسفك دماء الناس ونهب أموالهم.
 3. الجشع والطمع وأكل الربا والبخل.
 4. الحسد والحقد.
 5. المكر والخداع.
-

1. نقض العهود والمواثيق:

قال تعالى في كتابه العزيز واصفًا حال اليهود:

﴿أَوْكَلَّمَا عَاهِدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣١﴾﴾¹

أما العهد فإنه الميثاق الذي أعطته بنو إسرائيل ربهم ليعملن بما في التوراة مرة بعد أخرى، ثم نقض بعضهم ذلك مرة بعد أخرى، فهم لا أيمان لهم أي: لا عهود لهم. وإن كان نقض العهود قد وقع في كل زمن من فريق منهم دون فريق، فلا يتوهمن أحد أن أولئك هم الأقلون، كلا بل هم الأكثرون، لذلك قال تعالى: ﴿أَوْكَلَّمَا عَاهِدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾² همزة الاستفهام التوبيخي داخلة على محذوف، أي: أكَفَرُوا بِالآيَاتِ، وقالوا ما قالوا، وكلما عاهدوا عهدًا نبذوه فريق منهم. التَّبَذَ، طرح الشيء وإلقاؤه، والمراد بالعهد هنا عهودهم للنبي صلى الله عليه وسلم، ولفظ "فريق" يوهم العدد القليل وكان الواقع أن الذين كانوا يرون الوفاء له صلى الله عليه وسلم قليلون، والناقضين هم الأكثرون.² والعهود التي قطعوها على أنفسهم كثيرة، عهود مع الله وعهود مع الناس.

فمن عهودهم مع الله سبحانه وتعالى عهود عامّة وعهود خاصّة.

قال تعالى: ﴿يَبْنَى إِسْرَائِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ

بِعَهْدِكُمْ وَآيَاتِي فَآرْهَبُونَ ﴿٤٠﴾﴾³ عهد الله تعالى إليهم يعرف من الكتاب الذي نزله

إليهم، فقد عهد إليهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، وأن يؤمنوا برسله متى قامت الأدلة على صدقهم، وأن يخضعوا لأحكامه وشرائعه، وعهد إليهم أن يرسل إليهم نبيًا من بني إخوانهم، أي بني إسماعيل يقيم شعبًا جديدًا. هذا هو العهد الخاص المنصوص، ويدخل في عموم العهد، عهد الله الأكبر الذي أخذه على جميع البشر

1. البقرة 100.

2. تفسير المنار 396/1.

3. البقرة 40.

بمقتضى الفطرة، وهو التدبّر والتروّي، ووزن كل شيء بميزان العقل والنظر الصحيح، لا بميزان الهوى والغرور، ولو التفت بنو إسرائيل إلى هذا العهد الإلهي العام، أو إلى تلك العهود الخاصة المنصوصة في كتابهم، لآمنوا بالنبى صلى الله عليه وسلم واتبعوا النور الذي أنزل معه وكانوا من المفلحين.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ

دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾﴾¹

عهد ألا يعبدوا إلا إياه وأقروا وشهدوا على ذلك ولكنهم نقضوه.

وعهد آخر، أن يقوموا بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُمُومُونَهُ

فَبَدُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَتُوا بِهِ ثُمَّ لَا قَلِيلًا مِمَّا يَشْتَرُونَ ﴿١٧٧﴾﴾²

ولكنهم نقضوه أيضاً ولم يراعوا عهداً ولا ميثاقاً.

وعهود كثيرة ومواثيق عديدة تكاد لا تحصى، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَوَعَضْنَا مِنْهُمْ آثِقَ عَشْرَ نَقِيبًا

وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ

بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا أُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ

مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾﴾³

وكفروا بذلك وضلوا سواء السبيل ونقضوا عهدهم مع الله فكذبوا أنبياءه تارة وقتلوههم

تارة أخرى.

1. البقرة 84.

2. آل عمران 187.

3. المائدة 12.

﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَرَأْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلِّمًا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٧﴾﴾¹

وحتى العهود التي تؤخذ تحت ظروف خاصة في مواقف الخوف والرهبية والخشوع لم يبرعوا ونقضوها ونكثوا بها.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قَالُوا سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾²

لقد أخذ الله سبحانه العهد على بني إسرائيل بأن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن يعملوا بشريعته ووصاياه، وكان أخذ هذا العهد في موقف رهبة وخشوع يعين على أخذه بالجد والعزيمة، إذ كان الجبل مرفوعاً فوقهم بصفة لم يعهدها، حتى ظنوا أنه يريد أن يقع بهم، ولكنهم لم يلبثوا أن نقضوا هذا الميثاق وتركوا العمل به، وعبدوا العجل الذي صاغوه من حليهم بأيديهم عن حب متمكن من النفس، وغالب على العقل والحس³، وقد ذكر الله تعالى هذا المعنى في كتابه غير مرة ولكن بعبارات مختلفه كالآية:

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٧٧﴾﴾⁴

وعندما أتاهم موسى عليه السلام بالألواح التي فيها الشرائع والوصايا الربانية، بعد كل ما فعلوه، وعفا الله عنهم في كل مرة، فإن موقفهم كان له الدلالات الكبيرة في عدم مراعاتهم لعهد ولا ميثاق.

قال ابن عباس رضي الله عنهما وغير واحد من السلف: "لما جاء موسى عليه السلام بالألواح فيها التوراة أمرهم بقبولها والأخذ بها بقوة وعزم. فقالوا انشرها علينا،

1. المائدة 70.

2. البقرة 93.

3. تفسير المنار 387/11.

4. الأعراف 171.

فإن كانت أوامرنا ونواهيها سهلة قبلناها. فقال بل اقبلوها بما فيها، فراجعوه مرارًا. فأمر الله الملائكة فرفعوا الجبل حتى صار كأنه ظلة - أي غمامة - على رؤوسهم. وقيل لهم إن لم تقبلوها بما فيها، وإلا سقط هذا الجبل عليكم. فقبلوا ذلك".¹ قال تعالى: ﴿

خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾

ميثاق لا ينسى، فقد أخذ في ظرف لا ينسى. ولكن إسرائيل هي إسرائيل، نقضت العهد وعصت الله عز وجل، ولجّت في المعصية حتى استحققت غضب الله ولعنته، وحقّ عليها القول بعد أن اختارها الله على العالمين في زمانها، وأفاء عليها من عطايها. فلم تشكر لنعمة ولم ترع عهدًا ولم تذكر ميثاقًا.²

وهذا ميثاق آخر أخذه الله عز وجلّ عليهم، فقد وعد موسى عليه السلام وقومه أن يورثهم الأرض المقدسة. فقال لموسى عليه السلام إني كتبتها لكم دارًا وقرارًا فأخرج إليها وجاهد من فيها من العدو فإني ناصرک عليهم فخذ من قومك اثني عشر رجلًا من كل سبط³ نقيبًا يكون كفيلاً على قومه بالوفاء بما أمروا به.⁴

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ

نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ

وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ

سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ

ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٦٤﴾ ﴿٥﴾

إنّ إسرائيل هي إسرائيل في جنبها ونكوصها على أعقابها ونقضها العهود والمواثيق. إنّ شخصيّة يهود لتبدو على حقيقتها مكشوفة بلا حجاب ولو رقيق من

1. البداية والنهاية، 293/1.

2. ظلال القرآن 1389/3.

3. السبط: هو كل ولد من أولاد من ولد اسحق عليه السلام. ابن منظور: لسان العرب 310/7.

4. قصص الأنبياء ص 319.

5. المائدة 12.

التجمل. ذلك أنهم أمام الخطر فلا بقية إذن من تجمل، ولا محاولة إذن للتشجع... فهم يريدون نصرًا رخيصًا لا ثمن له ولا جهد فيه، نصرًا مريحًا ينتزل عليهم.¹

﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾²

ويتدخل رجالن يخافان الله عز وجل، ويحاولان إقناعهم بالحجة الواضحة والمنطق الحسن، ويعرضوا خطة حكيمة للدخول إلى الأرض وغلبة القوم الجبارين:

﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ عَلَيْهِمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾³

"إن الله منجز وعده، وإنا رأيناهم وخبرناهم (أهل تلك البلاد)، فكانت جسمهم قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم".⁴ "وهنا يخرج الجبناء فيتوقعون ويفزعون من الخطر أمامهم فيرفسون كالحمر".⁵

﴿قَالُوا يَمْوَسِيٰٓءُ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾⁶

فليس برّهم إذا كانت ربوبيته ستكلفهم القتال، ولسان حالهم يقول: لا نريد ملكًا، لا نريد عزًا، لا نريد كرامة، لا نريد عهدًا ولا موثيق، ولا نريد أرض ميعاد ودونها لقاء الجبارين.⁷

1. في ظلال القرآن 780/2.
2. المائدة 22.
3. المائدة 23.
4. قصص النبيين، ص 321.
5. في ظلال القرآن 870/2.
6. المائدة 24.
7. في ظلال القرآن 870 /2.

﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾

﴿ وَأَمْرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾¹

وأما قوله فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ، المعنى كتبنا له في الألواح ما ذكر وقلنا له: خذها بقوة أو، وقلنا له هذه رسالتنا أو وصاياتنا وأصول شريعتنا وكلياتها فخذها بقوة وعزم، وذلك إن المراد بها تكوين شعب جديد بتربية جديدة شديدة مخالفة كل المخالفة لما نشأ عليه من الذلّ والعبودية لفرعون وقومه والأنس لما كانوا عليه من الشرك والوثنيّة ومفاسدها، فإذا لم يكن المتولي تربية هؤلاء القوم والمرشد لهم صاحب عزيمة قويّة وبأس شديد وعزم ثابت فإنّه يعجز عن سياستهم وتربيتهم، ويفشل في تنفيذ أمر الله فيهم.

﴿ وَأَمْرٌ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾ قيل إن (أحسن) هنا بمعنى الحسن التامّ الكامل.

أي: وأمر قومك بالاستمسك والاعتصام بهذه المواعظ والأحكام المفصلة في الألواح التي هي كاملة الحسن ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ كأنه يقول إن لم تأخذوا ما أتيناكم بقوة وتتبعوا أحسنه، كنتم فاسقين عن أمر ربكم، فيحلّ بكم ما حلّ بالفاسقين من قوم فرعون الذي أنجاكم الله منهم ونصركم عليهم، وسيريكم ما حلّ بهم بعدكم من الغرق، أو الفاسقين من سكان البلاد المقدّسة والمباركة التي وعدكم إيّاها، وسينصركم عليهم بطاعتكم له وأخذكم ميثاقه بقوة.

قال الحافظ ابن كثير في تفسيرها: أي سترون عاقبة من خالف أمري وخرج عن طاعتي كيف يصير إلى الهلاك والدمار والتبّاب. وقال ابن جرير: وإنّما قال ﴿سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ كما يقول القائل لمن يخاطبه: سأريك غداً ما يصير إليه حال من خالفني، على وجه التهديد والوعيد لمن عصاه وخالف أمره. ثم نقل معنى ذلك عن مجاهد والحسن البصري.²

1. الأعراف 145.

2. تفسير المنار 1/193/9.

وقد أمر الله تعالى بني إسرائيل بما أمر به رسلهم صلوات الله عليهم، من أخذ الكتاب أو ميثاق الكتاب بقوة، أمراً مقروناً بتهديدهم وتخويفهم من وقوع جبل الطور بهم، ولكنهم لم يفوا بعهده، ولم يرعوا ميثاقاً، وكانوا بكل أحوالهم ناقضين لها.¹ وحالهم مع النبي محمد عليه الصلاة والسلام ليس ببعيد، فبدل أن يؤمنوا به عليه السلام تكررت محاولاتهم في اغتياله وإلحاق الأذى والضرر به وبمن معه من المسلمين، ونقضوا كلّ عهوده عليه السلام معهم. فيهود بني قينقاع . مجموعة منهم كانت تسكن المدينة. يسيئون إلى امرأة مسلمة دخلت سوقهم فكشفوا عورتها ونقضوا العهد مع النبي عليه السلام... ويهود بنو النضير كانوا أكثر لؤماً وخبثاً وإجراماً فقد حاولوا اغتياله عليه الصلاة والسلام... ويهود بنو قريظة لم يراعوا إلاّ ولا ذمة مع رسول الله عليه السلام ونقضوا كلّ عهودهم ومواثيقهم مع المسلمين... أما يهود خيبر فقد كانوا نماذج عجيبة للغدر والخيانة.....

والعهد عند اليهودي ضرورة مرحليّة يعقده لأجلها، ثم ينقضه بانتهاء ظروفها ومنفعتها. وبين العقد والنقض يظلّ اليهودي كالثعلب الجبان، يتلفت، ويتربص الفرصة، أو يوجد لها، لينقضّ تحت أمان العقد، وغفلة الخصم.²

وحلت عليهم اللعنة من الله عزّ وجلّ ﴿فِيمَا نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَهُمْ﴾ أي طردناهم وأخرجناهم من رحمتنا، وقيل مسخناهم ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ لأنه لا قسوة أشدّ من الافتراء على الله وتغيير وحيه.

﴿وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾³
أي زالت أشياء منها من حفظهم.⁴

1. المصدر السابق 194/9.

2. معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص 134.

3. المائدة 13.

4. الكشاف ج1، ص 649-650.

والههم وكتبهم المقدسة عندهم، هي التي تشجعهم على ذلك وتحضهم عليه وتحثهم على نقض العهود والمواثيق مع غيرهم من البشر.

يقول كتابهم المقدس: "فإني أسلم إلى يديك سكان الأرض فتطردهم من أمام وجهك لا تقطع لهم ولا لآلهتهم عهدًا أو لا يقيموا في أرضك".¹

وإذا أدخلك الرب إلهك الأرض التي أنت صائر إليها لترثها، استأصل أممًا كثيرة من أمام وجهك... وأسلمهم الرب إلهك بين يديك وضربتهم فأبسلهم (عرضهم للعذاب) إبسالًا. لا تقطع معهم عهدًا ولا تأخذك بهم رافة، بل كذا تصنعون بهم، تتقصون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون غاباتهم.²

ليس هذا فقط بل لقد عبد بنو إسرائيل أصنامًا من دون الله الواحد الذي قام العهد بينه وبينهم. وهكذا ارتدوا إلى الوثنية وخرقوا من جانبهم بقيادة هارون شقيق النبي موسى عليهما السلام شروط وأسس العهد.³

فقال لهم هارون عليه السلام: انزعوا أقرط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيتكم وبناتكم، وآتوني بها. فنزع كل الشعب أقرط الذهب التي في آذانهم وآتوا بها إلى هارون، فأخذ ذلك من أيديهم، وصوره بالإزميل وصنعه عجلًا مسبوغًا، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر.⁴

ونبي الله إلياس بعد ذلك بزمن طويل، يخاطب الرب بهذه الكلمات: لأن بني إسرائيل قد تركوا عهدك ونقضوا مذابحك وقتلوا أنبياءك بالسيف وهم يطلبون نفسي ليأخذوها.⁵

وعندما اختارهم طالوت ودرّبهم وجهّزهم للحرب، خرج بهم ووضعهم أمام امتحان وابتلاء بسيط ليختبر قدرتهم على حمل التكاليف وسمعهم وطاعتهم، ﴿إِنَّ اللَّهَ

مُبْتَلِكُمْ بِنَهْرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا

1. الخروج 27:33.

2. تثنية الإشتراع 1:7.

3. القدس قضية كل مسلم ص 87.

4. الخروج 2:32 - 3 - 4

5. الملوك الأول 10:9

مِنْ أَعْتَرَفَ عُرْفَةً بِيَدِيهِ¹ ولكن يهود هي يهود وطباعهم نفسها... فَشَرُّوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وحتى هذه القلة عندما أصبحوا في وسط الميدان وجد بينهم من يقول لا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ² فنكصوا وجبنوا ونقضوا كل عهودهم ومواثيقهم.

2. القتل والإجرام وسفك دماء الناس ونهب أموالهم:

وإذا كانت (العنصرية) هي الآفة الأولى في إسرائيل، والكامنة في البنية الأساسية لفكرها واعتقادها الديني، فإن الآفة الثانية هي (العنف) أو الطبيعة العدوانية، التي تتميز بالقسوة والغلظة والعناد، حتى سمّتهم التوراة -كتابهم نفسه- "الشعب الصلب الرقبة"³.

قد يكون من العسير إحصاء كل ما ارتكبه اليهود من الجرائم في التاريخ القديم، ولكن الأدلة القائمة تؤكد أنّ تاريخهم القديم والحديث مخضّب بالدماء، تبلغ ذروتها في قتل الأنبياء بغير حق. قال تعالى يصف حالهم:

﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾⁴

فالقراءة الواعية لتاريخ يهود، قديمًا وحديثًا، تظهر لنا أنّ عمليات القتل والإبادة، التي ساهم اليهود فيها أو خطط لها العقل اليهودي منذ أقدم العصور، هي خلق متأصل في هذه الشخصية وله جذور دينية مستمدة من تعاليم اليهود التلمودية السرية، وليست النزعة إلى الجريمة والقتل صفة عارضة في الشخصية الإسرائيلية يقول التلمود: "أقتل الصالح من غير الإسرائيليين"⁵.

ولم يعرف التاريخ من هم أفسى قلوبًا من اليهود وأكثر إجرامًا منهم، ولم يسبقهم إلى تسجيل الوحشية والهمجية أحد في التاريخ الذي وصل إلى الإنسانية مدونًا

1 البقرة 129

2 البقرة 249.

3 القدس قضية كل مسلم ص 121.

4 المائدة 66.

5. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 84.

ومكتوباً.¹ وتحدث القرآن بقصص كثيرة عن بني إسرائيل وجرائمهم، وفي القرآن كفاية لمستزيد. قوم تعودوا الكذب حتى صار لهم سجيّة، واستمرّوا الخيانة والغدر حتى أصبح لهم خلقاً وعادة.²

ويحدثنا القرآن الكريم عن تلك القسوة وذلك الإجمام الذي التصق بهم منذ القديم فخطبهم بقوله:

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٦﴾﴾³

وفي موضع آخر:

﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾﴾⁴

وصدق الله تعالى، فقد أكثروا من قتل الأنبياء كما مرّ سابقاً، وليس هذا فحسب، بل إنّ جرائمهم كانت من الكثرة قديماً وحديثاً حتى إنّ الكتب لا تستطيع الإحاطة بها. وفي العصر الحديث في 9 نيسان 1948 هجم اليهود على قرية دير ياسين العربية الكائنة في قطاعهم مطمئنة إلى وعودهم وعهودهم، عزلاء من كل سلاح، وجمعوا سكانها صفّاً واحداً، رجالاً ونساءً وشيوخاً وأطفالاً. ثم رموهم بنار الرشاشات، وأمعنوا في تعذيبهم أثناء عملية الذبح والإبادة. فبقروا بطون الحبالى وأخرجوا الأطفال وذبّحوهم، وقطعوا أوصال الضحايا وشوّها الجثث ليصعب التعرف عليها. ثم جمعوا

1. التلمود ص 348.

2. فلسطين التاريخ المصور ص 32.

3. البقرة 74.

4. المائدة 13.

الجثث وجردوها من الألبسة وألقوا بها في بئر القرية. وحين جاء مندوب الصليب الأحمر الدكتور لينر ورأى الجريمة، لم يقف على الوقوف لیتّم عملية إحصاء الجثث (250 جثة) فأغمي عليه وغادر المكان.

إنّها طبيعة يهود الهمجيّة، مارسوها منذ الأزل إلى يومنا هذا، كلما أحسّوا بقوّتهم وواتتهم الفرصة للانقضاض على الكفار وهم المسيحيون والمسلمون وجميع من هم على غير دينهم.

وقدّر الله سبحانه وتعالى أن أكتب هذا الفصل، وأنا أشاهد الصور المروّعة لمجزرة قانا وأخواتها أثناء العدوان الهمجي على لبنان وفلسطين في تموز 2006م، وأن يخرج هذا الكتاب متزامناً مع حرب الإبادة البشرية التي يشنها الكيان الصهيوني المجرم على غزة ولبنان أكتوبر 2024.

وحتى على المستوى الفردي وفيما بينهم لم يكونوا أقلّ من ذلك. فقد كان رجل منهم كثير المال، وكان شيخاً وله بنو أخ، وكانوا يتمنّون قتله. فعمد أحدهم فقتله في الليل وطرحه في مجمع الطرق. ويقال على باب رجل منهم¹.

﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٦﴾﴾²

أسند الله عزّ وجلّ القتل إلى الأُمَّة وإن كان القاتل واحداً. والتدارؤُ معناه التدافع وهو يدلّ على أنّه كان خصام واتهام. وكان كل واحد يدرأ عن نفسه ويدّعي البراءة ويتهم غيره. ولم يهتدوا إلى القاتل. فجاءوا إلى موسى عليه الصلاة والسلام. وقالوا يا نبيّ الله احكم في القضية فأمرهم الله عزّ وجلّ أن يذبحوا البقرة التي مرّ ذكرها (صفة الجدل).

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ

تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾³

1. البداية والنهاية. 294/1.

2. البقرة: 72.

3. البقرة: 73.

وهكذا كان، فعادت إليه الحياة ليخبر بنفسه عن قاتله، وليجلو الريب والشكوك التي أحاطت بقتله، وليحقّ الحقّ ويبطل الباطل بأوثق البراهين.¹

وفي كتبهم، فإنّ إلههم يهوه ربّ الجنود ورجل الحرب، إله إسرائيل الفاسي الظالم المتوحّش غرز في نفوسهم غريزة البطش والإرهاب والقسوة الهمجيّة. ففي "العهد القديم" أمثلة كثيرة على شهوة القتل عند اليهود وتمسّكهم بفكرة إبادة الأمم الأخرى عن وجه الأرض.

وحتى يأمّنوا لإجرامهم وشرب دماء البشر فقد زعموا أنّ إبراهيم قد أكل أربعة وسبعين رجلاً وشرب دماءهم دفعة واحدة. ولذلك كانت له قوّة أربعة وسبعين رجلاً كما جاء ذلك في كتابهم التلمود.²

وهذا نبي الله يعقوب يأمر بذبح قبيلة بكاملها، يقول كتابهم المقدّس:
"خرجت (دينة) ابنة ليئة التي ولدتها ليعقوب، فرآها شكيم ابن حمّور الحويّ رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها، وتعلقت نفسه بدينة ابنة يعقوب، وأحبّ الفتاة، ولاطفها، فكلّم شكيم حمّور أباه قائلاً: خذ لي هذه الصبيّة زوجة. وسمع يعقوب أنّه نجّس دينة ابنته... فسكت حتى جاءوا - أي أبنائهم - ثم بعد أن عرض عليهم حمّور مصاهرتهم" ... فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمّور أباه بمكر... فقالوا لهما: لا نستطيع أن نفعل هذا الأمر: أن نعطي أختنا لرجل أغلف... إن صرتم مثلنا بختنكم كلّ ذكر نعطم بناتنا ونأخذ لكم بناتكم... وأختن كل ذكر... فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين.... - أي بسبب الختن - أن ابني يعقوب: شمعون ولاوي أخويّ دينة أخذوا كلّ واحد سيفه وأتيا على المدينة بأمن، وقتلا كلّ ذكر، وقتلا حمّور وشكيم بحدّ السيف، ونهبوا المدينة، وسبوا ونهبوا كلّ ثروتهم وكلّ أطفالهم ونسائهم وكل ما في البيوت".³
"وتعدّ التوراة أوّل كتاب في العالم يبيح قتل الأبرياء وأخذ الأبناء بجريرة الآباء. وتقرّر العقوبات المشتركة التي يذهب ضحيّتها الأطفال والشيوخ والنساء ممّن لا ذنب

1. في ظلال القرآن 79/1.

2. همجية التعاليم الصهيونية ص 48.

3. تكوين: ص 34.

لهم، وتجيز كذلك قتل الحيوانات التي لا تعقل والتي لم يعاقبها تشريع من شرائع العالم".¹ فما هو موسى عليه السلام في التوراة يعاقب الذين اعترضوا عليه من بني قومه، ويدعوا ربّه ليخسف بهم الأرض مع نسائهم وأطفالهم.

"وخرج داثن وأبيرام ووقفا في باب خيمتهما مع نسائهما وبنيهما وأطفالهما. فقال موسى عليه السلام بهذا تعلمون أنّ الربّ قد أرسلني لأعمل كلّ هذه الأعمال وأنها ليست من نفسي... فلما فرغ من التكلم بكلّ هذا الكلام انشقت الأرض التي تحتهم. وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وبيوتهم وكلّ من كان لقورح مع كلّ الأموال. فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية وانطبقت عليهم.

وربّ موسى التوراتي هو الذي شرع القسوة لشعبه المختار، فنجده يأمر بقتل الذين يأكلون خبزاً خميراً في أيام حرّم فيها أكل الخمير...". سبعة أيام تأكلون فطيراً. اليوم الأوّل تعزلون الخمير من بيوتكم. فإنّ كل من أكل خميراً من اليوم الأوّل إلى اليوم السابع تقطع تلك النفس من إسرائيل... سبعة أيام لا يوجد خمير في بيوتكم. فإنّ كلّ من أكل مختمراً تقطع تلك النفس من جماعة إسرائيل.²

ويأمرهم بقتل رجل منهم كلّ جريمته أنّه كان يحتطب يوم السبت:

"ولما كان بنو إسرائيل في البرية وجدوا رجلاً يحتطب حطباً يوم السبت فقدّمه الذين وجدوه يحتطب حطباً إلى موسى وهارون عليهما السلام وكلّ الجماعة. فوضعوه في المحرس لأنّه لم يعلن ماذا يفعل به. فقال الربّ لموسى عليه السلام قتلاً يقتل الرجل. يرمجه بحجارة كلّ الجماعات خارج المحلة. فأخرجه كلّ الجماعة إلى خارج المحلة ورموه بحجارة فمات كما أمر الربّ موسى عليه السلام".³

ويشرع لهم أخذ البريء بجريرة المذنب:

"مفتقد إثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء في الجيل الثالث والرابع".⁴

1. جذور البلاء ص44.

2. خروج: ص 12:15-19.

3. عدد ص 15:32-36.

4. خروج ص 34:7.

"يغفر الذنب والسيئة، لكنه لا يبريء بل يجعل ذنب الآباء على الأبناء إلى الجيل الثالث والرابع...".¹

"واستفتح يهوه عمليات القسوة والعنف بالشعب المصري" وقال موسى عليه السّلام هكذا يقول الربّ إنّني نحو نصف الليل أخرج في وسط مصر. فيموت كلّ بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه إلى بكر الجارية التي خلف الرحي وكل بكر بهيمة".²

وحفظت يهود وصيّة إلههم، وقبل التوغّل في أرض فلسطين يرتكبون مجزرة مروّعة ابتغاء مرضاة يهوه الذي غضب على شعبه المحبّب للذهب الساجد له من دون يهوه. "هكذا قال الربّ إله اسرائيل ضعوا كلّ واحد سيفه على فخذة ومروا وارجعوا من باب إلى باب في المحلة واقتلوا كل واحد أخاه وكلّ واحد صاحبه وكل واحد قريبه. ففعل بنو لاوي بحسب قول موسى عليه السّلام. ووقع من الشعب في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف رجل وقال موسى عليه السّلام امألوا أيديكم اليوم للربّ حتى كلّ واحد بابنه وبأخيه. فيعطيك اليوم بركة".³

ويعد أن استراحت نفس يهوه واستمتع برؤية شعبه يذبح بعضهم بعضاً، وجّه إرادته إلى الشعب المختار، راسماً خطة المجازر الجديدة وحرب الإبادة ليضمن لشعبه الحبيب أرضاً بلا سكان ووطناً قومياً بلا منازعين ومشاغبين من السكان الأصليين. "متى أتى بك الربّ إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وتطرد شعوباً كثيرة من أمامك الحثيين والجرجانيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين، سبع شعوب أكثر وأعظم منك ودفعم الربّ إلهك أمامك وضربتهم فإنك تحرّمهم (تقتلهم)".⁴

1. عدد ص 14:18.

2. خروج ص 4:11-5.

3. المصدر السابق ص 26:32 - 29.

4. تثنية ص 7:1 - 2.

وإذا دفعها الرب إلهك إلى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف. وأمّا النساء والأطفال والبهائم وكلّ ما في المدينة كلّ غنيمتها فتغنمتها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك التي أعطاك الربّ إلهك. هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدًّا التي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا (فلسطين). وأمّا مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك فلا تستبق منها نسمة ما.¹

وفوجيء أهل مديان من شعب فلسطين بالجموع اليهودية المتدفقة كالوحوش الضارية، وشرعتها في الحرب فتك وإبادة وسبي ونهب وسلب دون سابق إنذار. "وكلم الرب موسى عليه السّلام قائلاً انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين... فتجنّدوا على مديان كما أمر الربّ وقتلوا كل ذكر. وملوك مديان قتلوهم فوق قتلهم... وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار...".²

وغضب موسى عليه السّلام التوراة على قادة جيشه الذين أبقوا على حياة النساء والأطفال وسبواهم إلى المحلة. فأمر بأن يطهر الجند من النجاسة بعد ذبح النساء والأطفال "وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حيّة... فالآن أقتلوا كل ذكر من الأطفال. وكلّ امرأة عرفت رجلاً بمضاجعة ذكر اقتلوها".³

وزحفت جموع اليهود لنقاجيء سيمون ملك حشيون، ومن بعده عوج ملك باشان في جنوب أرض كنعان، وتبيد شعبيهما بناء على أوامر يهوه. "فدفعه الربّ إلهاً أماناً فضربناه وبنيه وجميع قومه. وأخذنا كل مدنه في ذلك الوقت وحرّمنا من كلّ مدينة الرجال والنساء والأطفال لم نبق شاردًا. لكن البهائم نهبناها لأنفسنا وغنيمة المدن التي أخذنا".⁴

"فدفع الربّ إلهاً إلى أيدينا عوج ملك باشان وجميع قومه فضربناه حتى لم يبق له شارد. وأخذنا كلّ مدنه في ذلك الوقت. لم تكن قرية لم نأخذها منهم. ستون

1. المصدر السابق 10:20 - 17.

2. عدد صح 1:31 - 10.

3. المصدر السابق 15:31 - 17.

4. تثنية صح 2:33 - 35.

مدينة...شامخة وأبواب ومزالج سوى قرى الصحراء الكثيرة جدًا. فحرمناها كما فعلنا
بسيمون ملك حشبون محرّمين كل المدينة الرجال والنساء والأطفال..."¹.
وتسلم يشوع بن نون الرابية - رابية يهوه - من بعد موسى عليه السّلام الذي قضى،
ولمّا تزل جموع اليهود في أطراف أرض كنعان. واستهلّ يشوع بطولاته بأريحا
المنكوبة.

اقتحم مدينة أريحا وقتلوا كلّ ما فيها من إنسان أو حيوان وحرقوا المدينة كلها.²
"وحرّموا كلّ ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم
والحمير بحدّ السيف... وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها. إنّما الفضة والذهب
وأنية النحاس والحديد جعلوها في خزانة بيت الرب..."³.

واستمرّ ربّ اليهود عملية الإفناء والإبادة. "فقال الربّ ليشوع مدّ المزرّاق الذي بيدك
نحو عاي لأتّي بيدك أدفعها. فمدّ يشوع المزرّاق الذي بيده نحو المدينة، وضربوهم
حتى لم يبق منهم شارد ولا منفلت. وأمّا ملك عاي فأمسكوه حيًّا وتقدّموا به إلى يشوع.
وكان لمّا انتهى إسرائيل من قتل جميع سكان عاي في الحقل في البرية حيث لحقوهم
وسقطوا جميعًا بحدّ السيف حتى فنوا، ثم إنّ جميع إسرائيل رجع إلى عاي وضربوها
بحدّ السيف. فكان جميع الذين سقطوا في ذلك اليوم من رجال ونساء اثني عشر ألفًا
جميع أهل عاي"⁴.

... ثم اجتاز إلى لبنة وحارب لبنة... فضربها بحدّ السيف وكل نفس بها. لم يبق
بها شاردًا وفعل بملكها كما فعل بملك أريحا"⁵... ومن بعد لبنة أباد سكان لخيش
وعجلون وحبرون ودبير مع ملوكهم. كما أباد ملك حاصور وشعبه، ومن كان معه من
ملوك مادون وشمرون وأكشاف. ثم أخذ يشوع حاصور وقتل كل نفس فيها بحدّ

1. تثنية ص 3:3 - 6.

2. يشوع 6.

3. يشوع ص 21:6 - 24.

4. المصدر السابق 8:18 - 26.

5. جذور البلاء ص 28 و 29.

السيف. وفي سفر يشوع تفصيل لمعارك الإبادة والإصرار على ذكر القتل، قتل جميع السكان وإفنائهم، الملوك والشعب، النساء والأطفال والشيوخ".¹
ويصف ول ديورانت في قصة الحضارة ص 226 - 322:

كانت هزيمة العبرانيين للكنعانيين مثلاً واضحاً لانقضاض جموع جياح على جماعة مستقرين آمنين. وقد قتل العبرانيون من الكنعانيين أكثر من استطاعوا قتلهم منهم وسلبوا من بقي من نسائهم. وجرت دماء القتلى أنهاراً. وكان هذا القتل كما تقول نصوص الكتاب المقدس فريضة الشريعة التي أمر بها الرب موسى عليه السلام وزكاة الرب ولما استولوا على إحدى المدن قتلوا من أهلها اثني عشر ألفاً وأحرقوا وصلبوا حاكمها ولسنا نعرف في تاريخ الحروب مثل هذا الإسراف في القتل والاستمتاع به.²
واستمرت المذابح والمجازر بعد يشوع، تارة بين بني إسرائيل في الشمال وبين بني بنيامين في الجنوب، وتارة أخرى بين هذين الفرعين من اليهود وبين شعب كنعان المنكوب.

وها هو أبيمالك يخدع أخواله ويأخذ منهم الموافقة على تنصيبه ملكاً، ثم يسارع إلى الفتك بإخوته. " ثم جاء إلى بيت أبيه في عفرة، وقتل إخوته بني يربعل سبعين رجلاً على حجر واحد. وبقي يوثام بن يربعل الأصغر لأنه اختبأ".³
وتقضي غريزة سفك الدماء وشهوة الافناء والإبادة، أن يهود جلعاد ذبحوا اثنين وأربعين ألفاً من يهود إفرايم، لأنهم أخطأوا في لفظ حرف (ش) ولفظوه (س). " فأخذ الجلعاديون مخاوض الأردن لأفرايم وكان إذا قال دعوني أعبر. كان رجال جلعاد يقولون له أنت أفرايمي، فإن قال لا، يقولون له، قل إذا شبولت، فيقول سبولت، ولم يتحفظ للفظ بحق. فكانوا يأخذونه ويذبحونه على مخاوض الأردن. فسقط في ذلك الوقت من أفرايم إثنان وأربعون ألفاً".⁴

1. يشوع ص 1:11 - 22.

2. اليهودية ص 79.

3. قضاة ص 5:9.

4. المصدر السابق 5:12، 6.

وقتل عشرات الألوف في شرعة يهوه التي غرسها في نفوس شعبه المختار، أمر سهل يسير يروي تعطش يهوه إلى شرب الدماء. " فخرج بنو بنيامين من جبعة وأهلكوا من إسرائيل في ذلك اليوم إثنين وعشرين ألف رجل إلى الأرض. وتشرذ الشعب رجال إسرائيل.... فخرج بنيامين للقائهم من جبعة في اليوم الثاني وأهلك من بني إسرائيل أيضاً ثمانية عشر ألف رجل إلى الأرض".¹

ويهوه يسارع إلى الفتك ببني بنيامين، "فضرب الرب بنيامين أمام إسرائيل، وأهلك بنو إسرائيل من بنيامين في ذلك اليوم خمسة وعشرين ألف رجل ومئة رجل. كل هؤلاء مخترطوا السيف. ... ورجعوا أمام بني إسرائيل في طريق البرية ولكن القتال أدركهم والذين من المدن أهلكوهم في وسطهم فحاطوا بنيامين وطاردوهم بسهولة وأدركوهم مقابل جبعة لجهة شروق الشمس. فسقط من بنيامين ثمانية عشر ألف رجل... ورجع رجال بني إسرائيل إلى بني بنيامين وضربوهم بحدّ السيف من المدينة بأسرها حتى البهائم حتى كل ما وجد وأيضاً جميع المدن التي وجدت أحرقوها بالنار...".²

وتخلف يهود يابيش عن زيارة يهوه في المجمع فكان جزاؤهم الإبادة. " وقالوا أي سبط من أسباط إسرائيل لم يصعد إلى الرب إلى المصفاة. وهو ذا لم يأت إلى المحلة رجل من يابيش جلعاد إلى المجمع... فأرسلت الجماعة إلى هناك اثني عشر ألف رجل من بني البأس وأوصوهم قائلين واضربوا سكان يابيش جلعاد بحد السيف مع النساء والأطفال. وهذا ما تعملونه تحرمون كل ذكر وكل امرأة عرفت اضطجاع ذكر...".

وحقد رب اليهود على الأمم غير اليهودية ليس له حدود، فحين كان شعبه يتريث قليلاً عن مواصلة سفك الدماء، نجده يسارع إلى القيام بهذه المهمة. " وضرب أهل بيت شمس لأنهم نظروا إلى تابوت الرب، وضرب من الشعب خمسين ألف رجل وسبعين رجلاً".³

1. المصدر السابق 2:20، 22، 25.

2. المصدر السابق 35:20، 42 - 48.

3. صموئيل الأول ص 6:19.

"فجعل الرب وباء في إسرائيل فسقط من إسرائيل سبعون ألف رجل".¹
 وجاء نبيهم صموئيل، وهو من أعظم أنبيائهم، فتقرب إلى يهوه عن طريق سفك
 الدماء. "هكذا يقول رب الجنود. إني قد افتقدت ما عمل عماليق بإسرائيل حين وقف
 له في الطريق عند صعوده من مصر. فالآن اذهب واضرب عماليق وحرموا كل ما له
 ولا تعف عنهم بل اقتل رجلاً وامرأة طفلاً رضيعاً بقراً وغنماً جملاً وحماراً...".² وحين
 هبّ شاول لتتفيد أوامر صموئيل وحرم جميع الشعب بحد السيف، عفا عن أجاج ملك
 عماليق وأخذه أسيراً، كما استبقى خيار الغنم والبقر والخراف ولم يسمح بإبادتها مع
 الشعب. فثار صموئيل ونقل إلى شاول غضب الرب لأنه خالف تعاليمه بالإبادة
 الكاملة. ولما كان شاول قد مسح ملكاً على إسرائيل ببركة صموئيل، فإنه سارع إلى
 طلب المغفرة عن الذنب العظيم الذي اقترفه يوم أبقى على حياة أجاج مع خيار
 المواشي...". وقال صموئيل قدّموا لي أجاج ملك عماليق. فذهب إليه أجاج فرحاً،
 وقال أجاج حقاً قد زالت مرارة الموت... فقطع صموئيل أجاج أمام الرب في
 الجلجال... ولم يعد صموئيل لرؤية شاول إلى يوم موته لأن صموئيل ناح على شاول
 والرب نادم لأنه ملك شاول على إسرائيل".³

ولننظر إلى شاول الذي عدّه صموئيل متسامحاً يعفو عن أسيره أجاج ولا يفتك
 بالمواشي، لنجد غريزة العنف والوحشية تنمو في نفسه، فيطلب من داود أن يقطع له
 مائة غلفة من أعضاء الذكور من الفلسطينيين ويقدمها مهراً لابنته ميكال. "فقال شاول
 هكذا تقولون لداود. ليست مسرة الملك بالمهر بل بمئة غلفة من الفلسطينيين للانتقام
 من أعداء الملك... ولم تكمل الأيام حتى قام داود وذهب هو ورجاله وقتل من
 الفلسطينيين مئتي رجل وأتى داود بغلفهم فأكملوها للملك لمصاهرة الملك. فأعطاه
 شاول ميكال ابنته امرأة...".⁴

1. اخبار الأيام الأول ص 14:21.

2. صموئيل الأول ص 2:15 - 3.

3. المصدر السابق ص 32:15 - 33.

4. المصدر السابق ص 25:18 - 26 و 27 و 28.

ولا نعجب لوحشية شاول هذه، إذا ما علمنا إنه أخذ يفتك بالكهنة من بني إسرائيل أنفسهم، وبالنساء والأطفال والحيوانات". ووقع هو بالكهنة وقتل في ذلك اليوم خمسة وثمانين رجلا. وضرب نوب مدينة الكهنة بحد السيف. الرجال والنساء والأطفال والرضعان والثيران والحمير والغنم بحد السيف".¹

وسرت هذه الأخلاق الغادرة الحاقدة إلى بني إسرائيل جميعهم. ومارسها أنبياءهم وملوكهم وكهنتهم وقادة الجند منهم.

وتصور التوراة داود أعظم أنبيائهم وملوكهم، حقودًا غادرًا، غدر بالشعب الفلسطيني الذي حماه وأكرمه يوم كان شريدًا طريدًا أمام خصمه شاول. فبعد مقتل شاول، تسلم داود الملك، وكشف عن مكره وغدره، بأن استهل عهده الدامي بالفتك بالفلسطينيين الذين أحسنوا إليه وأووه يوم كان هاربًا من بطش شاول. وظنوا أنه لا بد أن يردّ الجميل وخاصة أنهم عرضوا عليه الولاء وفرحوا بتسلمه الملك بعد أن كان لاجئًا عندهم.

"وسمع الفلسطينيون أنهم قد مسحوا داود ملكًا على إسرائيل فصعد جميع الفلسطينيون ليفتشوا على داود. ولما سمع داود نزل إلى الحصن. وجاء الفلسطينيون وانتشروا في وادي الرفائين. وسأل داود من الرب قائلاً أأصعد إلى الفلسطينيين أئدفعهم ليدي. فقال الرب لداود اصعد لأني دفعا أرفع الفلسطينيين ليديك. فجاء داود إلى بعل فراصيم وضربهم داود هناك".²

وفي كل عمليات الغدر تستصدر التوراة أوامر إلهية تبيح الغدر وتبرره وتأمّر به. فداود التوراة لم يقدم على الغدر بالذين ساعدوه وحموه إلا بعد أن استشار رب اليهود فأمره بضرب الفلسطينيين.....!

وأخذ داود زمام القصة من يد الفلسطينيين وضرب المؤابيين وقاسمهم بالحبل. وأضجعهم على الأرض فقاس بحبلين للقتل وحبل للاستحياء.....

1. المصدر السابق ص 18:22 - 19.
2. صموئيل الثاني ص 17:5 - 20.

وضرب هدد غزر بن رحوب ملك صوبة فأخذ داود منه ألفاً وسبع مئة فارس وعشرين ألف رجل. وعرقب داود جميع خيل المركبات وأبقى منها مئة مركبة. فجاء آرام دمشق لنجدة هدد غزر ملك صوبة، فضرب داود من آرام اثنين وعشرين ألف رجل... ونصب داود تذكاراً عند رجوعه من ضرب ثمانية عشر ألفاً من آرام في وادي الملح... وهرب آرام من أمام إسرائيل، وقتل داود من آرام سبع مئة مركبة وأربعين ألف فارس...".¹

وكان عهده بناء على ما جاء في العهد القديم غارقاً في دماء الضحايا، ولم تقنعه طريقة الإبادة بالسيف، فاستتبط طريقة جديدة فذة. " وأخرج غنيمة المدينة - ربة بني عمون - كثيرة جداً. وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونواجر حديد وفؤوس حديد، وأمرهم في أتون الأجر وهكذا صنع بجميع مدن بني عمون".²

ويقول Wells معلقاً على ما ورد في الكتاب المقدس عن قسوة داود ما يلي:
وقصة داود بما تحوي من قتل وسفك دماء واغتيالات متلاحقة يأخذ بعضها برقاب بعض أشبه بتاريخ أحد الرؤساء المتوحشين منها بتاريخ ملك ممدن
The Outline of history page 282

ولم ينس داود قبل أن يموت، أن يوصي ابنه سليمان بقتل عدد من الرؤساء والقادة غدرًا. "وأنت تعلم ما فعل بي يواب ابن صروية... فافعل حسب حكمتك ولا تدع شبيته تتحدر بسلام إلى الهاوية... وهو ذا معك شمعي بن جيرا... فحلفت له بالرب قائلاً اني لا أميتك بالسيف والآن فلا تبرره لأنك أنت رجل حكيم، فافعل ما تفعل به واحدر شبيته بالدم إلى الهاوية...".³

ولم يخالف سليمان الحكيم وصية أبيه داود، ووجد أنه لا بدّ من سفك الدماء لنتم الحكمة ويكمل الدهاء وتتوطد أركان الملك له، فاستهل حكمه بسفك الدماء....

1. المصدر السابق ص 8: 1 - 18.

2. المصدر السابق ص 12: 30 - 31.

3. الملوك الأول ص 2: 5 - 9.

وبدأ بقتل أخيه الأكبر أدونيا، وقتل يوا ب القائد رئيس جيش أبيه رغم أنه لجأ إلى خيمة الرب ليأمن على حياته.¹

وبدأت مذابحه، وهذا نموذج من الجرائم التي ارتكبتها:

"فنزل هؤلاء مقابل أولئك سبعة أيام، وفي اليوم السابع اشتبكت الحرب فضرب بنو إسرائيل من الآراميين مئة ألف رجل في يوم واحد. وهرب الباقون إلى أفيق إلى المدينة وسقط السور على السبعة والعشرين ألف رجل الباقين".²

وبعد سليمان عليه السلام اشتد الصراع على مرضاة يهوه بين دولتي يهوذا وإسرائيل، فدارت بينهما رحى معركة طاحنة". ولما هتف رجال يهوذا ضرب الله يربعام وكل إسرائيل أمام إيبا ويهوذا. فانهمز بنو إسرائيل من أمام يهوذا فدفعهم الله ليدهم. وضربهم إيبا وقومه ضربة عظيمة فسقط قتلى من إسرائيل خمس مئة ألف رجل مختار. فنزل بنو إسرائيل في ذلك الوقت وتشجع بنو يهوذا لأنهم انكلوا على الرب إله آبائهم...".³

وحين تنبأ الكاهن زكريا قتلوه في بيت الرب. ولبس روح الله زكريا الكاهن... فوقف فوق الشعب وقال لهم هكذا يقول الله، لماذا تتعدون وصايا الرب فلا تفلحون. لأنكم تركتم الرب ترككم. ففتنوا عليه ورجموه بحجارة بأمر الملك في دار بيت الرب".⁴

وانتقم يهوه لقتل نبيه زكريا فأوقع يواش الملك بأيدي جيش آرام، فأهلكوا جميع رؤساء الشعب في يهوذا وأورشليم.⁵

ويبدو أن يهوه قد غضب على شعبه لأن حدة المجازر قد خفت، فجاء أمصيا الصالح "فتشدد واقتاد شعبه وذهب إلى وادي الملح، وضرب من بني سعيير عشرة آلاف أحياء، سباهم بنو يهوذا، وأتوا بهم إلى رأس سالع، وطرحوهم عن رأس سالع فتكسروا أجمعين..... وأما الرجال الذين أرجعهم أمصيا عن الذهاب معه إلى القتال،

1. اليهودية 86 الملوك الأول 2: 24 - 27.

2. الملوك الأول صح 20: 29 - 30.

3. أخبار الأيام الثاني صح 12: 15 - 18.

4. المصدر السابق صح 24: 20 - 21.

5. المصدر السابق 23: 24.

فاقتحموا مدن يهوذا من السامرة إلى بيت حورون، وضربوا منهم ثلاثة آلاف ونهبوا نهبًا كثيرًا".¹

واشتد ساعد إسرائيل ونال حظوة عند رب الجنود يهوه فنصره على يهوذا...". ودفع أيضا ليد ملك إسرائيل فضربه ضربة عظيمة. وقتل فقح بن رمليا في يهوذا مئة وعشرين ألفاً في يوم واحد. الجميع بنو بأس، لأنهم تركوا الرب إله آبائهم. وسبى بنو إسرائيل من إخوتهم مئتي ألف من النساء والبنين والبنات، ونهبوا أيضاً غنيمة وافرة، وأتوا بالغنيمة إلى السامرة".²

وتوراة اليهود لا تخفي حقيقة الشعب المختار، وميوله لشرب الدماء وقضم عظام البشر وقتل الأولاد، حتى أولاد اليهود أنفسهم. "هو ذا شعب يقوم كلبوة ويرتفع كأسد. لا ينام حتى يأكل فريسة ويشرب دم قتلى...³ الله أخرجه من مصر. له مثل سرعة الرئم. يأكل أمماً مضايقيه ويقضم عظامهم".⁴

وأرميا نبيهم الذي يندد أحياناً بحرق أبناء اليهود بالنار. "وبنوا مرتفعات توفة التي في وادي ابن هنوم ليحرقوا بنيهم وبناتهم بالنار الذي لم أمر به ولا سعد على قلبي".⁵ قلبي".⁵ نجده يترنم بتريديد قسوة يهوه رب الجنود وسحقه للشيخ والفتى والغلام والعدراء... وقضيب ميراثه رب الجنود اسمه. أنت لي فأس وأدوات حرب فأسحق بك أمم، وأهلك بك الممالك، وأكسر بك الفرس وراكبه، وأسحق بك المركبة وراكبها، وأسحق بك الرجل والمرأة، وأسحق بك الشيخ والفتى، وأسحق بك الغلام والعدراء، وأسحق بك الزراعي وقطيعه، وأسحق بك الفلاح وفدائه، وأسحق بك الولاة والحكام".⁶

وقديستهم إستير، خصّها كهأنهم بسفر كامل، جاء رمزاً على الكذب والتأمر والغدر والوحشية والقسوة...". ولما رأى هامان أنّ مردخاي لا يجثو ولا يسجد له امتلاً غضباً

1. المصدر السابق ص 11:25 - 12.

2. أخبار الأيام الثاني ص 5:28 - 8.

3. عدد ص 24:23.

4. المصدر السابق ص 8:24.

5. أرميا ص 31:7.

6. المصدر السابق 19:51 - 23.

وازدرى في عينيه أن يمّد يده إلى مردخاي... فطلب هامان أن يهلك جميع اليهود الذين في كل مملكة أحشويروش... "فجاء الملك وهامان ليشربا عند إستير الملكة. فقال الملك لإستير في اليوم الثاني عند شرب الخمر ما هو سؤلك يا إستير الملكة فيعطى لك وما هي طلبتك، ولو إلى نصف المملكة تقضى... فقامت إستير ووقفت أمام الملك. وقالت إذا حسن عند الملك ووجدت نعمة أمامه واستقام الأمر أمام الملك وحسنت أنا لديه فليكتب لي لكي تردّ كتابات تدبير هامان التي كتبها لإبادة اليهود الذين في كل بلاد الملك..."

فقال الملك أحشويروش لإستير الملكة ومردخاي اليهودي، هو ذا أعطيت بيت هامان لإستير، أما هو فقد صلبوه على الخشبة، من أجل أنه مدّ يده إلى اليهود...¹ ولم يكتف مردخاي بالقضاء على هامان، فدبر عملية سفك دماء الآلاف ليشبع غزيرته وينتقم من الأبرياء... وقتل اليهود في شوشن القصر وأهلكوا خمس مئة رجل... فقال الملك لإستير الملكة في شوشن القصر، قد قتل اليهود وأهلكوا خمس مئة رجل وبني هامان العشرة... فما هو سؤلك فيعطى لك وما هي طلبتك بعد فتقضى.. وبعد أن صلب أبناء هامان العشرة على الخشبة حسب طلبها اتجه اليهود إلى الفتك بالشعب في بقية المناطق... وباقي اليهود الذي في بلدان الملك اجتمعوا ووقفوا لأجل أنفسهم واستراحوا من أعدائهم وقتلوا من مبغضهم خمسة وسبعين ألفاً، في اليوم الثالث عشر من شهر آذار. واستراحوا في اليوم الرابع عشر منه وجعلوه يوم شرب وفرح " عيداً رسمياً لليهود."²

ولا ننسى ونحن نعرض لهذه المجازر التي كان يذهب ضحيتها مئات الألوف في معركة واحدة تدوم يوماً أو بعض يوم، أن نذكر بأنّ السلاح الرئيس الذي كان يستخدم في تلك المذابح هو السيف. ولنا أن نقيس درجة الوحشية والهمجية من تصورنا لمعركة يسقط فيها نصف مليون قتيل، من غير استخدام قنابل ذرية أو هيدروجينية،

1. سفر استير ص 5-3.

2. استير ص 9.

أو مدافع ورشاشات ودبابات وطائرات من قاذفات القنابل والصواريخ... ولنا أن نقيس كذلك درجة المدنية التي قدمها اليهود للعالم. حين نتصور المآسي والكوارث التي كانت تنجم عن سبي مئتي ألف سيدة وطفل، في معركة واحدة بعد ذبح مئات الألوف من الرجال المحاربين وغير المحاربين. إنها لعمرى ليست مدنية بل همجية ووحشية. حتى أننا نخطئ كثيراً حين ننسبها إلى الوحوش ونسميها وحشية. ذلك لأن جميع أنواع الوحوش لا تقترب جرائم القتل إلا لتأمين وجبات طعامها، في حين أن اليهود كانوا وما زالوا متعاطشين لسفك الدماء بشكل جنوني محموم، لم يسبق له مثيل في تاريخ البشر.¹

" اقتربوا أيها الأمم لتسمعوا وأيها الشعوب اصغوا لتسمع الأرض وملؤها المسكونة وكل نتائجها. لأنّ للربّ سخطاً على كل الأمم وحمواً على كل جيشهم. قد حرّمهم ودفعهم إلى الذبح. فقتلهم تطرح وجيفهم تصعد نتانتها وتسيل الجبال بدمائه".²

وذبحوا نبيّ الله يحيى عليه السّلام بطريقة بشعة جداً وهو ساجد في صلاته، وقدم رأسه هدية لراقصتهم السومي. ثم أبوه زكريا عليه السّلام نشره لأنه بكى ولده.

وبذلوا كل جهدهم لقتل المسيح عليه السّلام ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَا كُنْ سُبَّةَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾³

وفي زمن المسيح عليه السّلام تعاهد بعض اليهود وتحالفوا على إبسال أنفسهم، قائلين إنهم لا يأكلون ولا يشربون حتى يقتلوا بولس. وسبب عزمهم على قتله هو ما قاله كلوديس لسياس القائد الروماني في رسالة إلى الوالي فيلكس، "إنّ اليهود قد أمسكوا هذا الرجل وأزمعوا أن يقتلوه، وأردت أن أعرف ماذا يشكونه به، فوجدت أنه يشكى بمسائل من ناموسهم⁴ (تساءل مجرد تساؤل في الشريعة فاستحق القتل).

1. جذور البلاء ص27 إلى 37 بتصرف.

2. اشعيا ص 1:34 - 3.

3. النساء 157.

4. أعمال الرسل 23: 26.

وبعد جرائمهم الموجهة إلى المسيح نفسه، فتكوا بالنصارى عام 41م وقطعوا رأس مار يعقوب. ومرّت باليهود سنوات محمومة كانوا فيها يذبح بعضهم بعضًا، ويتعرض النصارى معهم إلى الذبح والاضطهاد. ويقول مؤرخهم الكبير يوسيفوس الذي شهد تلك الحقبة، إنّ ظهور بعض مجرمي اليهود وعصاباتهم أحالت الحياة إلى جحيم لا يطاق، فقد كثر الغش والظلم والقتل والفسق ونهب أموال الناس وقطع الطرق، وكان كل واحد يقتل خصمه بلا خوف من رقابة حاكم أو قانون. وكثر الأشرار في أورشليم وباعوا أنفسهم لمن يرغب في التخلص من خصمه غيلةً وغدرًا، فكثرت القتل ولم يعرف السفاكون المجرمون، وسمّي ذلك الحال بالموت الأعمى. ثم وقعت بينهم مذابح كثيرة في عهد نيرون، مهّدت السبيل إلى تدمير أورشليم، والقضاء على الفتن والمؤامرات اليهودية على يد القائد الروماني تيطس سنة 70م. والشيء الذي يبعث على الدهشة والاشمئزاز ليس عدد القتلى وإنما الهمجية التي ابداهها اليهود أثناء تلك المجازر فقد كانوا يشطرون ضحاياهم إلى نصفين، ويسلخون جلودهم ويلبسونها، ويأكلون لحوم قتلاهم ويشربون دماءهم ويتحرّمون بأمعائهم.

وجاء الأمبراطور هدریان (117-138م) فلم يجد بدءًا من الفتك باليهود واستئصال شأفتهم وحماية البلاد من مؤامراتهم وفسادهم وأحقادهم... ومن أكبر جرائمهم ضد المسيحيين قبل مجيء الاسلام، مذبحه الأخدود التي اقترفها اليهود ضد النصارى، وقضى فيها ذو نواس على عشرات الألوف منهم حرًا سنة 524م.

ودأب اليهود على التآمر على كل حكم، فحين وقعت الحرب بين فارس والقيصر هرقل (611-641م)، انتهز اليهود الفرصة وتعاونوا مع الفرس وغدروا بالرومان. وحين نجح الفرس في الاستيلاء على سورية سنة 615م وسبوا كثيرًا من النصارى، بادر اليهود إلى شراء أعدادًا كبيرة من المسيحيين قدر عددهم بتسعين ألفًا، وذبحوهم صبرًا.¹ وهذه مجزرة في بيت لحم:

1. جذور البلاء ص 9.

فجاء الجنود وقتلوا كل الأطفال الذين كانوا هناك كما أمرهم هيرودس (ملك اليهودية) حينئذ تمّت كلمات النبي القائل: نوح وبكاء في الرامة، راحيل تنذب أبناءها وليس لها تعزية لأنهم ليسوا بموجودين.¹

وبطلمهم شمشون كذلك، وجد لحي حمار طريًا، فمدّ يده وأخذه وضرب به ألف رجل. فقال شمشون بلحي حمار كومت كومتين. بلحي حمار قتلت ألف رجل...².
"ثم خاتمة شمشون التوراة، حين يمسك بيديه، العامودين المتوسطين في المعبد، وينحني عليهما ليسقط المعبد على رؤوس آلاف الفلسطينيين..."³.
وتستمر حروبهم وجرائمهم إلى قيام الساعة!

وتقرّر التوراة أنه قبل أن يحكم اليهود نهائيًا لا بد من قيام حرب بين الأمم، يهلك خلالها ثلثا العالم، ويبقى اليهود سبع سنوات يحرقون الأسلحة التي اكتسبوها بعد النصر،⁴ يقول الرب: إنّ ثلثين من الأرض ينقرضان ويضمحلان والثلث يستبقى منها،⁵ أما الأرض المقدسة نفسها، فلن يسكن فيها أحد من الغرباء.

وما أصدق رأي العالم الفرنسي جوستاف لوبون عن اليهود حين قال: " وبقي بنو إسرائيل حتى في عهد ملوكهم، بدويين أفاقيين مفاجئين مغيرين سافكين مولعين بقطاعهم، مندفعين في الخصام الوحشي فإذا ما بلغ الجهد منهم ركنوا إلى خيال رخيص.⁶

وكأنّ توراتهم لم تكفهم بقولها أنّ الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد وخرابًا تخرب⁷، فيأتي تلمودهم بما لم يسبق به كتاب أو تشريع، فتراه أكثر قسوة وأشدّ إجرامًا، ويوصل لهم كل ذلك، ويشرّعه أكثر فأكثر، ولأسباب قد تكون تافهة.

إنّ قتل غير اليهودي لا يعد جريمة، بل هو فعل يرضي الله، وقال ميمانود في التلمود: الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثني، فإذا رأيته واقفًا في نهر أو مهددًا بخطر،

1. إنجيل برنابا ص 9.

2. قضاة ص 15:15 – 16.

3. قضاة ص 16:25 – 30.

4. جذور البلاء ص 78.

5. زكريا 13:8.

6. التلمود ص 355.

7. أشعيا 60: 10 – 12.

فيحرم عليك أن تتقذه منه... من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر، لأنّ من يسفك دم الكافر يقرب قرباناً لله.¹

وفي سنهدين ص 58، يقتل الوثني إذا ضرب إسرائيلياً لأنه يكون قد ضرب القدرة الإلهية ولذلك قتل موسى عليه السلام مصرياً لأنه ضرب يهودياً.²
تقول تعاليم الحاخامين: على واحدتنا أن لا ترضع طفلاً وثنياً، لأنها ترّي شخصاً للوثنية، ويجب أيضاً أن لا يرضع الطفل اليهودي من امرأة وثنية، لأنه يشكّ بأنها قد تقتله، كان رأي ح. مئير. لكن الحاخامين يقولون أنه يمكن للأخيرة أن تفعل ذلك بحضور آخرين، إنما ليس حين تكون وحدها مع الطفل. مع ذلك، يؤكد ح. مئير، أنه حتى في وجود آخرين، يمكنها أن تدهن ثديها بالسم وتقتل الطفل، دون أن يلحظ الآخرون ذلك.³

وفي (سنهدين ص 57)، كل من كان خارجاً عن الديانة اليهودية يسمى (بولد نوح)، لأنّ بني إسرائيل انفصلوا عن هؤلاء القوم وآمنوا بالله من وقت ظهور إبراهيم لغاية إسرائيل.⁴

يقتل الأمّي من أولاد نوح على يد ديّان واحد وشهادة شاهد واحد، ولو كان قريباً له. ويقتل أيضاً إذا ضرب امرأة حاملاً وقتل حملها. وأمّا الإسرائيلي فلا يقتل لذلك بل يدفع دية الولد. ولا يقتل أيضاً في الأحوال التي توجب القتل إلا على يد عشرين ديّاناً وشاهدين.

وفي سنهدين ص 71، إذا سبّ اسم الجلالة، أحد أولاد نوح، ثم دخل في دين اليهود عوفي من القتل وكذلك الأمر بالنسبة لمن قتل آخر.. وأمّا من قتل يهودياً أو زنى بامرأة يهودية فيستحق الموت بدون رحمة.⁵

1. التلمود ص 398.

2. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 150.

3. رسالة عبدة الأوثان ص 83.

4. التلمود ص 211.

5. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 151.

يقتل أبناء نوح إذا سرقوا ولو فلسًا واحدًا لأنهم خالفوا إحدى الوصايا التي أعطاها الله لهم ولا يعفى من القتل من ردّ منهم الأشياء المسروقة، لأنه لا يغفر الردّ سوى ذنب الإسرائيليين.¹

وفي براخوت في الكتاب الأول ص 58، ضرب أحد علماء اليهود موسويًا لكونه زنا بامرأة مصرية من غير ملّته. فشكاه الموسوي للحاكم، فقال العالم للحاكم أنا ضربته لكونه افتعل بحمارة، واستحضر إيليا النبي شاهدًا على ذلك.² كلّ من يقتل أجنبيًا يقرب قربانًا إلى الله.³

وتركزت دعوة القتل على المسيحيين والوثنيين، أكثر من بقية الأمم حيث يقول التلمود: سكان عالم الحياة الفانية من المسيحيين والوثنيين مكتوب عليهم أن يبادوا عن وجه الأرض... من المؤكد أنّ أمرنا لن يدوم ما لم نحطم أمراء الأغيار الذين يعبدون الأوثان...⁴

ويعتبر اليهود الوثني الذي لا يتهود، والمسيحي الذي يبقى على دين المسيح، عدوّ الله وعدوّهم. ويعتبر اليهود كل خارج عن مذهبهم هو غير إنسان، ولا يصح أن تستعمل معه الرأفة. ويعتقدون أنّ غضب الله موجّه إليه، وأتّه لا يلزم أن يأخذ اليهود شفقة عليه. وقال التلمود: من العدل أن يقتل اليهودي بيده كل كافر، لأنّ من يسفك دم الكافر يقرب قربانًا إلى الله.⁵ ويكافأ بالخلود في الفردوس وللإقامة هناك، أما من يقتل يهوديًا فكأنه قتل العالم أجمع"، ويرغب التلمود أيضًا بقتل المسيحيين عبر الوعد بالجنة، حيث يقول في قصور الجنة الأربع يعيش أولئك الذين تفجعوا على صهيون والقدس، وجميع الذين أبادوا شعوبًا وثنية... والذين قتلوا شعبا يعبد الأوثان ارتدوا أثوابًا أرجوانية ليتميزوا بها ويفخروا.⁶

1. المصدر السابق ص 153.

2. المصدر السابق ص 154.

3. جذور البلاء ص 81.

4. التلمود ص 189.

5. التلمود ص 137 الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 86.

6. المصدر السابق ص 190.

غير مصرّح للكاهن أن يبارك الشعب باليد التي قتل بها شخصاً ولو حصل القتل خطأ أو ندم الكاهن بعد ذلك. ولكن قال الحاخام شار أنه يمكنه أن يبارك الشعب بتلك اليد إذا كان المقتول غير يهودي ولو حصل القتل بالقصد وسبق إصرار. وأن قتل غير اليهودي لا يعد جريمة عندهم، بل فعل يرضي الله!!¹ حتى أفضل الأغيار يستحق الموت، أمثل أفضل الأغيار، إسحق رأس ابن الأفاعي.²

أما إذا تسبّب اليهودي بموت الأغيار، بشكل غير مباشر، فهو ليس مذنباً البتة لأنّ التسبب بموت غير اليهودي لا يعتبر خطيئة. إذا كان القاتل من غير اليهود، ففي هذه الحالة يجب إنزال عقوبة الإعدام به، سواء أكان الضحية يهودياً أو غير يهودي.³ إذا قتل غير يهودي رجلاً يهودياً أو غير يهودي، فهو مسؤول وتجب محاكمته. أما إذا قتل يهودي رجلاً غير يهودي فهو غير مسؤول ولا يحاكم.... من يسفك دم غير اليهودي، فإنه إنما يقدم قرباناً للرب... الوثني الذي يدرس التوراة يستحق الموت.⁴ وإذا عزم اليهودي على اتهام يهودي آخر بأمر يندم به، وعلم أحد اليهود بهذا العزم لزم قتله ولا ذنب عليه. وإذا لم يتمكن من قتل ذلك المفتري، فالواجب عقد جمعية للوصول إلى هذه الغاية. وجميع اليهود القاطنين في تلك الناحية يلتزمون بالمساعدة على نفقة العمل.⁵

يعتبر عملاً طيباً إذا أحرق كل يهودي أو دمّر معبداً للأغيار، أو أي شيء يخصّ هذه المعابد أو يلوذ بها. ثم على هذا اليهودي أن يذري، في الجهات الأربع أو في

1. المصدر السابق ص 150.

2. المسيري 137/7.

3. النشاط السري اليهودي ص 232.

4. اليهود ص 170.

5. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 162-163.

الماء، ما أحرق. والأهم من ذلك، هو أنّ من واجب كل يهودي العمل على تحطيم أسس كل معبد للأغيار، وينعته بأسماء ملعونة.¹

يقتل الأمّي الذي يستريح في يوم من أيام الأسبوع لقوله سبحانه لا يستريحوا الليل ولا النهار (سنهدين ص 57) والوثني الذي يقرأ التوراة يستحق القتل لأنّ التوراة مخصصة لليهود فمن أخذها سرّاً يقتل.²

وفي مكان آخر يقول التلمود: ويعتبر اليهود غير اليهود أعداء لهم، ولا يجيز التلمود أن يشفق اليهود على أعدائهم من باقي الأمم، من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها لأنه بذلك يكون حفظ حياة أحد الوثنيين، وجاء في صحيفة أخرى إذا وقع أحد الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدها بحجر، وزاد الحاخام رشي أنه يلزم عمل الطريق الللازم لعدم خلاص الوثني المذكور منها... وزاد، وإذا نظر أحد اليهود كافرًا في حفرة. فعليه أن لا يخرجه منها، حتى لو وجد فيها سلمًا يمكن للكافر أن يخرج بواسطته منها، وجب على اليهودي نزعه، محتجًا بأنه أخرجه حتى لا ينزل عليها قطيعه، وإذا وجد حجرًا بجانب الحفرة وجب عليه وضعه عليها، ويقول إني أضع هذا الحجر ليمرّ عليه قطيعي.³

يقول التلمود: غير جائز أن تشفقوا على ذي جنّة، فيما قال الرابي جرسون، ليس من الموافق على الرجل الصالح أن تأخذه الشفقة على الشرير، وقال الحاخام أبارئيل: ليس من العدل أن يشفق الإنسان على أعدائه ويرحمهم".⁴

ويعمن التلمود في الدعوة لقتل غير اليهود وإبادتهم حيث يقول: إنّ لحم الأمميين لحم حمير. ونطفته نطفة حيوانات غير ناطقة، أما اليهود فإنهم طهروا على طور سيناء والأجانب تلازمهم النجاسة لثالث درجة من نسلهم، ولذلك أمرنا بإهلاك من كان غير يهودي.

1. اليهود ص 167.

2. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 153.

3. المصدر السابق ص 85-86.

4. التلمود ص 184.

وهم يتلذذون بذبح الإنسان البريء، وتحلّ البركة بشكل أوفى حين يتعذب الضحية، ويستترسل التلمود في غيّه وإجرامه فيعلن أنّ قتل الغريب والزنا بزوجته أمر مغفور للإنسان إذا تهوّد!! (إن ولدًا أجنبيًا شتاءً وعبادًا للأصنام قتل غير اليهودي وضاجع امرأته، يتبرر إذا اتبع الدين اليهودي، بعد ارتكابه كل هذه الموبقات، ولكن إذا قتل يهوديًا، ثم انتحل الدين اليهودي فإنه يظل دائمًا أوثمًا، وإعدامه واجب بسبب فعله ذلك.¹

ومنعًا لوصول هذه التعليمات الفاسدة إلى الأجانب وحتى لا يعلموا بها فيأخذوا حذرهم، فإن التلمود أمر أتباعه بقتل كل من يدرس قانون إسرائيل، أي التلمود أو التوراة، وبذلك يقول الراي جوناشان: الغوي الذي يتقمص بفضول القانون مجرم يستحق الموت.²

أمّا التلمود ففيه دعوة صريحة إلى قتل كل من يحاول معرفة أسرار الديانة اليهودية.³

غير اليهودي الذي يدرس التلمود، واليهودي الذي يساعده على ذلك، يجب قتلهما.⁴

ولا تتوقف رحلة الدعوة عند هذا الحد بل تطال اليهود والذين يصبحون أبيقوريين، وينحرفون إلى عبادة النجوم والكواكب، ويأثمون بخبث ومكر. وكذلك الذين يأكلون لحم الحيوانات الجارحة. أو الذين ينكرون التوراة وأنبياء إسرائيل -القانون- يقول: إنّ الجميع يجب قتلهم، وعلى الذين بيدهم زمام الحياة والموت قتلهم. وإذا لم يكن بالإمكان فيجب تقديمهم إلى الموت بطرق مخادعة.⁵

ولم ترتبط نظرية الإبادة وقتل الأطفال بأي دين أو فكر وضعي أو شريعة كما ارتبطت بالفكر التوراتي والتلمودي، ووجدت تطبيقاتها العملية في الحقب السابقة التي

1. المصدر السابق ص 402.

2. المصدر السابق ص 188.

3. النشاط السري اليهودي ص 230.

4. اليهود ص 170.

5. التلمود ص 188.

كان فيها لليهود وجود مؤثر وفاعل، وتستمر حتى اليوم بأشكال متعددة وتحت ذرائع وتبريرات أوهى من خيط العنكبوت.

فقد جاء في التوراة: "وسبى بنو إسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم وأخذوا كل الغنيمة، وكل النهب من الناس والبهائم وتمّ ذلك بعد أن قتلوا كل الرجال والملوك".¹

وعندما يحاول الدارس استعراض جرائم إسرائيل لقتل الأطفال، فإنه لن يتمكن من حصرها والإحاطة بها كلها، فما ذنب هؤلاء الأطفال وأين هي اتفاقية حقوق الطفل التي تدعو إلى حمايته وضمان حقه في التعليم واللعب والحياة الكريمة؟²

ولليهود عيدان مقدسان لا تتم الفرحة إلا بتناول الفطير الممزوج بالدماء البشرية، الأول: عيد البوريم الذي يحيي ذكرى استير اليهودية الجميلة، واقتاعها ملك الفرس بالسماح لليهود بقتلهم وزيره هامان، وذبح عشرات الألوف من قومه... وذباح عيد البوريم تنتقى عادة من الشباب البالغين حيث يؤخذ دم الضحية ويجفف على شكل ذرات تمزج بعجين الفطائر ويحفظ ما تبقى للعيد المقبل. والثاني عيد الباسوفير وذبائحه تكون من دماء الأطفال الذين لا تزيد أعمارهم عن العشر سنوات ويمزج دم الضحية بعجين الفطير قبل تجفيفه أو بعد تجفيفه...

ويعترف المؤرخ اليهودي برنارد لازار في كتابه "اللاسامية"، بأن عادة ذبح الأطفال ترجع إلى استخدام دم الأطفال من السحرة اليهود في الماضي.³

وطريقة استنزاف الضحية إما أن تكون بواسطة البرميل الأبري، الذي هو عبارة عن برميل يتسع لجسم الضحية مثبت على جميع جوانبه إبرة حادة تغرس في جسم الضحية عند وضعها في البرميل، لتسيل الدماء ببطء من كل جزء من أجزاء الجسم المقرونة بالعذاب الشديد، الذي يعود باللذة على اليهود الذين ينتشون برؤية الدم ينزف من الضحية، ويسيل من أسفل البرميل إلى إناء معدّ لجمعه، أو بذبح الضحية كما

1. سفر العدد 9:31-10.

2. التلمود ص 373.

3. التلمود ص 370.

تذبح الشاة، ويصفى الدم في الوعاء، أو بقطع شرايين الضحية في مواضع عدة ليتدفق الدم من الجروح، ويجمع في وعاء، ويسلم إلى الحاخام الذي يقوم بإعداد الفطير المقدس ممزوجاً بدم إرضاء لإله اليهود "يهوه" المتعطش لسفك الدماء، ولا تتم أفراح اليهود في أعيادهم إذا لم يأكلوا الفطيرة الممزوجة بدم غير اليهود. وطريقة استنزاف دمائهم مروّعة، يرجع إليها في كتاب (خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية). ولقد أحصى المؤلف حوادث استنزاف الدم البشري من سجلاتها الرسمية منذ ثمانية قرون بما يربو على الخمسين. أما عدد الذين اختفوا - من غير دليل رسمي يدين اليهود - فيبلغون الآلاف في كل عام!!! آخرها عام 1963 و عام 1964م في روسيا، يذبح طفل روسي، وعدد من الأطفال في جمهورية كولومبيا.

ومن يقتل مسيحياً أو أجنبياً يكافأ بالخلود في الفردوس.¹ وانطلاقاً من هذا الوعد ارتكب المجرم اليهودي ياروخ غولدشتاين، في شباط عام 1996، مجزرة في الحرم الإبراهيمي الشريف، ضد المصلين المسلمين أثناء تأدية صلاة الفجر، حيث قتل وجرح منهم العشرات، وذلك دون أن يحرك الجنود الإسرائيليون المعينين لحراسة المكان ساكناً أو حتى يحاولوا منعه من تنفيذ هذه المجزرة الرهيبة....²

ضمن هذا السياق التوراتي المزعوم والممارسة الوحشية، والتي تستند إلى جملة من الأوهام الخرافية، يمكننا فهم الدوافع لدى القادة الصهاينة بقتل أطفال العرب في مصر وسوريا والأردن ولبنان وفلسطين. وها هي غولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل السابقة تقول بشكل وقح: لا أستطيع النوم كلما سمعت بميلاد طفل عربي".

من هنا نفهم مجزرتهم في مدرسة بحر البقر المصرية في نيسان 1970، وأصرارهم على قتل محمد الدرة وهو يلوذ في حضن أبيه، وقتل الرضيعة إيمان حجو ذات الشهور الثلاثة، وقتل أطفال قانا وداعل وقبية ودير ياسين وكفر قاسم وصبرا وشاتيلا وجنين ونابلس، وقد أطلت وفصلت في هذه الصفة، صفة القتل والإجرام

1. المصدر السابق ص398.

2. المصدر السابق ص 190.

والإبادة الجماعية، حتى نفهم ما يجري في غزة، وكيف أنهم يرتكبون في كل يوم عشرات المجازر يذهب ضحيتها المئات وأحياناً الآلاف، وبلغ مجموع ما قتلوا وجرحوا أكثر من مئة ألف فلسطيني، لم يتركوا بيتاً عامراً، لم يتركوا حياً، دمروا كل شيء، قضاوا على كل شيء، أطفال ونساء، لأنهم جبنوا عن مواجهة الرجال، فتراهم ينتقمون من البيوت، من الأحياء، من البنين، من الأطفال والنساء، وهذا كله يرضي ربهم يهوه كما مرّ معنا في هذه الفقرة. ... وهكذا... بدم بارد وروح عدوانية لا تعرف الرحمة، يسقط الأطفال معطرين بدمائهم. يسقطون وتتهي نور حياتهم أقدم نظريات الإرهاب والعنف وأكثرها دموية وسادية...¹

جميع اليهود جزارون للبشرية، وأفضلهم شوك ونتوءات حادة جارحة! (جميعهم يكمنون للدماء، أحسنهم مثل العوسج، وأعدلهم مثل سياج الشوك).²

3. الجشع والطمع.

اليهود عبدة المال وعشاقه، ويتفننون في جمعه واقتنائه وسلبه من الناس، ويتفننون في الحفاظ عليه وعدم خروجه من أيديهم، فهم الأساتذة في البخل. فاليهودي مصاب بحالة بخل من النوع المستعصي علاجه، وقد اشتهر منذ تاريخ البشرية بحبه الشديد للمال لدرجة العبادة، حتى أصبح اليهودي رمزاً معبراً لكل أشكال الحرص على المال، وبات هذا الطبع أخطر طباعه وأهمها على الإطلاق، فهو يفسر الحقائق بالمنطق المادي الذي ينطبق فيه مبدأ المكسب والخسارة، حتى إنه أخذ يتاجر في القيم والمبادئ والأخلاق. وكان جشع اليهودي الذي لا يعرف حدوداً، وحبه الشديد للمال سبب كل المصائب، وعاملاً أساسياً في السلوك الشائن لليهودي، فمن أجله يسرق، ويكذب، ويغش، ويخدع، ويطمع، ويتحايل، ويراوغ، ويقتل، ويمتهن كرامته.³

1. التلمود ص 372.

2. سفر ميخا 5/7.

3. صيري، سناء عبد اللطيف، ملامح الشخصية اليهودية وطباعها كما تصورها فكاهااتهم، دار القلم، دمشق، ط1، ص 35، 1417هـ-1999م.

إنّ المال بالنسبة لبني إسرائيل هو الإله، وجعلت فتنهم في الدنيا، فحيث ما كان المال والترف، فهناك ثمة يهود، وهكذا فهم يحكمون قبضتهم على منابع الثروات وأماكن الغنى والترف في العالم، فهم يعبدون المال، ويبيعون كل شيء من أجله حتى لو كانت مقدساتهم، والعدد القليل فقط منهم من يؤمن بهذا الدين المحرّف وينقاد لتعاليمه وشرعته.¹

جميع اليهود غايتهم المال، وجميع أنبيائهم وأحبارهم كذابون خداعون: لانهم من صغيّريهم إلى كبيرهم، كلّ واحد مولع بالريح، ومن النّبي إلى الكاهن، كلّ واحد يعمل بالكذب.²

وكهنة اليهود يحبّون الذهب حبًّا جمًّا. فحين استولى الفلسطينيون على تابوت ربّ اليهود، ودعا الفلسطينيون الكهنة والعرفان قائلين: ماذا نعمل بتابوت الرّب، أخبرونا بماذا نرسله إلى مكانه. فقالوا إذا أرسلتم تابوت إله إسرائيل فلا ترسلوه فارغًا، بل ردّوا له قربان إثم. حينئذ تشفون (من البواسير وهجوم الفيران).. فقالوا وما هو قربان الإثم الذي نردّه له. فقالوا حسب أعداد أقطاب الفلسطينيين خمسة بواسير من ذهب وخمسة فيران من ذهب. لأنّ الضربة واحدة عليكم جميعًا وعلى أقطابكم. واصنعوا تماثيل بواسيركم وتماثيل فيرانكم التي تفسد الأرض وأعطوا إله إسرائيل مجدًا لعله يخفف يده عنكم وعن آلهتكم وعن أرضكم.³

"وكان وزن الذهب الذي أتى سليمان في سنة واحدة ستّ مئة وستّ وستين وزنة ذهب، وعمل الملك سليمان منّي ترس من ذهب مطرق. خصّ الترس الواحد ستّ مئة شاقل من الذهب وثلاث مئة مجنّ من ذهب مطرق. خصّ المجنّ ثلاث أمماء من الذهب... وعمل الملك كرسياً عظيماً من عاج وغشاه بذهب إبريز...".⁴

1. فلسطين التاريخ المصور ص52.

2. سفر أرميا 2/51.

3. صموئيل الأول ص 116-6.

4. الملوك الأول ص 1410-18.

جاء في التلمود: إنَّ مثل بني إسرائيل كمثل سيدة في منزلها، يستحضر لها زوجها النقود، فتأخذها دون أن تشترك معه في العمل والتعب، وإنَّ الله سلط اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم.¹

قال الرابي ابو: "سلط الله اليهود على أموال باقي الأمم ودمائهم، وجاء شرح ذلك في التلمود بالكيفية الآتية..

إذا سرق أولاد نوح (أي غير اليهود) شيئاً، ولو كانت قيمته طفيفة جداً، يستحقون الموت، لأنهم خالفوا الوصايا التي أعطها الله لهم، وأما اليهود فمصرح لهم أن يضروا الأممي لأنه جاء في الوصايا " لا تسرق من القريب"، وقال علماء التلمود مفسرين هذه الوصية: إنَّ الأممي ليس بقريب، وإنَّ موسى عليه السّلام لم يكتب الوصية لا تسرق مال الأممي، فسلب ماله لم يكن مخالفاً الوصايا.²

ومما جاء في التلمود: إنَّ الله حلل أموال باقي الأمم لبني إسرائيل.³

إذا سرق أحدكم أو نهب أو استولى على امرأة جميلة، أو ارتكب أية آثام أخرى... أقول أنه إذا تمَّ ذلك بين غير يهودي وآخر غير يهودي أيضاً. فيجب إعادة المسروقات إلى صاحبها. أما إذا سرق اليهودي غير اليهودي، فيمكنه الاحتفاظ بالمسروق.

والاستيلاء على ما يملكه غير اليهودي، عمل له مسراته دائماً.

تتجمع ثروة الأمم في خزائن اليهود التي لا يمكن حمل مفاتيحها وأقفالها على أقل من ثلاثمائة حمار.⁴

ومن أبرز وأهم الطرق في الاستيلاء على المال، السرقة، أكل الربا، البخل والغش. ولنبحث في كل واحدة منها على حدة.

1. التلمود ص12.

2. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص73.

3. المصدر السابق ص151.

4. جذور البلاء ص 79.

السرقَة:

وهذه من الصفات المميّزة الخاصة ببني إسرائيل. فاليهود في سبيل حطام الدنيا أذكىاء عباقرة حريصون، قادرون على انتزاع لقمة الخبز اليابسة من أفواه البائسين.¹ ويدلنا على ذلك، أنهم استطاعوا، بعد يوسف عليه السّلام، السيطرة على كثير من مقومات الحياة في مصر، فبعد أن خصّصوا لأنفسهم بالسطو وتوسيع الحيازة عن طريق الرشوة والاختلاس مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية في أخصب بقاع الدلتا والوادي، جعلوا لهم أسواقاً خاصة بهم،² مما جعل فرعون والمصريون يتقنّون في إيقاع الأذى بهم عن طريق التقليل والتذليل، بعد أن رأوهم يسيطرون على المرافق الحيويّة للبلاد.

وحتى عند خروجهم من مصر فإنّ الإنسان ليعجب كيف استطاعوا سلب المصريين ذهبهم وفضتهم وأمتعتهم عن طريق الاستعارة. مع أنّه على ما يفيد السياق، لم يكن الشعب المصري يكتّون لهم العداوة، فقد أقبل الجيران على إعارتهم ما طلبوه بطمأنينة ورضى.³ وهذا ما ورد في كتابهم المقدس، حتى يصفوا على سرقتهم هالة دينية: "تطلب كل امرأة من جاريتها ومن نزيلة بيتها أمتعة من فضة وذهب وثياباً، تضعوها على بنيكم وبناتكم، فتسلبون المصريين".⁴

وقد أكد القرآن الكريم عملية السرقة هذه، فعندما سأل موسى عليه السّلام بني إسرائيل عن الذهب والفضة التي صنعوا بها العجل الذهبي قالوا:

﴿وَلَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾⁵

ويرى الإنسان كيف إنهم يرتدون ثوب إنسان ليشتروا به ثوب الصل⁶ الذي حدثنا المسيح عليه السّلام عنه حين خاطبهم بقوله: "يا أبناء الأفاعي والقرود اعملوا أعمالاً تليق بالتوبة".¹

1. دفائن النفسية اليهودية من خلال الكتب المقدسة التوراة والإنجيل والقرآن والتاريخ والواقع ص 36.
2. التاريخ اليهودي العام، ص 76.
3. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، ص 67.
4. سفر الخروج 22/3.
5. طه 87.
6. الصل: الحية التي لا تنفع معها الرقية: الرازي محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، ص 154.

يقول كتابهم المقدس: فحمل الشعب عجينهم قبل أن يختمر، ومعانجهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم. وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى عليه السلام. طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابًا. وأعطى الربّ نعمة للشعب في عيون المصريين، حتى أعاروهم. فسلبوا المصريين. وأما قدر هذا السلب وقيمة ما نهبوا من المصريين، فيوضّحه عدد اليهود الذين ارتحلوا، فقد كانوا أكثر من ستمائة ألف، وذلك بنصّ نفس السفر ونفس الإصحاح إذ يقول: فارتحل بنو إسرائيل من رعمسيس إلى سكوت، نحو ستمائة ألف ماش من الرجال عدا الأولاد.²

وأما مدّة ضيافة المصريين لهم، والتي سلبوهم بعدها، فكانت أربعمائة وثلاثين سنة،³ وذلك في كتابهم. وهذا ما يشير إلى فساد خلقهم وقدر ما هم عليه من فساد. وهذا ليس غريبًا عليهم فهو شأن أنبيائهم وحالهم، فيعقوب يسرق النبوة من أخيه عيسو بصحن طبيخ من العدس... فتحترّض رفقة زوجة إسحق وأم عيسو ويعقوب، ابنا الأصغر يعقوب على سرقة بركة والده بالغش. والبركة كانت من حقّ الابن الأكبر عيسو.

"وكانت رفقة سامعة إذ تكلم إسحق مع عيسو ابنه. فذهب عيسو إلى البرية كي يصطاد صيدًا ليأتي به. وأما رفقة فكلمت يعقوب ابنها قائلة، إنّي قد سمعت أباك يكلم عيسو أخاك قائلاً: ائتني بصيد واصنع لي أطعمة لآكل وأباركك أمام الربّ قبل وفاتي. فالآن يا ابني اسمع لقولي في ما أنا أمرّك به. إذهب إلى الغنم وخذ لي من هناك جديين جيّدين من المعزى. فأصنعهما أطعمة لأبيك كما يحب. فتحضرها إلى أبيك ليأكل حتى يباركك قبل وفاته. فقال يعقوب لرفقة أمه، هو ذا عيسو أخي رجل أشعر وأنا رجل أملس، ربّما يجسّني أبي فأكون في عينيه كمتهاون، وأجلب على نفسي لعنة لا بركة. فقالت له أمّه لعنتك علي يا ابني. اسمع لقولي فقط واذهب خذ لي. فذهب وأخذ وأحضر لأمه. فصنعت أمّه أطعمة كما كان أبوه، يحبّ، وأخذت رفقة ثياب

1. دفائن النفسية اليهودية ص 71.

2. سفر الخروج ص 12 \ 34-37.

3. المصدر السابق ص 12 \ 40.

عيسو ابنها الأكبر الفاخرة التي كانت عندها في البيت وألبست يعقوب ابنها الأصغر. وألبست يديه وملاسه عنقه جلود جدي المعزى، وأعطت الأطعمة والخبز التي صنعت في يد يعقوب ابنها...¹.

ونال يعقوب بركة أبيه إسحق بأكلة جدي. ويشرب يعقوب بعدئذ من الكأس التي سقاها أخاه عيسو. فبعد أن أكمل خدمته المقررة مهراً لراحيل ابنة لابان الصغرى، قال يعقوب للابان اعطني امرأتي لأنّ أيامي قد كملت. فأدخل عليها. فجمع لابان جميع أهل المكان وصنع وليمة. وكان في المساء أنّه أخذ ليثة ابنته البكر وأتى بها إليه. فدخل عليها. وفي الصباح إذا هي ليثة. فقال للابان ما هذا الذي صنعت بي. أليس براحيل خدمت عندك. فلماذا خدعتني. فقال لابان لا يفعل هذا في مكاننا، أن تعطى الصغيرة قبل البكر. أكمل أسبوع هذه فنعطيك تلك أيضاً بالخدمة التي تخدمني أيضاً سبع سنين آخر. ففعل يعقوب هكذا.²

وأراد لابان أن يكرم يعقوب على إخلاصه ويبقيه في خدمته، ويترك له تحديد الأجر. فطلب يعقوب أن تكون أجرته من الغنم كل شاة رقطاع وبلقاء، وكل شاة سوداء بين الخرفان، وبلقاء ورقطاء بين المعزى. فوافق لابان. ورسم يعقوب خطة جهنمية لغشّ سيده لابان... والانتقام منه بطريقة عجيبة ماكرة،

"فأخذ بنفسه قضباناً خضراً من لبنى ولوز ودلب، وقشّر فيها خطوطاً بيضاً كاشطاً عن البياض الذي على القضبان. وأوقف القضبان التي قشرها في الأجران في مساقى الماء تجاه الغنم، حيث كانت الغنم تجيء لتشرب.. لتتوحّم عند مجيئها لتشرب. فتوحّمت الغنم عند القضبان، وولدت الغنم مخططات ورقطاً وبلقاء. وأفرز يعقوب الخرفان، وجعل وجوه الغنم إلى المخطط، وكلّ أسود بين غنم لابان. وجعل له قطعاناً وحده، ولم يجعلها مع غنم لابان. وحدث كما توحّمت الغنم القوية، أنّ يعقوب وضع القضبان أمام عيون الغنم في الأجران لتتوحّم بين القضبان. وحين استضعفت الغنم لم

1. سفر التكوين ص 17-5\27.

2. المصدر السابق ص 21\29-28.

يضعها. فصارت الضعيفة للابان والقوية ليعقوب. فأتسع الرجل كثيرًا جدًا وكان له غنم كثير وجوار وعبيد وجمال وحمير".¹

وهذا إلههم يبارك هذه السرقات لا بل يشارك بها ويطلب نصيبه منها: "لأنَّ الربَّ إلهك آت بك إلى أرض جيدة، أرض أنهار من عيون وغمار تتبع في البقاع والجبال. أرض حنطة وشعير وكرم وتين ورمان. أرض زيتون وزيت وعسل. أرض ليست بالمسكونة تأكل فيها خبزًا ولا يعوزك فيها شيء. أرض حجارتها حديد ومن جبالها تحفر نحاسًا... احترز من أن تنسى الربَّ إلهك... ولئلا تقول في قلبك، قوتي وقدرتي يدي اصطنعت لي هذه الثروة. بل أذكر الربَّ إلهك أنه هو الذي يعطيك قوة لاصطناع الثروة لكي يفني بعهدته الذي أقسم لأبائك كما في هذا اليوم".²

وفي رحلة التيه أنزل الله عليهم المن والسلوى يأخذونهما بلا عناء ومشقة كما مرَّ معنا. وقال لهم: "النقظوا كل واحد حسب أكله... ولا يبق أحد منه إلى الصبح، لكنهم لم يسمعوا لموسى عليه السلام، بل أبقي منه أناس إلى الصباح. فتولد فيه دود وأنتن، فسخط عليهم موسى".³

ولكنهم لم يرتدعوا. وقد أوضح كتابهم المقدس ذلك بدلالة قاطعة وأشار إلى جشعهم وطمعهم. يقول: "اليوم تجدونه في الحقل. سنة أيام تلتقطونه. أمّا اليوم السابع ففيه سبت لا يوجد فيه. وحدث في اليوم السابع أن بعض الشعب خرجوا ليلتقطوا فلم يجدوا. فقال الرب إلى متى تأبون أن تحفظوا وصاياي وشرائعي".⁴

مع العلم "أنَّ الربَّ يعطيهم في اليوم السادس خبز يومين".⁵ فلا يخشون فقدان الطعام. ولكنَّه الطمع الذي أعمى أبصارهم وأصمَّ آذانهم وأفقد قلوبهم الحساسية. وغريزة الطمع والجشع وعبادة المال، وخاصة ما كان ذهبًا وفضة، أصيلة في نفوس اليهود منذ خلقهم الله. وثبتَّها في نفوسهم ونماها إلههم المحبُّ للذهب والفضة.

1. المصدر السابق ص 37\30-43.

2. تثنية ص 7\8-18.

3. سفر الخروج 16\16-17-18-19.

4. المصدر السابق 16\25-26-27.

5. المصدر السابق 16\29.

"وكلم الرب موسى عليه السّلام قائلاً. كلم بني إسرائيل أن يأخذوا لي تقدمة. من كل من قلبه سموح تأخذون تقدمتي. وهذه هي التقدمة التي تأخذونها منهم. ذهب وفضة ونحاس وإسمانجوني وأرجوان وقرمز وبوص وشعر معزى وجلود كباش محمرة وجلود نخس وخشب سنط وزيت للمنارة وأطيباً لدهن المسحة وللبخور العطر وحجارة جزع وحجارة ترصيع للرداء والصدرة. فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم. بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعون".¹

ويلغ من شدة حبهم للذهب أنهم صنعوا منه عاجلاً وعبوده، فجاءت التوراة تفتري على هارون عليه السّلام وتنسب إليه صنع عجل الذهب.

"فقال لهم هارون عليه السّلام انزعوا أقرط الذهب التي في أذان نسائكم وبنيتكم وبناتكم، وآتوني بها. فنزع كل الشعب أقرط الذهب التي في أذانهم وآتوا بها إلى هارون عليه السّلام. فأخذ ذلك من أيديهم، وصوره بالإزميل وصنعه عاجلاً مسبوگًا. فقالوا هذه آلهتك التي أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هارون عليه السّلام بني مذبحاً أمامه...".²

وجاء في وصايا موسى عليه السّلام لا تسرق مال القريب، فسّر علماء التلمود هذه الوصية بجواز أن يسرق اليهودي مال الغريب أي غير اليهودي فسلب ماله ليس مخالفاً للوصايا... فعد سرقة مال غير اليهودي استرداداً لأمواله من ساليها.³

وقال ميمانند مفسراً لقوله تعالى في الوصايا (لا تسرق): إنّ السرقة غير جائزة من الإنسان أي من اليهودي، أما الخارجون عن دين اليهود فسرقتهم جائزة⁴، وجاء في كتاب (الروسيا اليهودي، ص119): إنّ الحكام اليهود يبيعون للأفراد الحق في سلب أموال أشخاص معينين من المسيحيين. وبعد حصول البيع يكون المشتري دون غيره من اليهود، له الحق في عمل الطرق اللازمة لوضع يده على أموال ذلك المسيحي.

1. المصدر السابق 125-5.

2. سفر الخروج ص 2132-5.

3. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص73، متى 2: 18.

4. التلمود ص142.

فأموال ذلك المسيحي التي كانت مباحة تصبح ملكاً لذلك المشتري من وقت عقد البيع.¹

وجاء في التلمود أنّ الرباي صموئيل (أحد الحاخامات المهمين) كان رأيه أنّ سرقة الأجنب مباحة، وقد اشترى هو نفسه من أجنبي آنية من الذهب، وكان يظنّها الأجنبي نحاساً، ودفع ثمنها أربعة دراهم فقط، وهذا ثمن بخس، وسرق درهماً من البائع.²

والسرقة من الأجنب ليست سرقة عندهم بل استرداد لأموالهم. فإذا قال الحاخام التلمودي لا تسرق، يكون الغرض من ذلك عدم سرقة اليهودي. وأما الأجنبي فسرقته جائزة لأنهم يعتقدون أنّ أمواله مباحة، ولليهودي الحقّ في وضع اليد عليها... واشترى (الرباي كهانا) مائة وعشرين برميلاً من النبيذ ولم يدفع للأجنبي إلا ثمن مائة منها فقط!! وباع أحد الرّيبين لأجنبي شجراً معدّاً للكسر ثم نادى خادمه وأمره أن يكسر بعضها ويسرقه، لأنّ المشتري وأن كان يعرف عددها لكنه يجهل حجم كل قطعة منها.³ إذا سرق أحدكم أو نهب أو استولى على امرأة جميلة، أو ارتكب آية آثام أخرى... أقول أنّه إذا تمّ ذلك بين غير يهودي وآخر غير يهودي أيضاً. فيجب إعادة المسروقات إلى صاحبها. أمّا إذا سرق اليهودي غير اليهودي، فيمكنه الاحتفاظ بالمسروق. وضرب الرباي عشي مثلاً لذلك فقال: إني نظرت كرمًا حاملاً عنبًا، فأمرت خادمي أن يستحضر لي منه إذا ظهر أنّه تعلق بأجنبي، وأن لا يمسه إذا ظهر أنّه تعلق بيهودي.⁴

ويصف الله تعالى سرقتهم واحتيالهم:

1. المصدر السابق ص145.

2. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص76 و جذور البلاء ص80.

3. التلمود ص 145.

4 المصدر السابق ص 145.

﴿وَمَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ
بِدينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي
الْأُمِينِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾¹

الربا

لجأ اليهود من أجل سرقة مال غير اليهود إلى وسيلة دنيئة غدت وقفاً عليهم ورمزاً
على جشعهم، فبرعوا فيها وأتقنوا فنّها، ونجحوا في تخريب الحكومات والشعوب والأسر
نتيجة ممارستها، تلك الوسيلة هي الربا.

ولقد افترن تاريخ اليهود الاقتصادي بالربا حتى أنّ كلمة "يهودي" أصبحت مرادفة
لكلمة "مراب"، وحتى باتت الملكية اليهودية ثمرة العمليات الربوية التجارية.

قال أحد فقهاءهم إنّ اليهود يعملون بالتجارة والربا، لأنهم بهذه الطريقة يحققون
أرباحاً كبيرة سريعة دون أن يعملوا، وبذلك يتفرغون لدراسة التوراة.²

وحيث جاء الإسلام، حاربهم في أعزّ ما لديهم في الحياة، حاربهم في جشعهم
وحبهم لابتزاز مال غيرهم. حاربهم في الركن الأساسي الذي تقوم عليه أنظمة حياتهم
الاقتصادية المبنية على استغلال جهد غير اليهود في سبيل تأمين حياة رغبة لشعب
الله المختار. حارب الإسلام الربا عدوّ الإنسانية والسيف البتار الذي يقطع به اليهود
النظام الاجتماعي للبشر كافة.³ قال تعالى:

﴿يَمْحُكُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾⁴

1 آل عمران 75.

2 موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية 87/2.

3 جذور البلاء ص 108.

4. البقرة 276.

وقال أيضاً: ﴿فِظْلِهِم مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّت لَّهُمْ
وَبَصَدَّتْهُم عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٦﴾ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ
النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦٧﴾﴾¹

وفي التوراة نصوص تجوز لبني إسرائيل الظلم والفجور، والاستغلال الربوي مع كل البشر إلا اليهود.² فمما ورد فيها: "لا تقرض أخاك بربا، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا. للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا، لكي يباركك الرب إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها".³

وجاء أيضاً "يسمح بغش الأمي وأخذ ماله بواسطة الربا الفاحش، ولكن إذا بعت أو اشتريت من أخيك اليهودي شيئاً فلا تخدعه ولا تغشه".⁴

أمرنا الله بأخذ الربا من الذمي وأن لا نقرضه شيئاً إلا تحت هذا الشرط (أي الربا). وبدون ذلك نكون ساعدناه مع أنه من الواجب علينا ضرره، ولو أنه هو قد ساعدنا. أمّا الربا فمحرم بين الإسرائيليين بعضهم لبعض. وادعى أحد الحاخامات أن أقوال موسى عليه السلام بخصوص الربا بصيغة الأمر. ومباح تعاطيه مع غير اليهود، وقال الحاخام ليفي بن جرسون، إن حياة الأجنبي ملك يد اليهودي فكيف بأمواله.⁵

وكل ما سبق مطابق لما قاله الحاخام شواب، من أنه إذا احتاج مسيحي لبعض النقود، فعلى اليهودي أن يستعمل معه الربا المرة بعد الأخرى، حتى لا يمكنه من أن يدفع ما عليه إلا بتنازله عن جميع أمواله!! فإن تنازل فيها، وإلا طلب حقه أمام المحاكم، ووضع يده على أملاكه بواسطتها!⁶

1. النساء 160-161.

2. فلسطين التاريخ المصور ص 50.

3. تثنية ص 19: 23-20.

4. التلمود ص 136.

5. جذور البلاء ص 81 والتلمود ص 148.

6. التلمود ص 149.

وجاء في التلمود: غير مصرّح لليهوديّ أن يقرض الأجنبي إلا بالربا، وقال عن الأميّ في موضع آخر، موجّهًا أقواله لليهود: (حياته بين أيديكم فكيف بأمواله) أي مصرّح لكم بزيادة قيمة الفوائد واستعمال الربا وارتكاب السرقة والنهب مع الأميّ!¹ في يوم كول حامود، يحرم القيام بأية نشاطات عملية، ويسمح فقط بتعاطي الربا مع الأغيار، لأنّ التعامل بالربا معهم أمر يسرّ الربّ في أيّ وقت.² وقال الرابي يهوذا مصرح لليهودي أن يعير أولاده وأهل بيته بالربا، من أجل تمرينهم ليذوقوا حلاوة الربا ويفدّروه حقّ قدره ويمارسونه مع غير اليهود.³ وجاء في التلمود أنّ صموئيل أجاز للحاخامات أن يطلبوا الربا من بعضهم، وفي هذه الحالة يعتبر أنّ الربا كهديّة يريد أحدهم إهداءها للآخر، ويتمسكون بإعارة ابن أصي لصموئيل مائة رطل من الفلفل على شرط أن يردها إليه مائة وعشرين رطلاً!!⁴

وفي براخوت ص 20: يوجد في هذا الفصل مقالة يشرح الله فيها للملائكة مسوغات تصرّحه بالربا لليهود فقط، فقال الله: لأنّي أوصيتهم أن لا يأكلوا ويشبعوا إلا ويسبّحوني، فزادوا على ذلك إنهم يحمدوني حتى إذا أكلوا بيضة واحدة أو بقدر حبة زيتون.⁵

البخل

قال تعالى يصف بخل اليهود:

﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾⁶

يقول العلامة رشيد رضا رحمه الله في تفسير هذه الآية:

1 المصدر السابق ص 147.

2 اليهود ص 166.

3 جذور البلاء ص 81.

4 الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 81.

5 المصدر السابق ص 163.

6. النساء 53.

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ قَالُوا إِنَّ (أم) هنا منقطعة، وهي عند جمهور البصريين للإضراب والاستفهام، والمراد بالإضراب هنا: الانتقال من توبيخهم على الإيمان بالجبت والطاغوت وتفضيل المشركين على المؤمنين، إلى توبيخهم على البخل والشح والأثرة. واختار الأستاذ الإمام (محمد عبده) أَنَّ (أم) إذا وقعت في أول الكلام تكون للاستفهام المجرد، والاستفهام هنا للإنكار، والتوبيخ يستفاد من قرينة المقام، أي ليس لهم نصيب من الملك كما لهم نصيب من الكتاب، بل فقدوا الملك كله بظلمهم وطغيانهم فإذًا لا يُؤثِّونَ النَّاسَ نَقِيرًا، أي ولو كان لهم نصيب من الملك لسلخوا فيه طريق البخل والأثرة بحصر منافعه ومرافقه في أنفسهم، فلا يعطون الناس نقيرًا منه إذ ذاك. والنقير هو النقرة أو النكتة في ظهر نواة التمر، وهي الثقب التي تنبت منها النخلة، شَبَّهت بما نقر بمنقار الطائر أو منقار الحديد الذي تحفر به الأرض الصلبة. والنقير كالفتيل في الآية.

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فِتْيَلًا﴾¹ يضرب به المثل في الشيء القليل والحقير والتافه.

وحاصل المعنى: أَنَّ هؤلاء اليهود أصحاب أثرة شديدة، وشح مطاع، يشقّ عليهم أن ينتفع منهم أحد غير أنفسهم، فإذا صار لهم ملك حرصوا على منع الناس أدنى النفع وأحقره.²

وهم ليسوا بخلاء فقط، وإنما يحضّون ويشجّعون الناس عليه.

وروى ابن إسحق وابن جرير وابن المنذر بسند صحيح عن ابن عباس قال كان كردم بن زيد حليف كعب بن الأشرف وأسامة بن حبيب ونافع ابن أبي نافع وبحري بن عمرو وحبيّ بن أخطب ورفاعة ابن زيد بن التابوت (كلهم من اليهود) يأتون رجالاً من الأنصار يستنصحون لهم، فيقولون لهم لا تنفقوا أموالكم فإننا نخشى عليكم الفقر في ذهابها، ولا تسارعوا في النفقة فإنكم لا تدرّون ما يكون. فأنزل الله تعالى:

1. النساء 49.

2. تفسير المنار 5: 159.

﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَاءَ آتِهِمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِمًا﴾¹

وتناولوا على الله عز وجل واتهموه بالبخل:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾²

والمشهور من معنى غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ، أمسكت أيديهم وانقبضت عن العطاء والإنفاق في سبيل البر والخير، وهو دعاء عليهم بالبخل. وما زالوا أبخل الأمم فلا يكاد أحد منهم يبذل شيئاً إلا إذا كان يرى أن له من ورائه ربحاً.³

أكل السحت

وكذلك فشا فيهم أكل السحت وأكل أموال الناس بالباطل قال تعالى: ﴿سَمَّعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَلُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾⁴

فسر ابن مسعود السحت بالرشوة في الدين، وابن عباس بالرشوة في الحكم، وعليّ بالرشوة مطلقاً، قيل له: الرشوة في الحكم، قال: ذلك الكفر. وقال عمر: بابان من السحت يأكلهما الناس: الرشا في الحكم ومهر الزانية. فأفاد أن السحت أعم من الرشوة. ومن فسره بالرشوة المطلقة أو المقيدة فقد أراد به أنه المراد من الآية باعتبار نزولها في أخبار اليهود ورؤسائهم.⁵

1. النساء 37
2. المائدة 64
3. تفسير المنار 454\6.
4. المائدة 42
5. تفسير المنار 392\6.

ومن صور الاحتيال عندهم، عدم رد المال المفقود، يقول تلمودهم:
على اليهودي أن لا يردّ للأميّ ماله المفقود، ولو كان عارفاً أنّه صاحبه. وإذا ترك
أمي شيئاً عند يهودي فمصرّح (مرخص) لهذا الأخير عدم رده إليه والانتفاع به.
وبالجملة فإنّه يحلّ لليهودي اختلاس أموال باقي الأمم وسرقتها لولا مخافة الحكام.¹
وقال الرابي جريكام إذا فقد أجنبي سنداً محرّراً على يهوديّ بدين ما، ووجده
يهوديّ، فيمتنع رده إليه، لأنّ الدين يسقط بوجود السند تحت يد يهوديّ. وإذا قال من
وجده إتي أردّه لصاحبه احتراماً لاسم الله وتأدية للحقّ، فيلزم الردّ عليه بما يأتي، وهو:
(إذا أردت أن تحترم أسم الله فادفع الدين من مالك)!!

ومعنى احترام اسم الله لدى اليهود وتمجيده: السعي في علوّ شأن الديانة اليهودية
بواسطة إصلاح الظواهر، ولو كانوا أشراراً في الباطن!!
وقال الحاخام (رشي) المشهور: من يردّ شيئاً مفقوداً لأجنبي فقد اعتبره في درجة
الإسرائيلي. وقال (ميمانود) يذنب اليهوديّ ذنباً عظيماً إذا ردّ للأميّ ماله المفقود،
لأنّه بفعله هذا يقوّي الكفرة، ويظهر اليهوديّ بذلك أنّه يحبّ الوثنيين، ومن أحبّهم فقد
أبغض الله!²

جاء في التلمود أنّ الله لا يغفر ذنباً ليهوديّ يردّ للأميّ ماله المفقود، وغير جائز
ردّ الأشياء المفقودة من الأجانب.³

الغش:

مارس الرابي كهانة الغشّ والسرقه بنفسه حين اشترى مائة وعشرين برميلاً من
النبيز ولم يدفع للأجنبي إلا ثمن مائة برميل فقط.⁴

1. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص155.

2. التلمود ص146.

3. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص77.

4. جذور البلاء ص80.

وإذا جاء أجنبي وإسرائيلي أمامك بدعوى فإذا أمكنك أن تجعل الإسرائيلي رابعًا فافعل وقل للأجنبي هكذا تقضي شريعتنا (إذا حصل ذلك في مدينة يحكم فيها اليهود)، وإذا أمكنك وفقًا لشريعة أجنبي فاجعل الإسرائيلي رابعًا، وقل للأجنبي هكذا تقضي شريعتك. فإذا لم تتمكن من كلا الحالين... فاستعمل الغشّ والخداع في حقّ هذا الأجنبي حتىّ تجعل الحقّ لليهودي.¹

ويجوز تداخل يهوديّ آخر مع الأوّل بصفة شريك لينتفقا معًا على اللزوم إجراؤه لاسترداد ذلك المال، لأنّ أموال الأُميين مباحة وكلّ يهوديّ الحقّ في وضع يده عليها، وعلى اليهوديّين المذكورين أن يقتسما ما يتحصلا عليه من الأموال، لأنّه إذا اشترك اثنان من اليهود في سرقة أو غشّ أو نهب أحد الأجنبيّ، فالقسمة بينهما واجبة.²

وإذا وقع غير يهوديّ فريسة بين أنياب يهوديّ، يحق لليهوديّ آخر أن يقرض الضحية مالًا ويخادعه بغية إفلاسه وتجريده من كل ما يملك، ذلك لأنّ أملاك غير اليهودي، حسب شريعتنا، ليست ملكًا لأحد، ولأوّل يهوديّ يصادفها مطلق الحقّ في الاستيلاء عليها.³

سأل القدوس، المبارك، روما: "ماذا كان يشغلك في العالم" فأجابت على هذا، بقولها: "يارب الكون! لقد أسّسنا أسواقًا عديدة. وبنينا حمّامات كثيرة، وأكثرنا من الذهب والفضّة إلى درجة كبيرة ولقد فعلنا هذا كله لصالح إسرائيل، وذلك كي نتمكن من دراسة الشريعة.⁴

1. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص75.

2. التلمود ص 143.

3. اليهود ص 166.

4. عبدة الأوثان ص 20.

4. الحسد والحقد:

وهذه حقيقة تاريخية معروفة ومؤكدة، ولم يجلبها على نطاق واسع إلا القرآن العظيم الذي فصل أمرها، وردّها إلى جذورها ومنابتها العفنة، وكشف مداخلها ومخارجها في "النفسية اليهودية"، وساق للناس دلائلها من واقع التاريخ اليهودي الذي كان قد طمس، وجهلت حقائقه وحوادثه، وما وراءها من بواعث وأهداف.¹

ظهرت هاتان الصفتان بداية مع إخوة يوسف عليه السّلام أولاد يعقوب عليه السّلام. وبرز حسدهم اللّئيم على أخيه يوسف بشكل واضح لأنّ والدهم يعطف عليه أكثر.

﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ آبَاءَنَا لَفِي ضَلَالٍ

مُبين ⑧ ﴿²

انقلب هذا الحسد إلى حقد قاتل على أبيهم واتهموه بالضلال، ثم على أخيهم حتى وصل بهم الأمر إلى حد ارتكاب الجريمة،

﴿ أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا

صالحين ① ﴿³

فحسدوا المسلمين وحقدوا عليهم، قال تعالى واصفًا حالهم:

﴿ مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ

عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو

الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ⑤ ﴿⁴

1. معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص 34.

2. يوسف 8.

3. يوسف 9.

4. البقرة 105.

وقال أيضاً:

﴿يَأْيَأُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾﴾¹

بطانة الرجل من يسر إليه بالأمور المهمة ثقة به، شبه ببطانة الثوب.

﴿مِن دُونِكُمْ﴾ من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون لا يألونكم خبالاً، الخبال:

الفساد.

﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ﴾ شدة الضرر والمشقة، يحبون ما يجلب لكم المشقة،

﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ لأنهم لا يمتلكون مع ضبطهم أنفسهم

وتحاملهم عليها أن ينفلت من أسنتهم ما يعلم به من بغضهم للمسلمين.

﴿إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصْبِرُوا

وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١١٩﴾﴾²

﴿إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ﴾ الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع.

﴿تَسُؤْهُمْ﴾ والسَيِّئَةُ ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم

على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما أصابهم من الشدة.

﴿وَإِن تَصْبِرُوا﴾ على معاداتكم،³ ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾

أنهم يرون أنفسهم أحقّ بأن يوحى إليهم، فيحسدونكم، وما يحبون أن ينزل عليكم

شيء من الوحي، والله يختص بالنبوة من يشاء.⁴

وقال أيضاً:

1. آل عمران 118.

2. آل عمران 120.

3. الكشف ج1، ص 435.

4. المصدر السابق ج1، ص 201.

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُقَارًا
حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى
يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٦﴾ ١.

هذا الحسد هو الذي دفعهم إلى محاربة الرسول عليه السّلام والمسلمين، والتحالف مع المشركين، قال تعالى:

﴿ أَمْرٌ يَخْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ
الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ٢.

﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُقَارًا
حَسَدًا ﴾ نزلت هذه الآيات لمناسبة تحالف اليهود مع قريش في غزوة الأحزاب، والسبب هو حسدهم للمسلمين وكرههم لهم، وهذا الحسد الذي تحول إلى حقد دفين في قلوبهم.

روي: أن فنحاص بن عازوراء وزيد بن قيس ونفراً من اليهود، قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد واقعة أحد: ألم تروا ما أصابكم، ولو كنتم على الحق ما هزمتم، فارجعوا إلى ديننا فهو خير لكم وأفضل، ونحن أهدى منكم سبيلاً، فقال عمار: كيف نقض العهد فيكم؟ قالوا: لشديد. قال: فإني قد عاهدت أن لا أكفر ما عشت. فقال اليهود: أما هذا فقد صبا. وقال حذيفة: وأما أنا فقد رضيت بالله رباً، وبمحمد نبياً، وبالقرآن إماماً، وبالكعبة قبلة، وبالمؤمنين إخواناً. ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه، فقال: "أصبتما خيراً وأفلحتما". فنزلت.

قوله: ﴿ مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ ﴾ أنهم تمنّوا أن ترتدوا عن دينكم، وتمنّيهم ذلك من عند أنفسهم ومن قبل شهرتهم لا من قبل التدين والميل

1 البقرة 109
2 النساء 54

مع الحق، ﴿ فَأَعْفُوا وَأَصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ ﴾ الذي هو قتل بني قريظة وإجلاء بني النضير وإذلالهم بضرب الجزية عليهم.¹

وهذا الحقد اليهودي موجّه إلى الناس جميعاً من قديم، ولم تفلت منه أمة قط، بل إنهم ليمدّونه إلى عالم الغيب، بعد أن ضاقت عنهم الأحياء والأشياء في عالم الشهادة!! فيحقدون على جبريل عليه السّلام لأنّه ملك العذاب بزعمهم.

إنّ يهودياً لقي عمر فقال له: إنّ جبريل الذي يذكره صاحبك هو عدوّ لنا فقال له عمر: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾² فنزلت على لسان عمر.³

ونقطة مهمة برزت في عصر التشرّد، وتلك أنّهم وقد فقدوا وطنهم حقدوا على كل من له وطن وكرهوا الأوطان والمواطنة.⁴

وتنظّم الشعب اليهودي تنظيمًا قتاليًا، يجعلهم أهلاً للسيطرة على أعدائهم من الغوييم. وتركز تركيزاً خاصاً على الحقد الأبدي الذي يجب على اليهود تربيته في نفوسهم ضد أعدائهم التقليديين أي الغوييم.⁵

ذكر في كتاب التلمود: غير جائز أن تشفقوا على ذي جنّة.⁶ وهارسينيه من التعابير الرائجة عندهم ومعناها جبل سيناء، الذي تتطلق منه أشعة سيناء، أي الشعور بكرهية جميع شعوب العالم.⁷

1. الكشاف ج 1 ص 202.

2. البقرة 98.

3. تفسير الطبري 302\2 .

4. اليهودية ص 99.

5. التوراة تاريخها وغاياتها ص 33.

6. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 70.

7. اليهود ص 173 .

5. المكر والخداع:

اتصف اليهود بالكيد والمكر والخداع وكثرة مؤامراتهم على الناس جميعاً، وحتى على بعضهم البعض، عندما تتعارض مصالحهم. ويصبح أدهى وأمرّ في أجيالهم، كما يصّورهم العهد القديم، فيمكر بعضهم ببعض ويعصون أوامر الله ويرتكبون المحرمات والشور خفية وجهاً، ويضطهدون الصالحين منهم فينزل الرب بهم غضبه وسخطه من حين لآخر ويسلط عليهم بذنوبهم الوثنيين من الأمم الأخرى.¹

فها هم أبناء نبيّ الله يعقوب عليه السّلام يفعلون بأبيهم وأخيهم يوسف عليه السّلام الأفاعيل. فإذا تأملت فصول المؤامرة التي حاكوها للاحتيال على أبيهم، لأخذ أخيهم معهم وقتله، وطريقة فعل ذلك، ترى نفسك أمام أساتذة المكر والخداع.

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَصِحُونَ ﴿١١﴾﴾²

هذه الرقة وهذا العطف الزائد يكاد يشي بكيدهم... وبعد إلقائه في الجب جاءوا ليلاً ليكون ويندبون كي لا يظهر مكرهم وخداعهم. ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً

يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾³

ولكنّ هذا المكر والخداع لم ينطل على سيدنا يعقوب عليه السّلام فقال لهم:

﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ

وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾⁴

وما لبث أبناء يعقوب، حينما اكتشفوا أن أباهم يؤثر يوسف بمحبته، أن تأمروا عليه، ونفسوا عن الحقد الذي كان يأكل صدورهم، ونفذوا جريمة ماكرة غادرة، بأن باعوا أخاهم بعشرين من الفضة.

1. النشاط السري اليهودي ص 36.

2. يوسف 11.

3. يوسف 16.

4. يوسف 18.

﴿وَشَرَّوْهُ بِشَمَنِ بَحْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾¹

قال يهوذا لإخوته ما الفائدة أن نقتل أخانا ونخفي دمه. تعالوا فنبيعه للإسماعيليين ولا تكن أيدينا عليه لأنه أخونا ولحمنا. فسمع له أخوته. واجتاز رجال مديانين تجار. فسحبوا يوسف وأصعدوه من البئر وباعوا يوسف للإسماعيليين بعشرين من الفضة".²

ويوسف الصديق -عندهم- عليه السلام، لا يقلّ عنهم مكرًا وخداعًا. فيستطيع بدهائه أن يشتري ويسلب المصريين أموالهم وأملاكهم لصالح العزيز كما مرّ سابقًا... وتأمّل في مكرهم واحتياهم على تعاليم الله سبحانه، فقد حرّم عليهم الشحوم...

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾³

روى البخاري: (لعن الله اليهود حرّمت عليهم الشحوم فباعوها وأكلوا أثمانها).⁴ وها هي قرية بمعظمها حرّم الله عليهم الصيد يوم السبت بناء لطلبهم، فمكروا واحتالوا:

﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾^{١٦٦} وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَعَلَاهُمْ يَتَقُونَ﴾^{١٦٤} فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا

1. يوسف 20.

2. تكوين ص 13:34 - 19.

3. الأنعام 146.

4. أخرجه البخاري في صحيحه (ص 629 ح 3460)، كتاب: الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل من طريق طاووس عن ابن عباس في موضع آخر بلفظ: "قاتل الله اليهود...". ومسلم في صحيحه (ص 685 ح 1582) كتاب: المساقاة.

الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَعْضٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٦﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِعِينَ ﴿١٦٧﴾¹

كانت الحيتان لا تأتيهم في غير السبت شرعاً ظاهرة على الماء من كل مكان، فإذا أمسى ذهب، فلا يرى شيء منها إلى السبت الثاني، فاتخذوا خيوطاً وجعلوا يأخذون الحيتان في السبت ويربطونها في الخيوط إلى أوتاد في الماء ويتركونها فيه، فإذا أمسوا ليلة الأحد أخرجوه فأكلوه.²

ويصور الله سبحانه وتعالى هذه الدرجة العالية في المكر والخداع:

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾³ ﴿٥٦﴾

وهذا نموذج من مكرهم للتشويش على المؤمنين، إذ أنهم لا يكتفون بضلال أنفسهم، بل يريدون أن يضلوا المؤمنين أيضاً. قال تعالى يصف إحدى مكائدهم:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونَهُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُرُونَ بِالْحَقِّ وَأَنْتُمْ تَعْمُونَ﴾ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجَهُ النَّهَارِ وَكُفِّرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ...﴾⁴

أي آمنوا بالذي أنزل وجه النهار وكفروا آخره أي: أظهروا الإيمان بالقرآن المنزل عليه أول النهار، وأظهروا ما أنتم عليه من الكفر آخره، مرآتين لهم أنكم آمنتم به بادئ الأمر من غير تأمل، ثم تأملتم فيه فوقفتم على خلل رأيكم الأول فرجعتم عنه، لعلهم أي المؤمنين. يرجعون عما هم عليه من الإيمان كما رجعتم، والمراد بالطائفة، كعب بن الأشرف ومالك بن الصيف، قالوا لأصحابهما، لما حوّلت القبلة آمنوا بما أنزل عليهم من

1. الأعراف 163-166.

2. مختصر تفسير الطبري ص 171.

3. إبراهيم 46.

4. آل عمران 71-73.

الصلاة إلى الكعبة، وصلوا إليها أول النهار ثم صلوا إلى الصخرة آخراً، لعلمهم يقولون هم أعلم منا وقد رجعوا فيرجعون. وقيل هم اثنا عشر رجلاً من أحبار خيبر، تناولوا بأن يدخلوا في الإسلام أول النهار، ويقولوا آخراً، نظرنا في كتابنا وشاورنا علماءنا فلم نجد محمداً بالنعته الذي ورد في التوراة، لعل أصحابه يشكون فيه.

﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ﴾ لا تظهروا إيمانكم وجه النهار إلا لمن على

دينكم من قبل، فإن رجوعهم أرجى وأهم...¹

وفي كتبهم يصورون أنبياءهم أساتذة في المكر والخداع، فلم يتركوا نبياً إلا ونسبوا له هذه الصفات.

فهذا نبيهم يعقوب عليه السلام يحصل على النبوة عن هذا الطريق ويسرقها من أخيه عيسو. كما مرّ سابقاً ..

وما أكثر دروس الاحتيال والمكر التي تسردها التوراة ناسبة أغلبها إلى أنبيائهم. قصة أبناء يعقوب مع شكيم الذي تزوج بأختهم، تعتبر الدرس الأول من هذه الدروس اللاأخلاقية. فهم بعد أن مكروا وخدعوا آل شكيم وأفنعوهم بالاختتان لتتم المصاهرة ويصبح الشعبان شعباً واحداً، انقلبوا عليهم بعد إتمام عملية الاختتان وأبادوهم.²

وخليل الله إبراهيم عليه السلام لم ينج من افتراءاتهم فصوّروه نموذجاً للمكر والخداع، يستخدم أسلوب الغاية تبرر الوسيلة، ولم يخجلوا أن صوّروه رجلاً يرضى الفاحشة في أهله لينال خيراً بسببها:

"وحدث جوع في الأرض. فانحدر إبرام إلى مصر ليتغرب هناك. لأنّ الجوع في الأرض كان شديداً. وحدث لما قرّر أن يدخل مصر أنّه قال لسارة أي امرأته إني قد علمت أنك امرأة حسنة المنظر. فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك. قللي إنك أختي، ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك. فحدث لما دخل إبراهيم إلى مصر أنّ المصريين رأوا المرأة أنها حسنة جداً. ورآها

1. أبو السعود ص49-50.

2. مرت سابقاً ص193.

رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون. فأخذت المرأة إلى بيت فرعون. فصنع إلى إبرام خيراً بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال.....¹ وتكرّر الأمر نفسه مع أبيمالك في الجنوب، وأخذ أبيمالك غنماً وبقراً وعبيداً وإماء وأعطاهما لإبراهيم ورد إليه سارة امرأته.....²

وكذلك فعل إسحق بن إبراهيم يوم أمره ربّ يهود أن يتغرّب:
"وسأله أهل المكان عن امرأته. فقال هي أختي. لأنه خاف أن يقول امرأتي: لعلّ أهل المكان يقتلونني من أجل رفقّة لأنها كانت حسنة المنظر. وحدث إذ طالت له الأيّام هناك أنّ أبيمالك ملك الفلسطينيين أشرف من الكوّة ونظر وإذا إسحق يلاعب رفقّة امرأته. فدعا أبيمالك إسحق وقال إنّما هي امرأتك. فكيف قلت هي أختي. فقال له إسحق لأنني قلت لعلي أموت بسببها."³

وما دامت الغاية في نظر أنبياء التوراة تبرّر الوسيلة فلماذا لا يطبقها الملوك؟
فها هو أخاب ملك السامرة، يعجبه كرم جاره نابوت، فيحاول شراءه. إلا أنّ نابوت لا يبيع الكرم الذي ورثه عن أبيه. فيكتتب الملك أخاب وتهرع زوجه إيزابيل إلى نجدته. وترسم الخطة الغادرة الماكرة التي توصل الملك إلى غايته. وتدبر إيزابيل الخطة وتستدعي رجلين ليشهدا أن نابوت قد جدّف على الله وعلى الملك، فيرجمه كهنة بني إسرائيل ليخلو للملك الجوّ فيستولي على كرم نابوت..⁴ "ففعل رجال مدينته الشيوخ والأشراف الساكنون في مدينته كما أرسلت إليهم إيزابيل كما هو مكتوب في الرسائل التي أرسلتها إليهم. فنادوا بصوم وأجلسوا نابوت في رأس الشعب. وأتى رجلان من بني بليعام وجلسا تجاه الملك. فأخرجوه خارج المدينة ورجموه بحجارة فمات. وأرسلوا إلى إيزابيل يقولون قد رجم نابوت ومات. ولما سمعت إيزابيل أنّ نابوت قد رجم ومات قالت لأخاب قم رث كرم نابوت اليزرعيلي الذي أبى أن يعطيك إياه بفضّة،

1. تكوين ص 10:12 - 16.

2. المصدر السابق ص 1:20 - 14.

3. المصدر السابق ص 7:26 - 9.

4. جذور البلاء ص 58.

لأنّ نابوت ليس حيًّا بل هو ميت. ولما سمع أخاب أنّ نابوت قد مات قام أخاب لينزل إلى كرم نابوت اليزرعيلي ليرثه....¹.

ويأتي التلمود بعد ذلك ليأصلّ لهم المكر والخداع على شكل قوانين ودرساتير وشرائع يسировون عليها في حياتهم بين البشر، فمما ورد فيه: مباح استخدام النفاق والخيانة إذا كانت توصل اليهودي إلى هدفه في القضاء على غير اليهودي.²

يجب على اليهودي أن لا يسلم على الأميين إلا خوفًا من الضرر والعداوة مرة واحدة، وإذا حيوا الأميين بالسلام فإنهم يضمرون السلام لذاتهم وللمعلم الذي علمهم التوراة.³

محظور على اليهود تلموديًا أن يحيوا الكفار بالسلام ما لم يخشوا ضررهم وعدوانهم. فاستنتج من ذلك الحاخام بشاي: "إنّ النفاق جائز وإنّ الإنسان (اليهودي) يمكنه أن يكون مؤدّبًا مع الكافر ويدّعي محبته كاذبًا، إذا خاف وصول الأذى منه إليه".

مصرّح لليهودي إذا قابل أجنبيًّا أن يوجه له السلام ويقول له الله يساعدك أو يباركك على شرط أن يستهزئ به سرًّا ويعتقد أنّه لا يمكن أن يفعل خيرًا ولا شرًّا.⁴ وكان الرابي (كهانا) تعود أن يسلم على الأجانب بقوله: "الله يساعدكم" غير أن سلامه كان مضمّرًا لسيّده أو لمعلمه وليس للأجنبي.⁵

وذكر التلمود: جائز استعمال النفاق مع الكفار، وهؤلاء الكفار هم كلّ الخارجين عن الدين اليهودي.⁶

1. الملوك الأول ص 11:21 - 16.

2. جذور البلاء ص 82.

3. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 161.

4. المصدر السابق ص 70.

5. التلمود ص 141.

6. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 70.

إذا جاء أجنبي وإسرائيلي أمامك بدعوى فإذا أمكنك أن تجعل الإسرائيلي رابعًا فافعل.¹

وإذا ترفع يهوديان بأن تعين عليهما أن يترافعا أمام حكامهما. فإذا أراد أحد أن يرفع الدعوى أمام محكمة أجنبية يكون كافرًا ومجرمًا ومحرومًا من الديانة اليهودية، ولو حكمت المحكمة المذكورة طبقًا للشريعة اليهودية. وعلى الحاخام الأكبر أن يبذل الجهد في عقاب هذا المفترى ويتسبب في تضييع حقه ولو بشهود زور.²

وقال الرابي (برنز) في كتابه المسمى (بودنلج) يجتمع اليهود كل أسبوع بعدما يغشون المسيحيين ويتفاخرون على بعض بما فعل كل منهم من أساليب الغش، ويتداولون في ابتكار أساليب جديدة تساعد على ابتزاز مال الكفار ثم يفضون الجلسة بقولهم: (يلزمنا أن ننزع قلوب المسيحيين من أجسامهم ونقتل أفضلهم).³

وعلى الطبيب اليهودي أن لا يداوي أميًا مطلقًا ولو بالأجرة، إلا إذا أراد ضرره أو الانتفاع بأمواله. فإذا كان مبتدئًا في هذا الفن فيتعلم بمداواة باقي الأمم، ويجوز إجراء المعالجة مجانًا في هذه الحالة.⁴

مصرح لليهودي أن يغش الأجنبي من خلال التعامل معه في البيع والشراء والربا.⁵ والربا.⁵

جائز لبني إسرائيل أن يغشوا الكفار لأنه مكتوب يلزم أن تكون طاهرًا مع الطاهرين ودنسًا مع الدنسين.⁶

مصرح لليهودي بأن يغش مفتش الجمرك الخارج عن الديانة اليهودية ويحلف له يمينًا على شرط أن ينجح فيما لّفقه من الأكاذيب.⁷

مصرح لليهودي أن يغش مأمور الضرائب ويقسم له كاذبًا على أن ينجح في غشه وكذبه.⁸

-
1. التلمود ص 145 وكنز 160.
 2. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 156.
 3. جذور البلاء ص 180 والتلمود ص 145.
 4. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 159.
 5. جذور البلاء ص 80.
 6. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 50 - 51.
 7. التلمود ص 52.
 8. جذور البلاء ص 80.

اليمين الذي يؤدّيه اليهوديّ للأجنبي لا قيمة له ولا يلزم اليهودي بشيء لأنه لا أيمان بين اليهودي والحيوان... مباح لليهودي أن يحلف زورًا وبهتانًا، وأن يضمّر في نفسه غير الذي ينطق به...

لا يعتبر اليمين التي يقسم بها اليهودي في معاملاته مع باقي الشعوب يمينًا، لأنّه كأنّه أقسم لحيوان. فإذا اضطر اليهودي أن يحلف للمسيحي فله أن يعتبر ذلك الحلف كلاً شيء. ويجوز لليهوديّ الحلف زورًا، فلا يخطيء إذا حوّل اليمين لوجهة أخرى!!! وقد حلف الرابي (يوحان) يومًا لامرأة على ألا ييوح بسرّها قائلاً: إنّي ابوح بهذا السر أمام الله، ففهمت المرأة أنّ الحاخام يحلف لها بالله على كتمان السر مطلقًا مع أنّه حوّلته بالكيفية الآتية (أحلف أن لا ابوح بهذا السرّ أمام الله، ولكني سأفشيّه لبني إسرائيل).¹

مباح لليهوديّ أن يؤدّي عشرين يمينًا كاذبة يوميًا وتمحى ذنوب هذه الأيمان في اجتماعات الغفران التي يعقدها الحاخامات لشطب حساب الأيمان الكاذبة. وليس على اليهودي أن يردّ ما نهبه أو سرقه من الأجنبي لأجل التحصّل على ذلك الغفران..² وفيها يصلي اليهود صلاة يطلبون فيها الغفران عن خطاياهم التي فعلوها، والأيمان التي أدّوها زورًا، والعهود التي تعهّدوا بها فلم يقوموا بوفائها، وتقام هذه الصلاة في محفل عمومي ليلة عيد، وينطق بها الكاهن الخادم بمساعدة حاخامين. ويحصل ذلك في يوم واحد من كلّ سنة. ويمكن لليهود أن يتحصّلوا على ذلك الغفران في أيّ وقت كان من حاخام واحد، أو ثلاثة شهود.³

ينصّ التلمود على أنّه يجب على اليهودي أن يبذل جهده لمنع تسلط باقي الأمم في الأرض لتصير السلطة لليهود وحدهم. فإذا لم تكن لهم السلطة عدّوا كأنهم في حياة النفي والأسر، ويعيش اليهود في حرب مع باقي الشعوب حتى ينتقل لهم الثراء والسلطان من الجميع. وحينئذ يدخل الناس أفواجًا في دين اليهود ويقبلون جميعًا ما عدا المسيحيين لأنّ هؤلاء من نسل الشيطان.⁴

1. التلمود ص 157.

2. التلمود ص 158.

3. المصدر السابق ص 159.

4. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 48-49.

الفصل الرابع

وفيه أربعة فصول وخاتمة:

1. شعب الله المختار.
2. نظرهم للناس وخطرهم على البشرية جمعاء.
3. حاجة الأمة الإسلامية والعالم لمعرفة حقيقتهم.
4. مخططاتهم.

الفصل الأول

شعب الله المختار

يقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾﴾¹

إن فكرة الشعب المختار ليست فكرة يهودية خالصة، ولم يبتدعوها هم بأنفسهم، وإنما فكرة أقرها عليهم الإسلام، وأثبتها القرآن الكريم. أما تفسير هذا التفضيل فهو عند المسلمين تفضيل ديني. والقرآن حين قرّر أنهم فضّلوا على العالمين وأنهم أوتوا ما لم يؤت أحد من العالمين، إنما ساق ذلك في معرض الامتتان عليهم بالنعمة، وإثبات أنهم يجحدونها ويكفرون بها، فهو إلزام منطقي بلؤمهم، حين أوتوا وأوتوا بالنعمة فكفروا، وتولوا، واستغنى الله..²

واليهود يعدّون أنفسهم شعب الله المختار، وأنّ الله خلقهم خلقاً ممتازاً على سائر الناس، وأنه ما خلق الناس على صورتهم البشرية إلا ليكونوا تحت أيديهم يعملون لهم، ويخضعون لسلطانهم. هكذا ظلّوا أنفسهم، حتى إنهم جعلوا الله إلههم من دون الناس، وأنزلوه إلى مستواهم، يتعاملون معه معاملة بعضهم بعضاً، ومن أجل هذا حرّفوا التوراة، غيّروا وبدّلوا في أحكامها وتعاليمها حتى تجيء على وفق أهوائهم الفاسدة، وتصوّراتهم المريضة وينزل هذا الزور والبهتان من عقولهم وقلوبهم منزل العقيدة

1. الجائية 16.

2. خطر التوراة ص 94.

والإيمان.¹

واختار الإله الشعب اليهودي حتى يكون خادمًا له بين الشعوب، وليكون أدواته التي يصلح بها العالم ويوحد بها الشعوب. وهذا يعني أنّ الاختيار ليس ميزة وإنما هو تكليف إلهي... لأنك شعب مقدس للرب إلهك وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة من جميع الأمم التي على الأرض.² أنا الرب إلهكم الذي فرزكم من بين الأمم.³ ويزعمون أنهم شعب مختار له رسالة متميزة وسمات خاصة تميزه عن الشعوب الأخرى. وإيمان بعضهم بأنهم شعب مختار، مقولة أساسية في الدين اليهودي، ويزعمون أنّ الله تعالى ميّزهم عن الناس طبقًا لما تقوله نصوص التوراة المتداولة المحرفة:

"لأنك شعب مقدس للرب إلهك. وقد اختارك الرب لكي تكون له شعبًا خاصًا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض، ليس من كونكم أكثر من سائر الشعوب التصق بكم الرب واختاركم، ولا لأنكم أقل من سائر الشعوب، بل من محبة الرب إياكم وحفظه القسم الذي أقسم لأبائكم.⁴

والفكرة نفسها تتواتر "أنا الرب إلهكم الذي ميّزكم من الشعوب، وتكونون لي قديسين لأنني قدوس. أنا الرب وقد ميّرتكم عن الشعوب لتكونوا لي".⁵

وشبهوا أنفسهم بما لا يستغنى عنه للبشرية، إسرائيل تشبه سيدة البيت التي يأتيها زوجها بالمال، ولا تحتل مشقة العمل والجهد، وفي الوقت ذاته، فإنها تتلقى المال من جميع شعوب العالم.⁶

بل إنّ الفكرة تأخذ شكلاً متطرفًا أحيانًا، فقد أتى في أحد كتب المدرّاش أنّ الشعب اليهودي والتوراة كانا كلاهما في عقل الإله قبل الخلق. قد أصبح اليهود شعبًا مقدسًا

1. اليهود في القرآن ص 70.

2. تثنية الاشتراع 6:7.

3. الأخبار 24:20.

4. سفر التثنية 2/14.

5. سفر اللاويين 24، 26/20.

6. اليهود ص 173.

بسبب الحلول الإلهي فيهم وتقبلهم عبء الأوامر والنواهي، فحياة اليهودي لا بدّ أن يتمّ تنظيمها بحيث يقلد اليهودي سمات الإله فتصبح حياته مقدسة.¹

وغرّمهم ما افتروا على الله في دينهم من أنهم أبناء الله وأحباؤه. وبالغوا مستندين إلى النصوص المذكورة في بيان فضلهم واختيارهم فذكروا أنّ الفرق بينهم وبين سائر الأمم كالفرق بين الإنسان والحيوان وأنّ الناس مسخرون لهم كما أنّ الحيوان مسخر للإنسان.²

ورسخت لديهم الأفكار الآتية وأصبحت من العقائد والمسلمات:

1. أنهم شعب ارتبط بالله عزّ وجلّ، ومن ثم فيكون أعظم الشعوب.
2. أنه تم اختيار هذا الشعب دون الشعوب والأمم كلها لامتيازات خاصة.
3. إن تفضيل الشعب المختار -بناء على ما سبق- كان على الأجناس الماضية والحالية واللاحقة.

4. إنه جماع لهذا كله يكون الشعب المختار شعباً عظيماً، له كيان وله شريعة، له خلق قويم، له حضارة، عنده كتاب مقدس يحيا به، عنده أوامر ونواه من الله، وأن يكون لهذا الشعب تاريخ نظيف في تعامله مع السماء.³

فصار الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة... وهو جزء من الله... الفرق بين درجة الإنسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهودي وغير اليهودي... والشعب المختار هو اليهود فقط، أما باقي الشعوب فهم حيوانات... يقرر (آرثر هيرزبيرج) أنه في سيناء عندما تجلى الله لموسى عليه السّلام ولبني إسرائيل تم زواج الله وإسرائيل... وسجّل عقد الزواج بينهما، وكانت السماوات والأرض شهوداً لهذا الزواج.⁴

ولم يختار الإله اليهود بوصفهم شعباً وحسب، بل اختارهم كجماعة دينية قومية توحدتها أفكارها وعقائدها، وقد عرضت الرسالة على شعوب الأرض قاطبة، فرفضت

1. موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية 72/5.

2. بذل المجهود في إفحام اليهود ص 102.

3. التلمود ص 432.

4. المصدر السابق ص 434.

هذه الشعوب حملها، وحملها الشعب اليهودي وحده. وقد حوّلهم هذا الاختيار إلى مملكة من الكهنة والقسيسين، وإلى أمة مقدسة تتداخل العناصر الدينية والقومية فيها. واختيار الإله لليهود هو جوهر العهد أو الميثاق المبرم بينه وبين إبراهيم.¹

وجاء في التلمود أنّ الإله اختار اليهود لأنهم اختاروه، وهي عبارة تفترض المساواة بين الإله والشعب (كان يرددها بنغوريون برضى شديد).²

وكان الاختيار في بادئ الأمر تلقائيًا نابعًا من رحمة الإله وإرادته الإلهية ولكن اليهود حسب الرؤيا التلمودية الحلولية بينوا أنهم جديرون بهذا الاختيار ولذا تحول الاختيار من مجرد منحة من الإله إلى حق من حقوقهم ملزم له وإلى دين عليه أن يؤديه حتى لو ضلوا الطريق. وقد جاء في التلمود على لسان الإله لن أعامل جماعة إسرائيل كالأمم الأخرى حتى وإن لم تعمل حسنات إلا قليلًا تافهًا كروث الدجاج المتناثر في الحظيرة فسأجمع هذه الحسنات ليكون لها حسنات كثيرة.³

والإله شنت اليهود في أنحاء الأرض لا عقابًا لهم وإنما لينشروا رسالته وليصبحوا أدواته في تحقيق السلام والخلص.. ويقولون: نحن شعب الله المختار في هذه الأرض وقد أوجب علينا أن نفرقنا لمنفعتنا، ذلك لأنه لأجل رحمته ورضاه عنا سخر لنا الحيوان والإنسان وهم كل الأمم والأجناس، سخرهم لنا لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان نوع أخرس، كالدواب والأنعام والطيور ونوع ناطق كالمسيحيين والمسلمين والبوذيين وسائر الأمم من أهل الشرق والغرب، فسخرهم لنا ليكونوا في خدمتنا، وفرقنا في الأرض لمنطبي ظهورهم، ونمسك بعنانهم ونستخرج فنونهم لمنفعتنا.⁴

ويطلق اليهود على أنفسهم لقب أمة الروح باعتبار أنهم أمة لا تعيش على أرض مشتركة، ولا تتحدث لغة واحدة، وإنما تتمركز حول التوراة والتراث اليهودي.⁵

وتتميز أرواحهم عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله كما أنّ الابن جزء من

1. موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية 72/5-80.

2. التلمود ص33.

3. المصدر السابق ص34.

4. المصدر السابق ص 378 .

5. موسوعة اليهود و اليهودية والصهيونية 72/5-80.

أبيه.¹

ويدور التفكير الديني اليهودي حول العهود التي قطعها الإله على نفسه، وهي عهود متكررة عبر التاريخ المقدس الذي يحل فيه الإله ويوجهه حسب الرؤية الدينية اليهودية. فهذا التاريخ يبدأ بالعهد الذي قطعه الإله على نفسه لإبراهيم بأن يصطفيه دون العالمين وأن يورث نسله أرض كنعان (فلسطين). وقد تم تأكيد العهد لإسحق ويعقوب. ثم جدد هذا العهد مع الشعب ككل في سيناء، وذلك بعد الخروج من مصر. ويعلن الإله لأفراد الشعب أنه أخرجهم من مصر واختارهم شعباً له. وبذا، حول العهد جماعة إسرائيل ككل إلى شعب مختار. وأن رسالة الأنبياء لليهود فقط، أتباع الشريعة لكي يأتيهم الوعد، أي أن يملكوا الأرض ومن عليها وإلا عوقبوا بالمحو من الوجود.² ويعطيهم ربهم من الوعود والعهود ما يجعلهم يتيهون فخرًا ويبشرهم بفلسطين:

برائحة سروركم أرضى عنكم حين أخرجكم من بين الشعوب وأجمعكم من الأراضي التي تفرقتم بها، وأقدس فيكم أمام عيون الأمم، فتعلمون أنني أنا الرب حين آتي بكم أرض فلسطين، إلى الأرض التي رفعت يدي لأعطيكم إياها ومن هناك إلى كل أنحاء الدنيا والعالم.³

هكذا قال رب الجنود: "ها أنا ذا أخلص شعبي من أرض المشرق ومن أرض مغرب الشمس، وآتي بهم فيسكنون في وسط أورشليم ويكونون له شعباً وأنا أكون لهم إلهاً.⁴

والتلمود يغرسها فيهم غرساً ويؤصلها لهم بطريقة عجيبة غريبة:

لو لم يخلق الله اليهود لانعدمت البركة من الأرض ولما خلقت الأمطار والشمس ولما أمكن لباقي المخلوقات أن تعيش... إنَّ الإسرائيلي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، وأنَّ اليهودي جزء من الله. فإذا ضرب أمي إسرائيليًا فكأنه ضرب العزة

1. جذور البلاء ص 83.

2. التوراة تاريخها وغاياتها ص 21.

3. حزقيال ص 41:20-43.

4. زكريا 8:7-8.

الإلهية. ولذلك إذا ضرب أمي إسرائيليًا يستحق الموت.¹

وبما أن اليهود يساؤون أنفسهم مع العزة الإلهية فالدنيا وما فيها ومن فيها، ملك لهم ويحق لهم التسلط على كل شيء فيها.²

ويؤكد التلمود على أنّ اليهودي ينتمي إلى شعب الله المختار، وهو مختون وذو منزلة رفيعة سامية لا يشاركه في مستواها أحد بل ولا حتى الملائكة... لذلك فإنه مبدل كالإله، وفي ذلك يقول الرباني شانينا: "من يضرب إسرائيليًا فهو بفعلته هذه إنما يهين وجه الله المقدس".³

وجاء في التلمود أن اليهودي يتجسس إذا لمس القبور ما خلا قبور من عداهم من الأمم، إذ كانوا يعدّون بهائم لا أبناء آدم... ويعتبر التلمود أيضًا الأجانب بصفة كلاب لأنّ الأعياد المقدسة لم تجعل للأجانب ولا للكلاب.⁴

لقد اختارهم الله حقًا ذات يوم وكانوا شعب الله المختار، كما في قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٥﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٦﴾
وَلَقَدْ أَخْرَجْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمِ عَلِيِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾⁵ ثم لعنهم بعدما ارتكبوا الفواحش والموبقات.

لعمر الله لقد كان في زمن إيليا خليل الله ونبيّه اثنا عشر جبالًا يقطنها سبعة عشر ألف فريسي، ولم يكن بين هذا العدد الغفير منبوذ واحد. بل كانوا جميعًا مختاري الله. أما الآن وفي إسرائيل نيّف ومئة ألف فريسي فعسى أن يوجد بين كلّ ألف مختار واحد.⁶

أو نقول عنهم إنهم شعب الله المختار وقد سبّوا الأنبياء سبًّا لم يحدث من قبل.

أو نقول عنهم إنهم شعب الله المختار وهم جنباء أشدّ من الجبن نفسه.

أو نقول عنهم إنهم شعب الله المختار، ورأينا وحشيتهم وإجرامهم.

1. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 66.

2. التلمود ص 377.

3. التلمود ص 425.

4. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 67.

5. الدخان 30-32.

6. إنجيل برنابا ص 221.

اخترعوا أكذوبة إنهم شعب الله المختار، ثم ظلوا يرددونها حتى خيل لهم أنها حقيقة..

ألا ينبغي لنا أن نصيح فرحًا ومرحًا ونقول: مرحى لهذا الإله، العادل، وهنيئًا لشعبه المختار.

نعم: إنه شعب مختار، مختار ليفعل كل رذيلة، مختار ليخترع أنواع الفساد، وليبتدع طرق الشر، ليصير العالم فاسدًا، وليترع الشعب الإسرائيلي، على ظهور رعاياه. حقًا إن الشعب اليهودي، شعب مختار، مختار من البشرية جمعاء، متميز من العالم كله، ولكن، بالأوصاف التي وصفهم بها أنبيأؤهم ورسلمهم:

غليظ القلب، صلب الرقبة، ابن الأفعى، قاتل الأنبياء، وراجم المرسلين.¹

1. اليهود في القرآن ص24.

الفصل الثاني

نظرتهم للناس وخطرهم على البشريّة جمعاء

يعدّ اليهود أنفسهم مساوين للعزّة الإلهية، والدنيا بما فيها تخصّصهم، ولهم عليها حقّ التسلط... وأولاد نوح على حسب التلمود هم الخارجون عن دين اليهود. أما اليهود فإنهم أولاد إبراهيم. وفي خطبة الحاخام الأعظم الرابي المقدس (سيمون بن يهودا)، قبل قرن، والمصدّرة بأنها تعطي تعاليمه للصفوة من كل جيل، سيطرة على جميع أنحاء العالم... فذلك لأنّ العالم كله ملك لنا..¹

وتفسّر الوصية الخاصة بضرورة إعتاق العبد، بأنها تعني ضرورة إعتاق العبد اليهودي، وتعني ضرورة أن يظل العبد غير اليهودي عبداً أبداً الدهر.

وأنّ اليهود خلقوا ليعرفوا إلههم ويعبدوه، ولذا فهم يستحقون أن يقوم عبيد على خدمتهم، وهم إن لم يستعبدوا الشعوب الأخرى سيضطرون لاستعباد إخوانهم في الدين، ويرى بعضهم أن هذا هو معنى الفقرة الآتية من اللاويين 25 / 39. 46 إذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد، كأجير، كنزير يكون عندك، إلى سنة اليوبيل يخدم عندك، ثم يخرج من عندك هو وبنوه معه، ويعود إلى عشيرته. وإلى ملك آباءه يرجع..²

وأرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح، لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية وشبيهة بأرواح الحيوانات.

1. التلمود ص 393.
2. المصدر السابق ص 255.

وذكر في التلمود: أن نطفة غير اليهودي هي كنطفة باقي الحيوانات. وجاء في تلمود أورشليم ص 94 أن النطفة المخلوق منها باقي الخارجين عن الديانة اليهودية هي نطفة حسان.¹

إن الناس بعقيدة التلموديين عبيد وأنجاس، منحدرون من الشيطان، ومنزلتهم دون الحيوان، بل حتالة الحيوانات وبرازها، لذا يستحقون اللعنة جميعاً، كما يستحقون الموت والقتل وهدم معابدهم وإقصاءهم عن دينهم، والعمل على إبقائهم في جهلهم ليموتوا، وإن كرههم تقرب إلى الله، وحبهم بغض له، ولا بدّ من التآمر عليهم وخداعهم وسفك دمائهم -تقرباً إلى الله- والزنا بزوجاتهم وسرقتهم والنفاق معهم ومقاطععتهم إذا نزلوا عندهم. أما إذا عادى غير اليهودي اليهودي، فله الويل والشبور...²

وخلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقاً لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب لأمر أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية، لأن ذلك منابذ للذوق والإنسانية كل المنابذة. فإذا مات خادم ليهودي أو خادمة، وكانا من المسيحيين، فلا يلزمك أن تقدم له التعازي بصفة كونه فقد إنساناً، ولكن بصفة كونه فقد حيواناً من الحيوانات المسخرة له.³

والأهم الخارجة عن دين اليهود ليست فقط كلاباً بل حميراً أيضاً، وقال الحاخام "أبار بانيل": الشعب المختار (اليهود) فقط يستحق الحياة الأبدية وأما باقي الشعوب فمثلهم مثل الحمير.

ويقولون إنّ جميع الخارجين عن اليهود هم حيوانات ووحوش لأنّ إبراهيم عندما أخذ ولده إسحق ليقدمه ذبيحة، وكان يصحبه خدمه، قال لهم: امكثوا هنا والحمار، بينما أنا وولدي نذهب إلى الأمام، فمن هذه العبارة استنتج التلمود أنّ كل من لا يكونون يهوداً هم حمير.⁴

1. المصدر السابق ص96.

2. التلمود ص 390.

3. المصدر السابق ص 138.

4. المصدر السابق ص 221.

ولا قرابة بين الأمم الخارجة عن دين اليهود، لأنهم أشبه بالحمير، ويعتبر اليهود بيوت باقي الأمم نظير زرائب للحيوانات. وكان هذا رأي الحاخام أريل، لأنه كان يعتبر الخارجين عن دين اليهود خنازير نجسة تسكن الغابات. ويلزم المرأة أن تعيد غسلها إذا رأت عند خروجها من الحمام كلبًا أو حمارًا، أو مجنونًا، أو أميًا، أو جملاً، أو خنزيرًا، أو حصانًا، أو مجذومًا. والخارج عن دين اليهود حيوان على العموم، وعلى اليهودي أن لا يفسح مجالاً لهؤلاء السيئي السمعة السارقين أن يتزوّجوا، لأنهم إن تناسلوا بأعداد ضخمة إذ ذاك يستحيل علينا الاستمرار في الحياة مع وجودهم، فهم ينجبون رضعًا مثل الكلاب.¹

ويبرر التلمود كون الأغيار نجسين: لأنهم يأكلون أطعمة نجسة، ولأنهم هم أنفسهم لم يتطهروا من الخطيئة على جبل سيناء، وبأسلوب مماثل نقرأ في التلمود أيضًا "ماذا الغوييم نجسون؟ لأن الأفعى حين دخلت في حواء سكبت فيها النجاسة.. لكن اليهود تطهروا من ذلك، حين استمرّوا واقفين على جبل سيناء.. بينما لم يكن الغوييم في ذلك الحين على جبل سيناء فلم يتطهروا."²

يقول التلمود: "خلقهم الله (اليهود) في أشكال آدمية لتمجيد إسرائيل.. إلا أنّ الآكوم خلقوا لغاية وحيدة هي لخدمتهم ليل نهار. وذكر في كتب أخرى: أن الكلب أفضل من الأجانب، لأنه يصرح لليهود في الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجانب، وغير مصرح له أيضًا أن يعطيه لحمًا، بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم!!"³

وعلى اليهودي تجنب المسيحيين، وإنّ الكنائس النصرانية هي بمستوى القاذورات وتسمى بيت تفلاه أي بيت الباطل والحماقة.⁴

1. المصدر السابق ص 384

2. المصدر السابق ص 116

3. المصدر السابق ص 138.

4. التلمود ص 501.

وقد أثر التلمود في الفكر الصهيوني، فقد جاء فيه ينبغي أن لا تؤجر البيوت في أرض إسرائيل، ناهيك عن الحقول.¹

وتتقيف اليهودي للأغيار أو تعليمهم أو تدريبهم على حرفة لسد الرمق محرم على اليهودي).²

ويجب على اليهودي أن يبذل مجهوده لمنع استملاك باقي الأمم لعقارات وأن لا يمدحهم، ولا يصفهم بالحسنات والجمال، ولا يهبهم شيئاً بدون ثمنه.³

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيَّنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾⁴

السرقه من الأجانب ليست سرقه عندهم بل استرداد لأموالهم. فإذا قال الحاخام التلمودي لا تسرق، يكون الغرض من ذلك عدم سرقه اليهودي. وأما الأجنبي فسرقته جائزة، لأنهم يعتقدون أن أمواله مباحة، ولليهودي الحق في وضع اليد عليها.⁵

ورد في المشناه: يحرم أي تعامل مع الوثنيين قبل أعيادهم بثلاثة أيام. فعلينا أن لا نغيرهم شيئاً (مما قد يفيدهم)، أو أن نستعير منهم شيئاً. والأمر ذاته ينطبق على حالة النقود، بل يحرم دفع أجره لهم أو أخذ أجره منهم. مع ذلك يؤكد ح. يهودا قائلاً: يحل أخذ الأجره منهم لأن هذا يتعس من يدفع. لكن ثمة من رد عليه، بقوله: مع أن ذلك يتعسهم الآن، إلا أنه سيسرهم في المستقبل.⁶

والحسنة والصدقة الصادرة من بني إسرائيل ترفع شأنهم وهي مقبولة لديه تعالى. وأما الصدقة الصادرة من بقية الأمم فهي خطاياهما لأنهم لا يفعلونها إلا كبرياء.⁷

لا يجوز أن يقدم اليهود صدقه لغير اليهود.¹

1. المصدر السابق 38.
2. المصدر السابق ص400.
3. المصدر السابق ص212.
4. آل عمران 75.
5. المصدر السابق ص143.
6. رسالة عبدة الأوثان ص 19.
7. التلمود ص141.

يحرم على اليهودي أن يعطف على غير اليهود، وكل شر يفعله اليهودي مع الآخرين قربى إلى الله.²

ويورد الأب وليم باركلي: " كان اليهودي عند سفره في مكان أمني عندما يصل إلى حدود بلاده، ينفذ غبار طريق الأمم عن رجله، حتى لا يدخل إلى بلاده بنجاسة الأمم".³

قال توماس كاريل: لا يشتغل اليهود ماديًا ومعنويًا إلا بالمال والذهب والمتاع، فهم لا يسهموا في إبداع أي شيء ذي قيمة حقيقية.⁴

إنّ في ديانة اليهود أشياء غريبة لا يمكن ذكرها كلها بالتفاصيل منها أنه محرم عليهم أن يأكلوا من خبز باقي الأمم مالم يكن قد صنع مخصوصًا برسم البيع لئلا يكون سببًا للمحبة بينهم وبين الأميين، ولا يجوز شراء خبز الا إذا كان قد صنعه في بيته ثم عرضه للمبيع.⁵

وأهل الختان من الإسلام فإنهم لا يشذون عن كونهم بدون ذمة ولا إيمان، لأنهم ليسوا أختيارًا. ويزعمون كذلك أن المسلمين والمسيحيين يدفنون في القاذورات.⁶ ولا يدخل الجنة إلا اليهود، أما الجحيم فهو مأوى الكفار من المسلمين والمسيحيين خالدين فيها، ولا نصيب لهم سوى البكاء لما فيها من الظلام والعفونة والطين.

وجهنم أكبر من السماء بستين مرة، وهي سجن القلب، وفي مقدمتهم أتباع المسيح ابن مريم، لأن هؤلاء يحركون أيديهم كثيرًا برسم إشارة الصليب على ذواتهم. ويأتي بعد النصارى المسلمون، لأنهم لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم وأفخاذهم وعوراتهم... كل من ذكرنا يحشرون حشرًا في جهنم، ولا يغادرونها إلى الأبد، ويبقون هناك خالدين.⁷

1. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 51-55.

2. التلمود ص 388.

3. المصدر السابق ص 389.

4. اليهود ص 79.

5. التلمود ص 219.

6. المصدر السابق ص 207.

7. التلمود ص 98.

الفصل الثالث

حاجة الأمة الإسلامية والعالم لمعرفة حقيقتهم

لخص الأستاذ عبد الستار سعيد المشكلة اليهودية، في أنّ اليهود أمة تحمل في أعماقها خصائص نفسية بالغة التعقيد، وتتطوي على أخلاق غاية في العوج والالتواء، ولذلك تموج صدورهم بحقد طافح على الناس جميعاً، وتتأجج جوانبهم -دائماً- بوجر هذا الغل المحتدم، فيسعون في الأرض فساداً، ولا يرون لأنفسهم راحة ولا سعادة إلا على أنقاض الآخرين، ولا يستريحون إلا بالدسّ والكيد، والتآمر والبغي، والتخريب والانتقام.¹ فاليهودي في كل بلدان العالم صاحب نفسيّة غامضة ومعقدة، وينطوي في شؤونه الخاصة على نفسه، وهو إلى ذلك حادّ الذكاء وعميق التفكير يميل إلى استغلال ذلك في التآمر والخيانة، وله نزعات ماديّة وأناييّة ويمتاز بالجبن والخيانة والمكر والخداع وضعف الأخلاق.

وأصبح اليهودي ظالماً أو مظلوماً شخصيّة كريهة مشبوهة في كلّ المجتمعات.² ما من نقيصة إلا وتمثلت فيهم، وما من خلق ذميم إلا وتخلقوا به، وما من رذيلة إلا واقترفوها. حياة الفرد منهم (من غير المؤمنين بالله حقاً) رذائل، وتاريخهم (وحاشا الصالحين منهم وهم قليل) نقائص، بحيث يصدق على النفسيّة اليهودية المعقدة المشوّهة أنها مجمّع نقائص وتجسيم رذائل.³

ليس لبني إسرائيل رسالة إنسانية ما. وكل أمرهم، أنانية شديدة وقاسية إلى أبعد حدود الشدّة والقسوة، على ما تثبته عليهم نصوص أسفارهم الصريحة. في حين أنّ

1. معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص 7.

2. الشخصية الإسرائيلية ص 65.

3. الشخصية اليهودية من خلال القرآن ص 121.

فيما أوحى الله به إلى موسى عليه السلام من عقائد ووصايا ومبادئ وتشريعات ما هو جدير بأن يكون رسالة إنسانية سامية وخالدة.¹

- جميع الأمم تعتقد أنّ الإنسان ملك الإنسانية... واليهود وحدهم يعتقدون أنّ الإنسانية ملكهم يدمّرونها لمصلحتهم.

- لجميع الأمم إله عالمي، يأمر بالخير وينهى عن الشر ويحذر من التهام أموال الناس ودماءهم، ولليهود وحدهم إله قومي، ضيق، متزمت متعطش للدم، يأنس بالسفك ويأمر بنقض العهود ويرى اليهود شعباً مختاراً.

- جميع الأمم تقدر بالصدق والعدل والنصح والتسامح والعفة عن أموال الناس وأعراضهم إلا اليهود يرون الصدق الذي لا يفضي بفائدة ولو لليهودي واحد ضعفاً، والعدل إلا بين اليهود سذاجة، والنصح للأميين طفولة، ويرون كلمة لا تزن تعني بيهودية، ولا تقتل يعني يهودياً، ولا تسرق يعني من مال يهودي، ولا تكذب يعني على يهودي...

- جميع الأمم تدعو إلى مكارم الأخلاق إلا اليهود، يعيشون لنشر الرذيلة وإشاعة الفاحشة ويطلقون على من بذلن أعراضهن لقب قديسات وخالدات، كما أطلقوا على "إستير" وأقاموا لها عيداً.²

- إنّ اليهودي عندما يكون في منصة القضاء يتحتم عليه أن ينصر أخاه ظالماً كان أم مظلوماً... ولا بأس بالوصول إليه بالخداع والإغراء والتدليس والتخويف.

- إنّ لليهودي الحق في الربا وسرقة الآخرين ونهب أموالهم وممتلكاتهم، لأنّ هذه الخيرات خلقت له واغتصبت منه، فلا جناح عليه في استرجاعها بأي طريقة كانت.³ وجناية الجنايات في التربية اليهودية جعلهم ذلك كله ديناً وعقائد، وشعائر وشرائع، ينسبون لها -بزعمهم- إلى الوحي الإلهي، فتضفي ستاراً من القداسة الدينية على هذه الأخلاق الدنيئة، وتعطيها حوافز الإلزام والاحترام لدى الأجيال اليهودية.

وقد أمعن أحبارهم في اختلاق القصص والتعاليم التي توجج سعارها وضراوتها كلما

1. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص 106.

2. دفانن النفسية اليهودية ص 147-148.

3. همجية التعاليم الصهيونية ص 131-132-133.

ونت في الصدور، أو خدمت جذوتها بتتابع العصور، وبذلك استقرت، واستمرت، وتشابهت فيها قلوب الأولين والآخرين.¹

ومما قاله الأستاذ العلامة الجليل الشيخ مصطفى الزرقا في مقدمة الكنز المرصود يصف حقيقتهم: يكاد الإنسان لا يصدق -لولا الوثائق والنصوص والوقائع التابعة- أن تكون ديانة القوم بعدما تلاعبت بأصولها وحرقتها أيدي أبحارهم تأمرهم أن يتعبدوا بشرب دماء البشر من غير اليهود، وباستباحة أرواحهم وأعراضهم، ووجوب خيانتهم والغدر بهم وغشهم واجتتاب إغاثة أحد منهم أو إنقاذه أو مداوته إلا للتجربة أو للاضطرار، أو سترًا للمقاصد والعقائد اليهودية السرية، إلى غير ذلك من العقائد المنكرة الخطيرة القائمة على الحقد العام والامتهان لبني البشر أجمعين.²

وعلى هذه التعاليم الفاسدة يشبّ الصغير ويشيب الكبير، وتتأصل العادات وتتغن المعقدات، وتنتقل الأخلاق والصفات الدينية عبر الأجيال وتتشابه بها قلوبهم في كل زمان ومكان.³

والأعجب من العجب، ادّعاؤهم أنهم أبناء الله وحلفاؤه وأحباؤه، وأنهم شعبه المختار.

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُوَ﴾⁴

﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَٰلِكَ مُثُوْبَةٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ

مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾⁵

إن التدقيق في مسألة التفضيل، يكشف عن أنه كان في حقيقته نقمة على بني إسرائيل، وليس نعمة مطلقة، ذلك أنّ الإنعام مفيد بالسلوك القويم تجاه الله وتجاه الناس، فإذا ما انحرفوا، حلّ بهم الويل والثبور. وأي تفضيل لهم يتباهون به، وقد لبثوا في العذاب مئات السنين تحت نير الفراعنة، طبقة دنيا حقيرة مستخفاً بهم؟ وأي افتخار هذا، وقد تاهوا أربعين سنة في أرض جرداء قاحلة، وهم على مرمى حجر من

1 معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص 34

2. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 5

3. معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص 49.

4. المائدة 18.

5. المائدة 60.

الأرض المباركة؟ وأيّ اعتزاز بالتفوق، وهم أدلة صاغرون في كل زمان ومكان، إلا في فترات قصيرة من عمرهم؟¹

﴿فِيمَا نَقُضِيهِمْ مِّثْقَلَهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ
الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى
خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ﴾²

وحفلت كتبهم بالأوصاف السيئة الكثيرة لهم... فهم من نسل الأفاعي غدراً وشرًا:

يا أولاد الأفاعي، كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟

أيتها الحيات، أولاد الأفاعي، كيف تهربون من دينونة جهنم؟³

إنّ قلوباً قاسية كقلوب بني إسرائيل لا يرتجى منها اليوم رحمة بأحد. فلا ينخدع

أحد بخبثهم ونفاقهم. فهم يبطنون غير ما يظهرون. ويحملون في قلوبهم الحقد والحسد

والضغينة على الناس أجمعين. فليس لهم صاحب ولا صديق. ولا ذمة أو عهد.⁴ هم

غدر وسمّ زعاف وسفك دماء، لا سلام معهم، ولا خوف من الله.

فحلّقوهم قبر مفتوح، وهم يغدرون بألسنتهم، وسمّ الثعابين تحت شفاههم، وأفواههم

مملوءة من اللعن والمرورة، وأقدامهم مسرعة لسفك الدّم، والتهلكة والشقاء في طريقهم،

ولم يعرفوا طريق السلامة، وخوف الله ليس موجوداً أمام أعينهم.⁵

إنّ شعبي سفيه، إنهم لا يعرفونني، إنما هم حمقى لا فهم لهم، هم أذكياء في الشرّ

ولا دراية لهم بالخير.⁶

1. خطر التوراة ص 95.

2. المائدة 13.

3. إنجيل متى / 12، 35.

4. فلسطين التاريخ المصور ص 33.

5. من رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية / 3: 13-18.

6. التلمود 132.

يقول عيسى عليه السّلام: "يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدوا".¹
"هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع، وأوصاهم قائلاً: إلى طريق أم لا تمضوا، إلى مدينة للسامريين لا تدخلوا، بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالة".²
بعد هذه الجولة الطويلة في شخصية يهود من خلال القرآن الكريم، ومن خلال كتبهم التوراة والتلمود، ومن خلال تعاملهم مع البشر، فمن العوامل التكوينية إلى العوامل الاجتماعية والثقافية إلى العقائد والعبادات والقيم والمثل، إلى علاقاتهم مع الأمم والشعوب وحتى مع بعضهم، نلاحظ أنّ شخصيتهم منحرفة ومجرمة وغير سويّة، لا تعرف إلا الشر والإجرام.

ولمّا كانت الشخصية مرآة لما يؤمن به الإنسان من عقائد، وللعوامل الثقافية والكيان الاجتماعي الذي تعيش فيه، فنرى أنّ شخصية يهود شخصية مهزوزة قلقة، لا تستقر على شيء، وتراها شخصية حاسدة حاقدة لا تشعر بالأمان ولا تقبل نفسها ولا الآخرين. وبالمحصّلة عاجزة عن ابتداء نموذج حضاري، أو على الأقلّ المشاركة في ذلك أو الرضى بما يبدعه الآخرون وعدم العمل على تخريبه.

1. إنجيل متى صح 23 العدد 39.
2. المصدر السابق صح 10: 5-6.

الشعب المختار

إنّ اليهود يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار، وينعتون غيرهم بصفة "الأميين"، ولا ينشرون ديانتهم، لأنه لا يجوز أن يدخل أحد في دينهم.¹

فلقد بشر التلمود اليهود بملك العالم في قوله: كل مكان تطؤه أقدامكم يكون لكم، كل الأماكن التي تحتلونها فإنها لكم فأنتم سترثون الغوييم (أي الكفرة الأنجاس غير اليهود) المستكبرين في الأرض، وبعد ذلك كل مكان بعد أرض إسرائيل.... يحق لكم أن تحتلوا غيرها.²

يقول ابن ميمون الحاخام اليهودي الأكبر: إن من ينكر التعليم اليهودي وخصوصاً النصارى، يتحتم إبادتهم عن بكرة أبيهم، ودائماً إهراق دمهم يكون من الأعمال المحمودة، وإذا كان التتكيل بهم غير مستطاع فالوشاية بهم واجبة.³

لن نبيح بقيام أي دين غير ديننا، لذا يجب تحطيم عقائد الإيمان، وبث الإلحاد بين الأمميين - غير اليهود - وبذا نستطيع بتعاليم موسى عليه السلام الموكلة إلينا سحق جميع الأمم تحت أقدامنا.⁴

يتحدث الرباني ديمي، عن تفسير العبارة التالية في المزمور 2/24 (لأنه على البحار أسسها، وعلى الأنهار ثبّتها)، فالمقصود هنا (أرض إسرائيل)، فالبحار ليست سوى بحارها السبعة، والأنهار هي أنهارها الأربعة. البحار، بحيرة طبريا، بحر سدوم

1. فلسطين التاريخ المصور ص50.

2. التلمود ص11.

3. همجية التعاليم الصهيونية/ 168- عن نصوص التلمود وأحجار على رقعة الشطرنج.

4. المصدر السابق ص 208.

(الميت)، وبحر إيلات، وبحر حيلتا أو حولتا مرادفًا للعاصي، وليس الحولة، كما يتبادر إلى الذهن، وبحر سيبكاي شمالي بحيرة طبريا، وهو مرادف لبحيرة الحولة، وبحر أسباميا مرادفًا لبانياس، والبحر الكبير المتوسط).

أما الأنهار الأربعة فهي الأردن واليرموك وكراميون وفيجاه أو بيجا، من روافد الأردن. ولا تقتصر الحدود إلى هذه الأبعاد، بل يجاوزها التلمود إلى أوسع منها: سوف تمتد حدود أرض إسرائيل، وتوسع في جميع الجهات، ومن المقدر لأبواب القدس أن تصل إلى دمشق..¹

ولعل أخطر وثيقة حديثة تكشف عقيدة اليهودي المعاصر، ما عثر عليه من خطبة الحاخام الأعظم الرباي المقدس (سيمون بن يهودا)، قبل قرن، والمصدرة بأنها تعطي تعاليمه للصفوة من كل جيل، سيطرة على جميع العالم، وسلطة على نسل يهودا، وإذا كنا قد انتشرنا في جميع أنحاء العالم، فذلك لأن العالم كله ملك لنا.² وحينئذ تصبح الأمة اليهودية غاية في الثراء لأنها تكون قد ملكت أموال العالم جميعًا، ويتحقق أمل الأمة اليهودية بمجيء إسرائيل، وتكون هي الأمة المتسلطة على باقي الأمم عند مجيء المسيح.

وقال التلمود: لما يأتي المسيح تطرح الأرض فطيرًا أو ملابس من الصوف وقمحة حبّه بقدر كلاوي الثيران الكبيرة. وفي ذلك الزمن ترجع السلطة لليهود. كل الأمم تخدم ذلك المسيح وتخضع له. وفي ذلك الوقت يكون لكل يهودي ألفان وثمانمئة عبد يخدمونه، وثلاثمائة وعشرة أكوان تحت سلطته!! ولكن لا يأتي المسيح إلا بعد انقضاء حكم الأشرار، وتكون الأمة اليهودية إذ ذاك في غاية الثروة، لأنها تكون قد تحصلت على جميع أموال العالم. وذكر في التلمود أن هذه الكنوز ستملاً (سرايات) واسعة لا يمكن حمل مفاتيحها وأقفالها على أقل من ثلاثمائة حمار.³

1. التلمود والصهيونية/ 249 – نقلاً عن سفر دياريم.
2. خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية/ 137. التلمود ص 393.
3. التلمود ص 99.

من ترانيمهم في صلواتهم: "صَبَّوْا غضبكم على الشعوب التي لا تميزكم، وعلى الممالك التي لا تتوسل باسمكم وصَبَّوْا عظيم سخطكم عليها ودعوا حنقكم. كذلك يقولون في صلواتهم: "كم ستبقى قوتك أسيرة وجمالك كامناً بيد المضطهد؟ يا رب برهن من الآن فصاعداً عن مقدرتك وحميتك ضد أعدائنا... حطم قوتهم والعنهم". ويقولون أيضاً: "اقطع رجاء الظالم ودع جميع المهرطقين يهلكون في وقت واحد... استأصل وهشم وحطم المملكة المغرورة"...

إنها دعوة للقتل الصريح... دعوة لإبادة بني البشر لم توجد في أي دين من الأديان، حتى غير السماوية منها...¹

ويحذر التلمود الأمم من الوقوف في سبيل تجمع إسرائيل، ويل للأمة التي ستحاول عرقلة السبيل عندما يقوم الواحد القدوس تبارك اسمه بتحقيق خلاص أبنائه ومن الذي يتجاسر على رمي رذائه بين أسد وليبؤة أثناء جماعهما.²

لن نبيح بقيام أي دين غير ديننا، لذا يجب تحطيم عقائد الإيمان، وبتّ الإلحاد بين الأممين، وبذا نستطيع بتعاليم موسى عليه السّلام الموكلّة إلينا سحق جميع الأمم تحت أقدامنا...³

1 المصدر السابق ص 191.

2 المصدر السابق ص 336.

3 المصدر السابق ص 208.

دور الأمة الإسلامية في إنقاذ البشرية منهم

قال تعالى مخبراً عن حكمه في يهود إلى يوم الدين:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَسْبَعَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ

رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٧﴾¹

إنّ زوال إسرائيل أمر ضروري لحرية العالم العربي والإسلامي وازدهاره ورقية... ولا نعني بزوال إسرائيل من المنطقة وزوال الصهيونية من العالم، إبادة اليهود أو الدعوة إلى إفنائهم، أو حتى اضطهادهم والتعصب ضدّهم، ولكننا نقول كما قال الكثيرون من المستنيرين منهم: إنّ اليهودي إذا شفي من حقه على العالم استطاع أن يجد له وطناً في كل مكان، كالمسيحي والمسلم والبوذي والزنديق.²

ولكن، من الذي يقوم بإزالتهم؟ ومن هي الجهة المؤهلة لهذه المهمة؟

لقد أصبح واضحاً لكل ذي بصر، أنّ السمّ اليهودي قد سرى - حتى النخاع - في خلايا الحضارة المعاصرة، وأنّ مسيحية الكنيسة قد انهارت فعلاً أمام كيد الشيطان الرهيب.

ولم يبق في الأرض من قوّة تستطيع مقارعة الشيطان، إلا قوّة مؤمنة موصولة الأسباب بالله عزّ وجلّ المبين.. ونحن المسلمين وحدثنا الأمل الوحيد لإنقاذ البشرية من مصيرها المروع، وستتجو البشرية بفضل الله عزّ وجلّ، ثمّ بفضل هذا القرآن العظيم، الذي جاءت الدراسات السابقة كلها تحقيقاً وتصديقاً لما قرّره عن اليهود منذ قرون.

1. الأعراف 167.

2. الشخصية الإسرائيلية ص 82.

إنّ القرآن الكريم بدأ في وقت مبكر من العهد المكي بهتك أستار اليهود، وتعريف المسلمين بالنفسية اليهودية المعقدة التي تنطوي على الحقد والحسد والنفاق والتلون والانحراف والتحريف والتزييف، وكشف تاريخهم الأسود المليء بالدسائس والمؤامرات، وقتل الأنبياء ورميهم بالفواحش والمنكرات، والتطاول على الله تعالى، وانحرافهم في عبادة العجل وغير ذلك مما ورد في الآيات المكية التي نزلت قبل الهجرة إلى المدينة المنورة، وقبل المواجهة المباشرة بين المسلمين واليهود. ولعلّ الحكمة من ذلك ليكون المسلمون على علم بحقيقة اليهود ومخاطرهم، وليكونوا على حذر دائم منهم، فلا يصدّقوا لهم قولاً، ولا يأمنوا لهم جانباً، ولا يتبعوا لهم طريقة ولا يأخذوا منهم منهجاً. وإنه لمن العجيب المثير أنّ المرء ليراهم في أخلاقهم اليوم على اختلاف منازلهم وبيئاتهم صورة طبق الأصل لما وصفهم به القرآن من صفات وأخلاق، امتداداً لما حكته أسفارهم عنهم منذ القديم. لم تزدهم الأيام فيها إلا رسوخاً، مما هو مصداق لما قرره القرآن من الجبلة الراسخة المتوارثة من الآباء للأبناء، ومما لمسها فيهم البشر جميعاً في كل زمان ومكان، حتى صاروا في ذلك كله، العلم المفرد بين البشر، الشاذّ المجمع على شذوذه في كل ذلك عن سائر البشر، والذي غدا به حديث كلّ مجتمع في كلّ زمان ومكان فلا تراهم إلاّ والعيون مُزوّرةً منهم. والسخط فائر عليهم. والنفوس متبرّمة منهم، والناس مستنقلون ظلهم، والحذر رائدهم منهم، والجميع راغب في التخلص منهم بأية وسيلة.¹

ولاحظنا في دراستنا للشخصية اليهودية أنّ القرآن الكريم لم يعالجها في نصّ أو نصّين، وإنما جاء فيها بفيض زاخر، يتناولها من أقطارها، ويكشف كل خباياها وأبعادها التي يحتاجها المسلمون لمعرفة أعداء الله ورسله وكتبه.² وقد عرف الأوائل ذلك وأنقذوا البشرية منهم. والقرآن الكريم ومنذ البدايات في مكة، والمسلمون مستضعفون هناك، بدأ بتصوير هذه الشخصية وكشف أسرارها، ووضع في

1. تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم ص 439.
2. معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص 76.

أيدي المسلمين مفاتيح هذه النفسية المعقدة، ولفت أنظارهم إلى تأصل الانحراف والتحريف فيها، وهياً الأمة لإراحة العالم من هذه الغدة السرطانية الفاسدة المفسدة. والمؤمن حين يقرأ القرآن العظيم يجده يخاطب الأخلاف من اليهود بذنوب الأسلاف، ويحكم على أجيالهم - حتى المقبلة منها - بأدوات الحصر والعموم إيداناً بأنهم في الضلالة على كلمة سواء، وأنهم أمة واحدة في العوج والالتواء وقد تشابهت قلوبهم على امتداد الأجيال.¹

والواقع أنّ الإسلام نقض الكثير من المفاهيم الدينية لليهود، دون أن ينكر عليهم أنهم أصحاب دين سماوي، وكتاب منزل من عند الله عزّ وجلّ، أنزله على النبيّ موسى عليه السّلام، هو التوراة. ولكنّ التحريف الذي أدخل على شريعة موسى عليه السّلام أفسد عقيدتهم، وصار لزاماً عليهم تقويم الانحراف والعودة إلى الشريعة الحقّة، القائمة على التوحيد الخالص لله تعالى، دون أن تشوبها شوائب الشرك الظاهر أو الخفي.

إنّ قلوباً قاسية كقلوب بني إسرائيل لا يرتجى منها اليوم رحمة بأحد. فلا يندع أحد بخبثهم ونفاقهم. فهو يبطنون غير ما يظهرون، ويحملون في قلوبهم الحقد والحسد والضغينة على الناس أجمعين. فليس لهم صاحب ولا صديق، ولا ذمّة أو عهد.² إنّ اعتداءاتهم الحاقدة الوقحة غير المسيّبة ولا المحرّضة من الغير تبرّر دينياً، وكذلك فإنّ كل سرقاتهم وجرائمهم وكذبهم لها مبرراتها الأخلاقية، ألم يعدهم يهوه بارث الغويم؟ ألم يؤكد لهم أنّ مقاومة تحقيق "الوعد" هو عمل منافٍ للشريعة ويحارب؟ ألم يكرس الفريسيون الجريمة ويقدّسوها؟... وما نحن سوى نعاج الغويم، والذئاب الفريسيون ما فتنوا يؤكدون لنا أنّ واجبنا الأخلاقي هو أن ندعهم يفترسونا. فالإبادة الجماعية هي أقصى درجات الأخلاق لدى اليهود.³

1. المصدر السابق ص 50.

2. فلسطين التاريخ المصور ص 33.

3. التوراة تاريخها وغاياتها ص 50.

وفي ظل طوفان الأقصى وما يجري في القدس، في غزة، في الضفة، وفي كل فلسطين، ما الذي تفعله هذه الفئة من الناس، هذا النوع من البشر، اليهود الصهاينة؟ ما الذي يفعلونه؟ أفعالاً لا تكاد تمت إلى البشر بصلة، جرائم غير مشهودة، غير مسبقة، إبادة جماعية، -كما طُرِحَ الأمر في المحكمة الدولية في لاهاي- العالم كله ينتفض عليهم، ما عدا أسيادهم، مَنْ أوجد هذا الكيان البغيض.

إنَّ وجود اليهود يشكل خطراً دائماً على الأمة وعلى البشرية. فقد جحدوا أنبياءهم، وجحدوا كل فضل قدّمه إليهم أحد من البشر، وقابلوا كل ذلك بإنكار الجميل، والطمع والجشع وقساوة القلب.¹

وهذا المسيح عليه السلام ينذرهم وينبؤهم بمصيرهم المحتوم جزاء فسادهم وإفسادهم ليكونوا عبرة لمن يعتبر.. بقوة وسأسلمك إلى أيديهم على كيفية تهبط بها كبرياؤك إلى الجحيم.. لا أصفح عن الشيوخ ولا الأراذل ولا أصفح عن الأطفال. بل سأسلمكم جميعاً للجوع والسيوف والسخرية. والهيكل الذي كنت أنظر إليه برهبة إياه أمر على المدينة، حتى تصيروا رواية وسخرية ومثلاً بين الأمم هكذا يحل غضبي عليك وحنقي لا يهجع.²

وكرّرت التحذيرات منهم، وأعلى العديد من الزعماء والقيادات والمفكرون الصوت، وحذروا أممهم وشعوبهم من هذا السرطان الخبيث، الذي إذا أصاب وانتشر واستشرى في الجسد كله، وأصابه الكثير الكثير من المآسي والويلات بسبب مؤامراتهم وشرورهم. وقد سبقنا الكثيرون في إطلاق النفير وتحذير شعوبهم منهم، ومن هؤلاء ملكة هنغاريا وبوهيميا التي أخذت القرار التالي لإنتقاذ بلادها منهم: من الآن فصاعداً لن يسمح لأيّ يهودي مهما كان بالاستيطان هنا دون موافقتي الخطية، إنني لا أعرف أيّ نوع آخر من الحيوانات المشاكسة، يعيش في هذه البلاد سوى هذا النوع اليهودي، الذي يتعمّد إفقار الشعب بالغش والربا والاقراض، بل إنه لا يتورع عن القيام بأيّ عمل

1. مخاطر الوجود اليهودي على الأمة الإسلامية ص 14.

2. إنجيل برنابا 295 و 296.

يأنف القيام به كلّ شريف. والخلاصة إنه من الضروري إزالة هذا النوع من البشر من هذه البلاد بقدر الإمكان.¹

والبطريك كريستا رئيس كنيسة رومانيا قال محذراً:

لماذا نسكت عن اليهود الذين يستمتعون بالحياة الأفضل كطفيليات تمتصّ حياتنا؟ إنّ الواجب المقدس يدعونا إلى الثورة عليهم.²

إنّ مؤامراتهم التي دامت منذ ما يقارب ألفين وخمسمائة سنة ستدوم إن لم يوقفها العالم عند حدّها، ويعيد هؤلاء المهووسين إلى حظيرة البشرية العاملة العاقلة.³ ويقول فرانز ليست:

"إنه يوم أت لا ريب فيه حين ستضطر الشعوب التي يعيش بين ظهرانيها اليهود، إلى مواجهة مسألة طردهم الجماعي، ستغدو هذه المسألة بالنسبة لهذه الشعوب مسألة حياة أو موت، صحة وعافية أو مرض مزمن، بقاء أو استقرار في سلام وطمأنينة أو فوضى إجتماعية أبدية".⁴

وهذا كارل ماركس في كتابه المسألة اليهودية ص 46، يحذر منهم:

"مرّة أخرى ليس اليهودي هو الذي يسعى إلى التحرّر من غير اليهود، وإنما المجتمع الإنساني هو الذي ينبغي عليه أن يسعى ليتحرر من اليهود".⁵

وها هو فرانكلين رئيس الولايات المتحدة الأميركية يحذر صارخاً... "هناك خطر كبير يهدد الولايات المتحدة... هذا الخطر هو "اليهود" ففي كل أرض يستقرون فيها يحطمون الروح المعنوية. ويقللون قدر الأمانة التجارية.. أنهم خفافيش مصاصو دماء... فإذا لم يتمّ إبعادهم فإنهم سوف يتدفقون إلى هذه البلاد بأعداد تسمح لهم بحكمنا وتدميرنا... وإذا لم تبعدوا اليهود، فإن أطفالنا سوف يكونون عمالاً في الحقول لإطعام اليهود، بينما يبكون هم في البنوك يفركون

1. معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص 79.

2. المصدر السابق ص 83.

3. التوراة تاريخها وغاياته ص 55.

4. معركة الوجود بين القرآن والتلمود ص 82.

5. اليهودية ص 369.

أيديهم في جذل وفرح. إنني أحذركم أيها السادة بانكم إذا لم تبعدوا اليهود إلى الأبد، فإن أطفالكم وأحفادكم سوف يلعنوكم في قبوركم".¹

ولا يخفى على كل عاقل كيف استطاعوا أن يسلبوا أموال الدول والأمم والشعوب ويسيطروا عليها بطريقة عجيبة، عن طريق ما يسمى البنك الدولي الذي يسيطر على قراراته وأمواله عائلاتٌ يهوديةٌ، هذا البنك الربوي الذي يقرض الأمم والشعوب والدول والحكومات ويسيطر عليها بطريقة أو بأخرى.

لما كتب المؤرخ لوران مسألة الأب توما قال في المقدمة ما معناه: "إما أن يكون اليهود أبرياء مما اتهموا به من سفك الدماء في الأزمان الغابرة والمتأخرة، وإما أن تكون تلك التهمة ثابتة عليهم وحقيقية. فإن كانت التهم باطلة يلزم الإنسان ولا شك أن يبرق لحالهم، وتستغرب غاية الاستغرب كيف أجمعت الأمم على كلمة واحدة وهي اتهام اليهود باستنزاف الدم. وإذا كانت التهمة ثابتة فلنصرخ صراخًا واحدًا ولنقم قومة واحدة نحن المسيحيين والمسلمين واليهود والفلاسفة لنعدم هذه الاعتقادات الفاسدة ونسلق أهل التلمود بألسنة حداد".²

وقبل قيام دولتهم سجل الأب بولس مسعد صرخة في كتابه همجية التعاليم الصهيونية:

"إنّ فلسطين تناشدكم بالله أن تطهروا أرضها من دولة إسرائيل المزعومة لأنه - إذا لا قدر الله - واستطاع صهيون أن يشيد دولة في الأرض المقدسة فقولوا على القومية السورية والعربية السلام... هذه صرختي إليكم مدوية فانقشوا كلماتي على صفحات قلوبكم وثقوا بأنّ فلسطين إذا سلخت عن العالم العربي كتبت عليكم الذلة والمسكنة إلى الأبد فاجمعوا صفوفكم ووحّدوا كلمتكم وأشعلوها حربًا شعواء في سبيل نصره فلسطين، والله معنا".³

1. المصدر السابق ص 370.

2. الكنز المرصود في قواعد التلمود ص 25.

3. همجية التعاليم الصهيونية ص 132 .

وكذلك محمد رشيد رضا: "وإذا كانوا بكيدهم وأموالهم قد جعلوا الدولة الفرنسية ككرة اللعب في أيديهم فأزالوا منها سلطة الكنيسة وحملوها على عقوقها وكانت تدعى بنت الكنيسة البكر وحملوها على الظلم في الجزائر، وهي التي تفاخر الأمم والدول بالعدل والمساواة، عملوا فيها عملهم وهي في الذروة العليا من العلم والمدنية والسياسة والثروة والقوة، أفلا يقدرّون على أكثر منه في الحكومة العثمانية وهي على ما نعلم من الجهل والضعف والحاجة إلى المال؟ وطمعهم فيها أشد، وخطرهم أعظم، فإنّ بيت المقدس له شأن عظيم عند المسلمين والنصارى كافة فإذا تغلب اليهود فيه ليقبموا فيه ملك إسرائيل ويجعلوا المسجد الأقصى (هيكل سليمان) - وهو قبلتهم - معبداً خالصاً لهم يوشك أن تشتعل نيران الفتن، ويقع ما نتوقع من الخطر".¹

وتمكنوا في بلادنا من هدم الخلافة بمؤامرات ووسائل ومكر، لا يمكن لأحد أن يأتي بمثلها. ولا زالت مخططاتهم تسري في العالم، ولا زالوا يعملون ليلاً نهاراً ويكيدون للوصول إلى أحلامهم الشيطانية، بالسيطرة على العالم والبشرية كما تقول كتبهم.

ويسجل زهير الشاويش في مقدمة همجية التعاليم الصهيونية الصرخة الآتية:

إنّ التلمودية حاقدة على الناس كل الناس لا فرق بين دين ودين وجنس وجنس، وإنما هم عندها بمنزلة البهائم والأنعام، وأنها سوف تبيدهم إن قاتلوا جيوشاً... كما حدث في 5 حزيران 1967م وكذلك تحاول إفناءهم وإن كانوا عزلاً من السلاح كما فعلت مئات المرات بمثل دير ياسين وقبية وقليلية.²

يقول حسن ظاظا أستاذ العبرية بجامعة الإسكندرية: إنّ عدونا الإسرائيلي حاول أن يزيّف ويخدع ويبترّ العواطف والأموال ومازال يفعل متجاهلاً وناسياً أنّ مخطوطاته وكتب تفسيره تروي بلغته العبرية حكايات وحكايات تفضح وجوده وتاريخه وتراثه... ومن الغريب فعلاً أنهم لم يحرقوها أو يدمروها كما فعلوا بغيرها، وتركوها تقول كلمة صدق في صفّ آخر غير صفهم.³

1. تفسير المنار 139/5.

2. همجية التعاليم الصهيونية ص 7.

3. التلمود تاريخه وتعاليمه ص 93.

وقال صاحب المنار:

أعلم ربك هؤلاء القوم المرة بعد المرة، أنه قد قضى في علمه وكتب على نفسه، وفاقاً لما أقام عليه نظام الاجتماع البشري من سننه، ليبعثنَّ ويسلطنَّ عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب.¹

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَسْبَعَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٨﴾﴾²

﴿وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَّمًا﴾ فرقناهم في البلاد فرقاً وطوائف، ليس لهم وطن يسكنونه، حتى لا تكون لهم شوكة، وما اجتمعوا في أرض فلسطين اليوم، إلا ليزبحوا على أيدي المؤمنين إن شاء الله تعالى.³

ومنها نستخلص بعض ما نزل بهم:

1. حكم الله عليهم بالكفر.
2. قضى عليهم بالمهانة في الدنيا.
3. قضى عليهم بالشتات والتمزق في الأرض، فلا تجمعهم جامعة أبداً ولا يحتويهم وطن.

4. استمرار هذا الحكم إلى يوم القيامة.⁴

لقد سلط الله عليهم بختصر المجوسي، وسلط عليهم ملك الروم قيصر فأفنى كثيراً منهم، وسلط عليهم هتلر النازي فاستباح حماهم.

1. تفسير المنار 9/38.

2. الأعراف 167-168.

3. الصابوني، محمدي، دة التفاسير، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، ص172، 1424هـ-2003م.

4. اليهود في القرآن ص 45.

ولا يزال رجسهم، حتى ينفذ قضاء الله فيهم بوعد الآخرة وتحقيق نبوءة خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم، الذي أخبر عن ذلك بقوله (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود).¹ وفي رواية: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله).² وكأنّ النبي عليه السّلام يسلم لواء البشرية لهذه الأمة الإسلامية.

اقول وبالله التوفيق:

ظالما أنّ هذا حكم الله فيهم، وظالما أنّ النبي عليه السّلام أسلمنا لواء البشرية بعد أن استلم لواءها من الأنبياء بصلاته بهم إماماً في المسجد الأقصى في رحلة الإسراء والمعراج، ونحن الأمة التي أخرجها الله لتكون وسطاً بين الأمم فنحن الوحيدون المؤهلون لتنفيذ حكم الله فيهم وإنقاذ البشرية منهم. إذن من واجب كل فلسطيني وكل عربي وكل مسلم وبخاصة المشتغلين بالسياسة وأبناء الحركات التحررية، معرفة تاريخ الصهيونية، وطرق تطورها وإعادة تشكيلها، ندرك الكيفية المثلى لتطويقها وعرقلتها، ومقاومة دولتها، دولة الإمبريالية الصهيونية "إسرائيل"، وكل سكوت وتقاوس من جانبنا هو مساهمة في تطويرها وبنائها.

ونحن على موعد من الله تعالى لنخزي هذه الوجوه ولننذّل تلك الرؤوس، ولنأتي على هذا المنكر المعلن على أرضنا المقدسة بضربة قاضية، تدمّر ما كان يصنع القوم وأعوانهم وما كانوا يعرشون.³

من هنا نفهم واجبنا ومهمتنا ودورنا تجاه الإنسانية للتحذير منهم، وإنقاذها من

1. أخرجه مسلم في صحيحه(ص1254ح2922) كتاب: الفتن وأشراط الساعة.

2. أخرجه البخاري في صحيحه (ص525ح2926) كتاب: الجهاد والسير.

3. المصدر السابق ص 52.

برائتهم إذا سقطت في يوم من الأيام تحت سلطتهم - كما هو واقع هذه الأيام - وقد قام المسلمون الأوائل بذلك وأدركوا حقيقة مهمتهم ودورهم، فزال اليهود وآثامهم وبوائقهم. ولكن عندما غفلت الأمة عن مهمتها وركنوا إلى الدنيا، إذا بالمؤامرات اليهودية تظهر من جديد وتصل إلى التخريب في كل أنحاء الدنيا..
ومن هنا كان لزامًا علينا - ونحن أعلم الناس بهم - ونحن الذين أنقذنا البشرية منهم عندما كانوا ينفثون سمومهم من خبير.

أقول من هنا يجب علينا العمل بكل جدٍ وبلا كلل على تحذير العالم منهم ومن شرورهم، وأكثر من ذلك إنقاذ البشرية منهم، خاصة وأنهم يحتلون بلادنا وديارنا ويعيثون في أرضنا فسادًا، ويعملون معاولهم لهدم كل ما هو مقدس، وتدنيس كل ما هو ظاهر.

والذي يُلزمنا بذلك ويحثنا عليه ديننا الحنيف الذي فيه خير وسعادة البشرية وإنقاذها من الشرور والآثام وفيه الوعود الخاصة والجازمة لمحاربتهم والقضاء عليهم.
هذا وإن وفقت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان.

والله من وراء القصد.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم، مصحف المدينة النبوية، حسب الرسم العثماني.

1. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، 1401هـ.
2. ابن منظور، لسان العرب، نشر أدب الحوزة، ط1، قم إيران، 1405هـ.
3. ابن هشام. السيرة النبوية، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
4. أبو مازن، الصهيونية بداية ونهاية، منشورات فلسطين الثورة، أيار 1976م.
5. الأعرجي، زهير، الشخصية الإسلامية مؤسسة إعلامية، دار التعارف، بيروت، ط2، 1402هـ-1982م.
6. آغا، ماهر أحمد، اليهودية فتنة التاريخ، دار الفكر، دمشق، ط1، 1423هـ-2002م.
7. إنجيل برنابا، ترجمة الدكتور خليل سعادة، مطبعة المنار، القاهرة، ب.ط، 1326هـ.
8. البخاري، أبي عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1424هـ-2003م.
9. بركات، محمد فارس، الجامع لمواضيع آيات القرآن الكريم، دار الهجرة، قم، 1404هـ.
10. البروسوي، إسماعيل حقي، تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، ط1، دار القلم، دمشق، 1408هـ-1988م.
11. البغوي، أبي محمد الحسين بن مسعود، تفسير البغوي، (معالم التنزيل)، ط1، 1423هـ-2002م.
12. تايلر، ألن، تاريخ الحركة الصهيونية، ترجمة بسام أبو غزالة، ط1، دار الطليعة، بيروت، 1966م.

13. تفسير أبو السعود، دار إحياء التراث العربي بيروت ط4.
14. النل، عبد الله، جذور البلاء، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1398هـ-1978م.
15. الترمذي، أبي عيسى محمد بن عيسى، سنن الترمذي، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1422هـ-2002م.
16. التونسي، محمد خليفة، كنوز التلمود، مكتبة دار البيان، الكويت، ط1، 1409هـ-1989م.
17. الثعلبي، أبي اسحق أحمد بن إبراهيم النيسابوري، قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس، مكتبة المشهد الحسيني، القاهرة، الطبعة الاخيرة.
18. الجهني، مانع بن حماد، الموسوعة الميسرة من الأديان والمذاهب المعاصرة، دار الندوة العالمية، الرياض السعودية، ط3، 1418هـ.
19. جواد، علي، تاريخ العرب قبل الإسلام.
20. الجوزي، أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي محمد، زاد المسير في علم التفسير بيروت، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، ط1، 1423هـ-2002م تحقيق زهير الشاويش.
21. الحاج، هنادي، الأديان من أولها إلى خاتمها. اليهودية تاريخًا وعقيدة. شركة MCA sarl.
22. حجازي، عرفات، الصهيونية قبل الاستعمار وبعده، سلسلة التوعية الفلسطينية، ط2، 1966م.
23. حسن، عفيفي إبراهيم، الماسونية بين الشيوعية والصهيونية، دار الفتح، ب.ط، 1389هـ-1969م.
24. الحسن، محمد، المذاهب والأفكار المعاصرة في التصور الإسلامي، دار البشير للثقافة والعلوم الإنسانية، طنطا مصر، ط3، 1410هـ-1990م.
25. حقي، إحسان، الدليل إلى أحكام التوراة والإنجيل، مكتبة المنار الإسلامية الكويت، ط1، 1404هـ-1984م.

26. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، الشخصية اليهودية من خلال القرآن، دار القلم، دمشق، ط1، 1407هـ-1987م.
27. خان، زفر الإسلام، التلمود تاريخه وتعاليمه، دار النفائس، بيروت، ط4، 1981.
28. الخطيب، حنيفة، العبريون لغة وتاريخ، ط1، المكتبة العصرية صيدا، 1415هـ-1995م.
29. الخطيب، عبد الكريم، اليهود في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط2، 1400هـ-1980م.
30. الخطيب، محمد نمر، حقيقة اليهود والمطامع الصهيونية، دار مكتبة الحياة، بيروت، ب.ط.
31. خليل، عماد الدين، دراسة في السيرة، دار النفائس، بيروت، ط13، 1412هـ-1991م.
32. دروزة، محمد عزة، تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم، المكتبة العصرية، بيروت، 1389هـ-1969م.
33. دمشقية، عبد الرحمن، الكتاب المقدس يتكلم، ط1، 1415هـ-1994م.
34. ديب، سهيل، التوراة تاريخها وغاياتها، دار النفائس، بيروت، 1402هـ-1982م.
35. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، ب.ط، 1985م.
36. رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، دار المعرفة، ط2، بيروت.
37. روهلنغ، أوغست، اليهودي على حسب التلمود، ترجمة نصرالله، يوسف حنا، دار فلسطين للتأليف والترجمة، بيروت، 1390هـ-1970م.
38. الزعبي، محمد علي، حقيقة الماسونية، مطابع معتوق إخوان، بيروت، ب.ط، 1974م.
39. الزعبي، محمد بن علي، دفائن النفسية اليهودية من خلال الكتب المقدسة

- التوراة والإنجيل والقرآن والتاريخ والواقع، بيروت، ط2، بدون دار، 1393هـ-1973م.
40. الزمخشري، الكشاف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1.
41. السجستاني، أبي داود سليمان بن الأشعث الأزدي، سنن أبي داود، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1419هـ-1998م.
42. السعد، جودت الشخصية اليهودية عبر التاريخ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ب.ط، 1985م.
43. سفعان، كامل، اليهود تاريخ وعقيدة، دار الاعتصام، القاهرة.
44. حوى، سعيد، الأساس في التفسير، دار السلام، ط5، القاهرة.
45. سعيد عبد الستار فتح الله، معركة الوجود بين القرآن والتلمود، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، ط4، 1411هـ.
46. سويدان، طارق، فلسطين التاريخ المصور، شركة الإبداع الفكري، ط1، 1425هـ-2004م.
47. الشامي، رشاد عبدالله، الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد102، 1406هـ-1986م.
48. شبير، محمد عثمان، مخاطر الوجود اليهودي على الأمة الإسلامية، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط1، 14010هـ-1990م.
49. الشعراوي، التفسير، أخبار اليوم قطاع الثقافة.
50. شلبي، أحمد، اليهودية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1997م.
51. الصابوني، محمدعلي، درة التفاسير، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، 1424هـ-2003م.
52. صبري، سناء عبد اللطيف، ملامح الشخصية اليهودية وطبائعها كما تصورها فكاهاتهم، دار القلم، دمشق، ط1، 1417هـ-1999م.

53. طبارة، عفيف عبد الفتاح، اليهود في القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، ط10.
54. الطبري، مختصر تفسير الطبري، ط1، دار الخير، دمشق، 1423هـ-2003م.
55. طعيمة، صابر، بنو إسرائيل في ميزان القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، ب.ط.
56. طعيمة، صابر، التاريخ اليهودي العام، دار الجيل، بيروت، ط2، 1983م.
57. الطهطاوي، محمد عزت، لماذا نمقت اليهود، مكتبة النور، القاهرة، ط1، 1410هـ-1990م.
58. ظاظا، حسن، أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1407هـ-1987م.
59. ظاظا، حسن، الشخصية الإسرائيلية، دار القلم، دمشق، 1985م.
60. عبد الباقي، محمد فؤاد، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار إحياء التراث العربي. ب.س.
61. عثمان، أحمد، تاريخ اليهود، مكتبة الشروق، القاهرة، ط1.
62. عجاج، نويهض، بروتوكولات حكماء صهيون، دار طلاس، دمشق، ط1، 1984م.
63. عللوه، محمد، موضوعية الإسلام في مواجهة الصهيونية، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، الجماهيرية طرابلس، ط2، 1922م.
64. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، بيروت، ب.ط، 1416هـ-1996م.
65. العماري، فضل بن عمار، اليهود دراسة تاريخية، مكتبة التوبة الرياض السعودية، ط1، 1419هـ-1987م.
66. العماري، فضل بن عمار، خطر التوراة على الكتاب العرب الحديثين، مكتبة التوبة، السعودية، ط1، 1419هـ-1998م.

67. الغزالي، محمد، قذائف الحق، دار القلم، دمشق، ط1، 1411هـ-1911م.
68. الغزالي، محمد، اليهود المعتدون ودولتهم إسرائيل، دار القلم، دمشق، ط1، 1420هـ-1999م.
69. الفاتح، زهدي، اليهود، ط2، 1417هـ-1987م.
70. فريج، غازي، النشاط السري اليهودي، دار النفائس، بيروت.
71. فياض، نبيل، رسائل تلمودية-1 رسالة التلمود البابلي، رسالة عبدة الأوثان، دار الغدير، ط1، 1991م.
72. القرضاوي، يوسف، القدس قضية كل مسلم، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1419هـ-1998م.
73. القرطبي، أبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن، دار الفكر، بيروت، ب.ط، 1407هـ-1978م.
74. قطب، سيد، دراسات إسلامية، دار الشروق، بيروت، 1973م.
75. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، بيروت، ط34، 1425هـ-2004م.
76. قطب، سيد، معركتنا مع اليهود، الدار السعودية، جدة، ط1، 1389هـ-1970م.
77. الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس في العالم العربي، طبع في كوريا، الدوريات: عالم الفكر.
78. كنعان، جورجي، أمجاد إسرائيل في فلسطين، دار الطليعة، بيروت، 1978م.
79. كنعان، محمد أحمد، بنو إسرائيل واليهود وتاريخ مصر، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 1415هـ-1994م.
80. مالك بن أنس، الموطأ، بيروت، دار ابن حزم، ط1، 1426هـ-2005م.

81. المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم، ط2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1976م.
82. مسعد، بولس حنا، همجية التعاليم الصهيونية، المكتب الإسلامي، بيروت، ب.ط، 1388هـ-1969م.
83. المسيري، عبد الوهاب، من هو اليهودي، ط2، دار الشروق القاهرة، 2001م.
84. المسيري، عبد الوهاب، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ط1، دار الشروق، بيروت، 1999م.
85. المغربي، السموع بن يحيى بن عباس، بذل المجهود في إفحام اليهود، دار القلم، دمشق، ط1، 1410هـ-1989م.
86. المليجي، حلمي، علم النفس المعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، ط8، 2000م.
87. مي، حسن محمد، رؤية دينية للدولة الإسرائيلية، دار الفرقان، عمان-الأردن، ط1، 1405هـ-1985م.
88. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة، مكاييد يهودية عبر التاريخ، سلسلة أعداء الإسلام، دار القلم، دمشق، ط5.
89. نجاتي، محمد عثمان، علم النفس في حياتنا اليومية، دار المعارف، مصر، ط12، 1985م.
90. الندوي، أبو الحسن علي الحسني، قصص النبيين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط16، 1379هـ-1977م.
91. نصر الله، يوسف حنا، الكنز المرصود في قواعد التلمود، بيروت، ط2، 1388هـ-1968م.
92. نوفل، عبد الرزاق، القرآن والإنجيل ونهاية إسرائيل، دار المعارف مصر، ط1.
93. النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط2، 1972م.

94. النيسابوري، أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري، صحيح مسلم بيروت، ط1، دار ابن حزم، 1423هـ-2002م.
95. هاينريش، شباير، القصص الديني، ج1، ترجمة فياض، دار EXACT، جونية، ط1، 1996م.
96. يكن، فتحي، مشكلات الدعوة والداعية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1405هـ-1985م.
97. المجلد الثالث عشر، العدد الثاني.
98. المجلد الثالث عشر، العدد الثالث.
99. المجلد الثاني عشر، العدد الرابع.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
2	تمهيد.....
4	خطة البحث.....
7	المقدمة.....
13	الباب الأول:.....
	الفصل الأول: كلمة موجزة عن تاريخ اليهود أصولهم، منشؤهم، نسبهم ومراحل حياتهم.....
14	
47	الفصل الثاني: مختلف التسميات.....
48	العبرانيون.....
51	بنو إسرائيل.....
53	اليهود.....
54	الصهاينة.....
62	الفصل الثالث: مصادر فكرهم.....
64	العهد القديم (التوراة).....
68	الشريعة الشفوية (التلمود).....
88	الباب الثاني: صفات الشخصية اليهودية.....
89	الفصل الأول: في الجانب الاعتقادي.....
89	التطاول على الله عزَّوجلَّ.....
105	الشرك وعبادة الأصنام.....
113	تحريف الكلم عن مواضعه.....
122	الجحود وكفر النعم.....
126	كثرة الجدل والتتطع في الدين.....

الصفحة	الموضوع
133	التطاول على الأنبياء وقتلهم.....
148	الفصل الثاني: الأخلاق والقيم والمثل
148	العنصرية والتعالي على الغير.....
163	استمراء الذلّ والعبودية.....
175	فساد الفطرة والسعي بالفساد في الأرض.....
186	الاختلاف والنزاع فيما بينهم.....
196	الفسق والفجور.....
208	الجبين والخوف والرعب الدائم وحب الدنيا وحرصهم على أية حياة.
218	الفصل الثالث: العلاقات مع الآخرين
219	نقض العهود والمواثيق.....
227	القتل والإجرام وسفك دماء الناس.....
253	الجشع والطمع وأكل الربا والبخل.....
269	الحسد والحقد.....
273	المكر والخداع.....
281	الفصل الرابع:
282	شعب الله المختار.....
289	نظرتهم للناس وخطرهم على البشرية جمعاء.....
294	حاجة الأمة الإسلامية والعالم لمعرفة حقيقتهم.....
299	الشعب المختار.....
302	الخاتمة.....
312	المصادر والمراجع.....
320	فهرس.....

شخصية يهود

تعديل

.2024-10-21

pdf

